

مَعْطَاتٌ كِتَابِيَّة

-١٧-

١٤٦٩

الكرَّسَةُ وَالكرَّنُوتُ
فِي
الكِتَابِ الْمُقَدَّسِ

www.christianlib.com

اخوري بولس الفغالي

الرابطة الكِتابِيَّة

مَحْكَمَاتُ كِتَابِيَّة

-١٦-

الْكَرْهَةُ وَالْكَرْهُونَتُ
فِي
الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ

اخوري بولس الفغالي

الرابطة الكتابية

طبعه أولى - ١٩٩٩
جميع الحقوق محفوظة
الرابطة الكتابية

الطباعة : مؤسسة دكاش للطباعة
البوار - كسروان - لبنان - تلفون : ٠٩ / ٤٤٨٥٤٧

- المكتبة البوليسية
شارع القديس بولس ص.ب . ١٢٥
٥٠١٠ جونية ، لبنان
- جمعيات الكتاب المقدس
ص.ب . ١١٧٤٧ بيروت ، لبنان

تقديم

حين كنت على مقاعد الدراسة. تعرّفت إلى كتاب فرنسي عنوانه: نظم العهد القديم ومؤسساته^(١). ومنذ ذلك الوقت، ومواضيعه تتحرّك في: من عالم الكهنوت إلى عالم القدس بما فيها من ذبائح ومحرقات. من الملكية وتطورها إلى الحياة الاجتماعية اليومية. من الحياة في زمن السلم إلى الحرب المقدسة التي فهمت فيما بعد أنها حرب من نوع آخر، أنها حرب، ساعة لم يعد الشعب يستطيع أن يقوم «بحرب تحرير». حرب على العالم الوثني وعلى أوثنانه.

وها أنا أعود إلى هذه المواضيع بعد عقود من السنين. وأبدأ بالكتاب الأول في هذا الاتجاه: الكهنة والكهنوت في الكتاب المقدس. ولكنني ما توقفت عند العهد القديم والعهد الجديد. بل توغلت في عالم الشرق القديم، في الأدب الذي يقع بين العهد القديم والعهد الجديد والذي يُسمى أدب البيهدين. بل رحت بعض الشيء إلى عالم أباء الكنيسة. فهم أقرب منا إلى هذا العالم الكتابي، وقد حاولوا أن يجعلوا من كتاباتهم امتداداً لأسفار الكتاب المقدس.

وهكذا كان هذا الكتاب في سلسلة «محطات كتابية» في إطار نظم الكتاب المقدس ومؤسساته. وقد جاء في خمس محطات: الكهنوت في الحضارات

R. de VAUX, Institutions de l'AT, Cerf, Paris, 1960. (١)

الشرقية القديمة. الكهنوت في العهد القديم. الكهنوت في أدب ما بين العهدين. الكهنوت في العهد الجديد. الكهنوت عند آباء الكنيسة.

لستنا هنا أمام دراسة لاهوتية وروحية. بل دراسة علمية ترجع إلى النصوص تتبخر فيها. دراسة تنطلق من هذا الشرق الواسع فتتعرف إلى غناه، وتغرس جذورها فيه لكي نفهم أن ما نعيشه اليوم من نظم يعود إلى زمن بعيد جداً. لا شك في أن الكهنوت الذي تمارسه المسيحية اليوم مختلف عن كهنوت مصر أو بلاد الرافدين. ولكن المناخ الحضاري والديني يبقى هو هو مع دور الكاهن ك وسيط بين الله والبشر في رفع الصلوات والتضرعات، في تقدمة القرابين، في إقامة صلة، في جمع شعب الله في يوم معين أو في عيد من الأعياد. وإن يكون الشعب، كما يقول الكتاب، كخراف لا راعي لها.

هذا ما أردنا أن نقدمه في هذا الكتاب الذي نريده بداية قد تتبعها نحن أو يتبعها غيرنا. والهدف منه ومن الكتب التي ستتبعه هو اكتشاف غنى الشرق القديم بشكل عام، والكتاب المقدس بشكل خاص. لا، لن نستطيع أن نبقى جاهلين لهذا التراث العريق الذي ما زلنا نعرف منه، بل ما زالت تعرف منه دياناتنا على اختلافها. فلا يبقى لنا سوى العودة إلى هذا العالم الكتابي، إلى ما قبله وإلى ما بعده، فنعرف أكثر، ونتصرف أفضل، ونفكّر في مستقبل يصل بنا إلى ما يُسمى اليوم «علومة» دون أن ننسى جذورنا التي تغرس عميقاً في التاريخ.

الْأَكْثَرُ أَبْجَدَتِهِ بِالْمُخْصَّصَاتِ

١ و ٢ آخ	= سفرا الأخبار الأول والثاني = إرميا (نبوة) = أستير = إشعيا = أعمال الرسل = رسالة القديس بولس إلى الأفسسيين = سفر الأمثال = سفر أیوب = سفر باروك = رسالتا القديس بطرس الأولى والثانية = سفر الشنتية	إر أس أش اع أم أي با بط ث
١ و ٢ تس	= رسالتا القديس بولس الأولى والثانية إلى التسالونيكيتين = سفر التكويرين	تلك
١ و ٢ تم	= رسالتا القديس بولس الأولى والثانية إلى تيموتاوس	لي
روم	= رسالة القديس بولس إلى الرومانيين	جا
رؤ	= سفر الرؤيا	حب
زك	= نبوة زكريا	حج
سي	= يشوع بن سيراخ	حز
صف	= نبوة صفتيا	حل
١ و ٢ صم	= سفرا صموئيل الأول والثاني = طوبيا = نبوة عاموس	طو عا
عد	= الرسالة إلى العبرانيين	عب
عز	= سفر المدد	عد
عو	= سفر عزرا	عز
فل	= عويديا	عو
	= رسالة القديس بولس إلى الغلاطتين	غل
	= رسالة القديس بولس إلى الفيلبيين	فل

فلم	= رسالة القديس بولس لل Filipinos
قص	= سفر القضاة
كو	= رسالة القديس بولس لل الكولستين
١ و ٢ كور	= رسالتنا القديس بولس الأولى والثانية لل الكورنثين
لا	= سفر الاولين أو الاخبار
لو	= إنجيل لوقا
مت	= إنجيل متى
مر	= إنجيل مرقس
مرا	= مراثي لإرميا
مز	= مزامير
١ و ٢ مك	= سفرا المكابيين الأول والثاني
١ و ٢ مل	= سفرا الملوك الأول والثاني
ملا	= نبوة ملاخبي
ناس	= نبوة ميخا
نوح	= نبوة ناحوم
تر	= سفر تهمبا
هو	= نشيد الاناشيد
يش	= نبوة هوشع
يع	= سفر يشوع بن نون
يه	= رسالة القديس يعقوب
يو	= سفر يهوديت
١ و ٢ و ٣ يو	= إنجليل يوحنا
يو	= رسائل القديس يوحنا الأولى والثانية والثالثة
يون	= نبوة يوئيل
يونان	= نبوة يوئيل

مختصرات أخرى

آ	= آية أو فقرة
راج	= راجع
ف	= فصل
ق	= قابل
وز	= نصوص موازية
ي	= ما يلي من الآيات

القِسْمُ الْأَوَّلُ
الْكَهْنُوتُ
فِي
الْحَضَارَاتِ الْشَّرْقِيَّةِ الْقَدِيمَةِ

يتضمن هذا القسم الفصول التالية :

- ١ - الكهنوت في أرض مصر
- ٢ - الكهنوت في بلاد الرافدين ولدى الحثيين
- ٣ - الكهنوت عند الساميين الغربيين
- ٤ - الكهنوت في المفردات البابلية .

الفصل الأول

الكهنوت في أرض مصر

الكهنوت مؤسسة قديمة وُجِدت قبل الكتاب المقدس بقرون، وقد لعب دوراً هاماً في المجتمع. ونبأ حديثنا عن الكهنوت في أرض مصر، وعن موقعه في المجتمع.

١ - الكهنوت والمجتمع المصري

أ - خدمة الآلهة

نطلق من مبدأ معروف في الشرق القديم، وهو أن مصر القديمة لم تفصل الدين عن المجتمع. فالعلم يعود إلى الدين، ومهنة الطب كذلك. أما علم الفلك فاحتاج إليه الكهنة ليحدّدوا الأزمنة التي فيها تمارس الطقوس، ليحدّدوا الأعياد التي تحتفل بها البلاد^(١).

وُجد الكهنة أولاً كخدمة للآلهة في معابد لعبت دوراً هاماً في المحافظة على النظام الذي خلقته الآلهة. ففي جميع مدن وقرى الريف المصري، كانت الهياكل أبنية تؤكّد بحضورها ووظيفتها، على المحافظة المستمرة على الخلق، على

S. MORENZ. La religion égyptienne (tr.de l'allemand), Paris 1962 p. 27. (١)

التوازن الكوني الذي بدأ في اليوم الأول من العالم، الذي بفضله بدأت كل حياة، وبدونه يعود كل شيء إلى الخواء. والكهنة هم «موظفو» لدى المؤسسات التي لا يُستغنّى عنها في الحياة على الأرض^(٢).

ب - ممثلو الملك

والكهنوت في مصر هو خدمة ملكية. فللملوكية في مصر وضع خاص جداً، لأن الملك هو الوسيط الحقيقي بين الآلهة والبشر. هو ابن الآلهة ووارثهم. بل هو إله من الآلهة. إنه وحده من يستطيع أن يقرب من الإله. وهو يقدم لوالديه الآلهين عبادة بنوية. أما الكهنة في المعبد فهم يمثلونه. وإن قاموا بوظيفتهم، باسم الملك يقومون بها وكموفدين من قبله. لهذا نرى على النقوش التي تزين المعابد، الفرعون وهو يقوم بشعائر العبادة^(٣).

ج - قداسة الله

كان لدى المصريين فكرة سامة عن قداسة الإله. لهذا، فرضت شروط دقيقة جداً على الذين يقرّبونه. فاللفظة الأكثر استعمالاً للحديث عن قداسة الله والقدسيات، هي «د س ر» التي تعني أول ما تعني «فصل». أما «ت. د س ر» فهي تعني الأرض المقدسة أو مدينة الأموات (أي المدافن). وهذه القداسة التي تفصل الإنسان عن اللاهوت، تفرض عليه أن يمارس أدق القواعد في العلاقات معه. وهي إذن الأصل الديني للكهنوت. لهذا فالكافن يتدرج في أسرار خدمة الله، ويتعرف إلى الأشكال التي اتخذتها هذه الخدمة على مر العصور. بل عليه أن يتمي بنفسه إلى الدائرة الالهية إذا أراد أن «يعاشر» اللاهوت. وهكذا صار

S. SAUNERON, Dictionnaire de la civilisation égyptienne Paris, 1970, p. (٢) 57.

G. POSENER Dict. de la civilisation égyptienne. 1959, p.220- 221. (٣)

الكهنت المצרי، على المستوى النظري، مجموعة ممثلي الملك بطبعته الالهية. وقد ولد الكهنة على المستوى العملي حين كلفهم الملك بحقوقه وواجباته في خدمة اللاهوت. وهذا التكليف هو الذي أدخلهم في الدائرة الالهية، في جو قداسة الله^(٤).

٢ - الكهنة في المعابد

قبل أن نكتشف ثوابت في عالم الكهنت المצרי، نتعرف إلى الكهنة العائشين في معابد مصر الهامة. نشير أولاً إلى التنوع الكبير، لأن لكل إله معبده وكهنته. ولأن العبادة تأخذ بعين الاعتبار مميزات كل إله. والعلاقات متشعبة: فقد تنطلق شعيرة عبادة من موطنها الأصلي إلى موضع آخر. وقد يأخذ إله صفات جاره. ويتنوع موقع إله وكنته بالنظر إلى الوضع السياسي للمدينة التي أقام فيها هذا الإله. وبين الكهنة الأقوياء الذين خدموا أمون في طيبة مع المملكة الحديثة، وبين كهنت شبه ميت مع خادم أو خادمين، المسافة بعيدة جداً، والظروف مختلفة^(٥). أما نحن فنتوقف عند هليوبوليس وممفيس وطيبة.

أ - هليوبوليس

هليوبوليس (أون: أون) هي مدينة الشمس. تقع في الصحراء إلى الشمال الشرقي من القاهرة. تُعبد فيها الشمس بأسماء متنوعة. أما اسم كاهنها الأعظم فهو «أكبر الرائين». انتشرت عبادة الشمس انتشاراً واسعاً في مصر، وكان تأثيرها كبيراً جداً مع اصلاح أخناتون^(٦). ولكن اسم «أكبر الرائين» سيصل إلى طيبة. ورعمسيس الثاني^(٧) سيجعل من أحد أبنائه كاهناً أعظم في هليوبوليس.

(٤) حاشية أولى، ص ١٤٠.

(٥) S. SAUNERON, Les prêtres de l'ancienne Egypte, Paris, 1957 p. 53-54.

(٦) هو أمينوفيس الرابع (١٣٧٢ - ١٣٥٤).

(٧) رعمسيس الثاني (١٣٠١ - ١٢٣٥).

ما أدركت هليوبوليس يوماً أهمية طبية عدّة وعدهاً. ولكنها لعبت دوراً كبيراً بإشعاع فكرها اللاهوتي الكبير. فقد سيطرت تقاليدها على نصوص الاهرام^(٨). وكان للاهوت هليوبوليس تأثير امتدّ أجيالاً مما جعل أهل اليونان يمتدحون هؤلاء الكهنة المتضلعين بالمعرفة السماوية.

واشتهرت هليوبوليس أيضاً لأنها كانت مهد الملكية. فتركيز شعائر العبادة قد تم تحت سلطة الملك. فصارت عبادة رع^(٩) عبادة ملكية. ومع السلالة الثالثة^(١٠) تركزت سلطتها. فالكاهن الأعظم يسمى الملك، وسوف يُصبح الرئيس الأعلى لكل العادات في البلاد^(١١).

ما هي معلوماتنا حول الكاهن الأعظم لالله الشمس؟ يتسبّب إلى محيط إجتماعي رفيع. خلال المملكة القديمة^(١٢)، ومنذ المملكة الجديدة، كانوا يختارونه في العائلة الملكية فيمارس وظيفة سياسية ووظيفة دينية. على المستوى السياسي تدخل عظماء الكهنة بشكل خاص في مناسبات: خلال أزمة سلالية مع السلالة الخامسة، وخلال إصلاح أمينوفيس الرابع^(١٣). ولكن الوظيفة الدينية كانت لهم الوظيفة الأولى. فقد اهتموا في تدخلاتهم المباشرة بجعل تمثيلهم الدينية تتصرّ. من هذا القبيل تميزوا عن كهنة طيبة. أما وظيفتهم الدينية الأولى فكانت «رؤبة» الاله رع. تكرسوا لمعرفة أسرار السماء وكان مجالهم علم الفلك. وكانت وظيفتهم الدينية الثانية الوساطة بين الاله والبشر. غير أننا لا نجد هذه الوساطة إلا لدى عظماء الكهنة الذين كانوا أبناء الملك. وهكذا كان عظيم الكهنة في قمة التراتبية الكهنوthe في هليوبوليس (ربما على حساب الملك).

Textes des Pyramides (٨)

(٩) إله الشمس العظيم في مصر القديمة.

(١٠) بعد سنة ٢٧٧٨ ق. م.

J. PIRENNE, Histoire de la civilisation de l'Egypte ancienne I, Paris, 1961, (11) p.135.

Ancien empire (2260-2160) (١٢)

(١٣) أو اختناتون.

ب - ممفيس

تقع ممفيس عند الحد الفاصل بين مصر العليا (الصعيد) ومصر السفلية (الדלתا). والملوك الذين اعتنوا تاج «المصريين» (مصر العليا ومصر السفلى) فضلوا الإقامة في هذه العاصمة. كان بناج^(١٤) إله المدينة. وكان شفيع النحاتين والحدادين. وكانت ممفيس، شأنها شأن هليوبوليس، مدينة الفكر والتأمل. أما بالنسبة إلى الالهوت المحلي، فإن بناج هو خالق الكون. وقد جعل الأمور المنظورة على الأرض بالقلب (= الفكر) وباللسان (= الكلمة الخلاقة). وصار أحد شفعاء الملكية. زوج مع سوكاريس، إله مدينة الاموات في ممفيس ومع أوزيريس^(١٥).

حين نقرأ الألقاب نجد لقبين بارزين: «الصانع لدى القدير». و«أعظم قواد الصناع»^(١٦). وفي بعض الوثائق (مثلاً مدونة ديهانى، السلالة الرابعة^(١٧))، يتحدث النص عن الصانعين لدى القدير^(١٨). هذه الثنائية المدهشة لا تشير إلا إلى إحدى وظائف عظيم الكهنة في ممفيس، بطابعها المدنى (لا الدينى). وجاء من فسر هذا الخلاف بين الدور الذي يلعبه عظيم الكهنة ودوره الدينى كنبي لبتاح ونبي سوكاريس، كعلامة اختلاف في الأصل بين الوظيفة المدنية والوظيفتين الدينيتين لعظماء الكهنة في ممفيس^(١٩). والوظيفة الأخرى التي ارتبطت بعظاماء الكهنة لدى الآلهة بناج هي وظيفة الكاهن «سام». يلعب هذا الكاهن دوراً هاماً في طقوس افتتاح الفم. في الأصل، نحن أمام عضو من كهنة بناج في ممفيس، وقد

(١٤) أو فتاح.

(١٥) زوج ايزيس ووالد حورس.

A. ROCCATI, *La littérature historique sous l'ancien empire égyptien*. (١٦)

Paris, 1982. p. 173-176.

(١٧) سنة ٢٦٠٠ - ٢٥٠٠ ق. م.

(١٨) الحاشية ١٦ ص ٩٣-٩١.

Ch. MAISTRE «Sur les grands - prêtres de Ptah» JNES 8(1949) p. 84- (١٩)

89.

كَلَفَ بوضع اللباس لتمثال الإله وقد ظلّت وظيفته ثابتة طوال تاريخ مصر. ولكن اسم هذا الكاهن أعطى أيضًا لرئيس الكهنة الذي يخدم سوكاريس، الذي هو إله الأموات في ممفيس والذي تماهى سريعاً مع أوزيريس، فقدمت له عبادة جنازية. لهذا فإن «سام» (خادم) سوكاريس هو العامل الرئيسي في كتاب الطقوس (٢٠) وهكذا صار «سام» بتاح لقب خادم سوكاريس، ودلّ على تفوق سوكاريس على بتاح. وإذا واصلنا التعرف إلى عظماء الكهنة في ممفيس، نفهم التداخل بين الالهوت والنظم الدينية.

لا نعرف بالضبط كيف يصل عظيم الكهنة إلى الدرجة العليا. ففي السلالة السادسة (٢١)، كان الملك يهتم اهتماماً شخصياً بتنمية عظيم الكهنة. وكان لهذا الاصلاح الهام نتائج امتدّ طويلاً في التاريخ. فتعداد الألقاب يبدأ بالأدنى ويصل إلى الأعلى. «كاهن أو أب بتاح». ثم رئيس أسرار إلهه، رئيس الصناع، مدير أوابت، مدير حقل سوكاريس، نديم الملك، رئيس «سام»،نبي بتاح ونبي سوكاريس. وأخيراً صار رئيس «المشاركين في عيد رع». وفي الوقت عينه «عظيم رؤساء الصناعين» (٢٢).

ج - طيبة

حلّت طيبة محلّ ممفيس منذ الالف الثاني. وصارت عاصمة مصر مع المملكة الوسيطة (٢٣). ولكن نما نفوذها بعد أن طرد ملوكها الهكسوس (٢٤). فنعم أمون (٢٥) «السري» بهذه النجاحات السياسية. تماهى مع رع فصار على رأس

(٢٠) J.C.GOYON, Rituels funéraires de l'ancienne Egypte, Paris 1972, p. 96-97.

(٢١) بعد سنة ٢٣٥٠ ق.م.

(٢٢) راجع حاشية ١٩، ص ٨٥.

(٢٣) ١٧٧٠ - ١٥٨٠ ق.م.

(٢٤) مجتاحون حوريون وساميون اجتاحوا مصر من سنة ١٧٣٠ إلى سنة ١٥٨٠ إله طيبة. سيتماهى فيما بعد مع رع.

مجمع الآلهة^(٢٦)). وكشفت ثروة معبده الضخمة ثروة سائر المعابد. فهليوبوليس وممفيس اللتان هما أكبر مدينتين في مصر بعد طيبة، امتلكتا موارد محدودة جدًا. فكهنوة وموظفو هليوبوليس كانوا سبعة ما في طيبة. وما في ممفيس واحد من سبعة وعشرين^(٢٧). وتحدث وثيقة تعود إلى رعمسيس الثالث^(٢٨) عن ٨١٣٣٢ شخصاً في خدمة أمون.

أولاً : كهنة أمون

تنوع هؤلاء الكهنة، وتوزعوا على مراتب مختلفة.

- في قمة الهرم نجد «الآباء الآلهين» الذين يمارسون وظائف الكهنوت. هم الذين يفتحون أبواب السماء. وهم المقبولون «ليروا جميع تجليات الاله». لهم وحدهم الحق بأن يشاركون في احتفالات الذبائح. وتألفت حلقة الآباء الآلهين من أنبياء عاديين، من أنبياء في الدرجة الرابعة وفي الدرجة الثالثة، من النبي ثان، ومن النبي أول أو عظيم كهنة أمون. وكان بالامكان إرتقاء هذه الدرجات المختلفة قبل الوصول إلى وظيفة عظيم الكهنة. ولكن ذلك لم يكن ضروريًا. فلكل من النبي الأول والنبي الثاني «منزل» مهم. ولقب «نبي» الذي أعطي للكهنة يعود إلى ترجمة يونانية للفظة مصرية تعني «خادم الله»^(٢٩).

- بعد ذلك نجد الكهنة «واب»، الطاهرين أو المطهرين. فالفعل يعني طهّر، نقى، نظف. والواب هو كاهن عادي. نصل هنا إلى مفهوم أساسي للعبادة في مصر. فكل من لا مس أواني العبادة والتقادم المقدسة، وجب عليه أن يكون في حالة الطهارة. كان هؤلاء الكهنة يحملون قارب الاله، فيضخون الهيكل. يزيّنون تمثال الاله فيلعبون دور التطهير. كان عددهم كبيراً، وكانت يتوزعون في عدد من القبائل الكهنوتية. وكان عليهم رئيس أو عظيم كهنة. وبجانب هؤلاء الكهنة، نجد

Panthéon. (٢٦)

٥٣ حاشية^٥، ص . (٢٧)

١١٩٨-١١٦٦ . (٢٨)

L. RAMLOT, DBS VIII Prophétisme, col 862-865. (٢٩)

الكهنة القارئين الذين استقلوا عن الكهنة الطاهرين ولكنهم لم يكونوا أدنى منهم. وتوزّعوا فدلت تراثية. كلفوا بالمحافظة على الطقوس، فوجّهوا الأعمال الدينية مستعينين ببرديات تتضمن نصّ برنامج الاحفال. وكان كهنة غير الكهنة القارئين انقسموا فرقاً وعاونهم العوام^(٣٠) في الخدم المادية.

• وأخيراً نجد النساء وكنّ عديدات. في البداية هنّ يقمن بالتشيد والموسيقى. ثم صرن «سريات» الاله، وتوزّعن في قبائل كهنوتية. على رأسهن زوجة عظيم الكهنة وربما إحدى السيدات الملكيات. كونت السريات موكب زوجة أمون التي سميت «اليد الالهية» أو «العابدة الالهية».

ثانياً : الحقل الزمني

لم يكن جميع العاملين في هيكل أمون من الكهنة. فحقل أمون الزمني اغتنى جداً خلال المملكة الحديثة. فاستخدم عدداً كبيراً من الموظفين يهتمون بالإدارة العامة، بمراقبة المكان (الشرطة)، بخدمة الهيكل، بتأمين الطعام للساكنين فيه، بكفر الهيكل. وكان هناك من يهتم بالحقول والبهائم والأهراء^(٣١). وكانت بعض الوظائف مطلوبة جداً بعد أن أخذ عظيم الكهنة يهتم بالحقل المادي. ونمط هذه القوة الاقتصادية نمواً كبيراً، فتعقدت بسببها العلاقاتُ بين الكهنة والسلطة الملكية.

ثالثاً : الملوك وعظماء الكهنة

الملك هو الذي يسمى النبيّ الاول لأمون، ويصادق على اختياره بقول بنوي^(٣٢). يعلن الملك أمام الحاشية عبارة التولية: «أنت عظيم كهنة أمون. كنوزه وأهراؤه مختومة بختمرك. أنت رئيس هيكله». ويعطيه محاسين ذهبيين وعصا رمزاً لسلطته، ومنادياً مكلاً بإعلان الخبر في مصر كلها. ويجعل عظيم الكهنة على مستوى الموظفين الكبار. ويكون لعظيم الكهنة بدوره تأثير كبير على الملك ولا سيما بواسطة الأقوال النبوية التي يمتلكها الكهنوت وحده.

(٣٠) من ليس بكافن Laïc

(٣١) حاشية ٥ ، ص ٥٥-٥٨

Oracle (٣٢)

أما تاريخ العلاقات بين عظيم الكهنة والملك، فتبعد في ثلات مراحل. المرحلة الأولى هي حقبة عظماء الكهنة الذين سبقو الكاهن الملك حريهور. ففي أيام حتشبيسون^(٣٣) وتحوتmes الثالث^(٣٤) كان عظماء الكهنة أولى الأصدقاء للملك والسد المتبين للعرش. كانت عملية إصلاح اخناتون^(٣٥) محاولة ردة فعل عنيفة ضد الكهنة. واستفاد عظيم الكهنة «روميري» في نهاية السلالة التاسعة عشرة^(٣٦) من ضعف السلطة ليقوى مركزه. المرحلة الثانية هي حقبة الامراء الكهنة في خط حريهور الذي استطاع في نهاية السلالة العشرين^(٣٧) أن يرتفع إلى السلطة العليا ويعلن نفسه ملكاً. حلَّ مسألة التوتر بين الملك والكهنوت، فكُلِّفَ ابنه بيانكي بالمهمة الكهنوتية. وأخذت سلالة بوبياس بالسياسة عينها. والمرحلة الثالثة هي حقبة عابدات أمون الالهيات. تدشنت في القرن الثامن حين ألغى اوسركون الثالث رئاسة الكهنوت كعنصر هام في الحياة السياسية في طيبة، وجعل على رأس كهنة أمون الزوجات الالهيات والعابدات الالهيات.

٣ - الكهنة المصريون

إذا كان الكهنوت خدمة ملکيّة، فالموظفوون الذين يقومون بهذه الخدمة كانوا عديدين ومتّوّعين .

أ - الكاهن

من الصعب أن نجيب على هذا السؤال: «من هو كاهن؟»؟ سبق لنا واحتفظنا بلقبيْن مهميْن: «خدّام الله» المقبولون لأن يشاهدوا الإله، أي أن يدخلوا في

(٣٣) Hatshepsout. ملكة في السلالة ١٨ (١٥٢٠ - ١٤٨٤). تزوجت تحوتmes الثالث.
وأستولت على السلطة خلال قصور صهرها تحوتmes الثالث.

(٣٤) القسم الأول من القرن الخامس عشر (١٤٨٤ - ١٤٥٠).

(٣٥) حوالي سنة ١٣٦٠ ق.م.

(٣٦) سنة ١٢٣٣ - ١٢٠٥.

(٣٧) في بداية القرن الحادي عشر.

أقدس مكان في الهيكل. ثم: المطهرون. ومن الصعب أيضاً أن نحدد بدقة مختلف الفرق الكهنوتية. هناك مجموعات نجدها تارة في الكهنوت الأعلى وطوراً في الطبقات الأدنى. هناك وظائف (مدبر، صانع) يقوم بها الكهنة أو يقوم بها العوام. أما الكاهن فهو كل انسان نال تطهيراً جسدياً فصار في حالة من الطهارة المطلوبة للدخول إلى المكان المقدس أو للمس الآنية المقدسة والطعام المكرّس للاله. كانت الحفلة بسيطة، والمطهرون عدديين، لكن المسافة كانت شاسعة بين عامل في الهيكل وكاهن قبل لأن يشاهد الاله.

ب - الوصول إلى الكهنوت

كيف يصبح الانسان كاهناً؟ لا نستطيع أن نحدد بسهولة القواعد المعمول بها في كل المعابد وفي كل الحقبات. أما المبدأ العام، فهو التكليف الملكي الذي يصبح أمراً ملماوساً حين يعين الملك شخصاً من الاشخاص أقله للوظائف العليا. هذا ما فعله توتنخ أمون^(٣٨) الذي نظم أنبياء وكهنة بعد فشل اصلاح اختانتون. واختار رعميس الثاني^(٣٩) عظيمَ كهنة من خارج كهنة أمون. أما كيف البلوغ للوظائف الكهنوتية، فالسبيل كانت عديدة: حق الوراثة الذي كون سلالات كهنوتية. الاتفاق، أي يجتمع الكهنة ويعينون المختار السعيد. وأخيراً شراء الوظيفة الكهنوتية ولاسيما في الحقبات الأخيرة من التاريخ المصري.

ج - بدء القيام بالوظيفة

هناك ثلاث مراحل في التكريس الكهنوتي: تقديم إلى الهيكل. تطهير. رؤية الاله. يقول نص وُجد على تمثال في القاهرة: «تقدّمتُ أمام الله فأدخلت إلى أفق السماء.. خرجتُ من نون (المياه الأولى) وتخلّصت من كل ما كان فيّ من شر».

(٣٨) فرعون في السلالة ١٨ ١٣٥٤ - ١٣٤٦. صهر أمينوفيس الرابع، اختانتون. أجبر على العودة إلى عبادة الاله أمون.

(٣٩) ١٣٠١ - ١٢٤٥ ق.م.

خلعت ملابسي والمراهم كما سيطهر حورس وسيت. تقدمتُ أمام الآله في قدس القدس وأنا مملوء رعدة أمام قدرته»^(٤٠).

د - متطلبات الكهنوت

ما إن يتقلّد الكاهن المصري وظيفته، حتى تفرض عليه بعض المتطلبات في ممارسة وظائفه. الشرط الأول هو ظهارة جسدية: يتلقى الخدام بالاغتسال من كل نجاسة. ويغسلون أيضًا فمهم بالنظر إلى المذوب بالماء. وقال هيرودوتس: يحلق الكهنة جسدهم كله مرّة كل يومين. ويختتنون من أجل النظافة، لأن النظافة تتفوق عندهم على الجمال^(٤١). وخضع الكهنة لبعض المحرمات على مستوى الطعام، ومارسوا العفة الجنسية أقله خلال حضورهم في الهيكل. ومنع عنهم بعض المنسوجات مثل الصوف بسبب الحرارة في المعبد^(٤٢).

ه - ممارسة الكهنوت

تجتمع النشاطات المتعددة لدى الكهنة المصريين حول ثلاث وظائف رئيسية: شعائر العبادة. الأقوال النبوية. التقليد.

أولاً : شعائر العبادة

أول وظيفة من وظائف الكهنة هي تأمين شعائر العبادة للآلهة، والمحافظة على تماثلهم. فيتدخلون خلال خدمة الآلهة اليومية التي تتضمن ثلاثة خدم، في الصباح والظهر والمساء. في خدمة الصباح يقدم الطعام للآلهة ويُغسل ويزين ويُخضب. هذه الخدمة هي الأهم. وقد تكون بسيطة أو احتفالية. واعتادوا أن يُخرجو تمثال الآلهة في تطواف. هذا في الأيام العادية. وهناك الأعياد الكبرى. في هذه الأطر المختلفة، كانت كل فتة تعمل حسب تخصصها.

(٤٠) حاشية ٥، ص ٤٧.

(٤١) ٢٧:٢. كان يهتم اليونان بالجمال. ولهذا رفض خاقفو الله أن يختتنوا مع أنفسهم أخذوا بعدد من شرائع التوراة.

(٤٢) حاشية ٥ ص ٣٣ - ٤٠.

نضع جانباً الحفلات الجنائزية، لأن الكهنة الذين يقومون بها هم مستقلون عن المعابد في أغلب الأحيان. ففي طقوس التطهير، يكون سيد الاحتفال «رئيس الاسرار». بجانب «المدير الالهي» يقف عدد من الكهنة القارئين فيتلون العبارات التي ترافق أعمال التطهير. أما طقس فتح القم فيعطي الدور الاول للكاهن سام يعينه كاهن قارئ. أما الاشخاص الثانويون فيتمون إلى مجموعة كهنوتية أو دينوية^(٤٣).

ثانياً : الاقوال النبوية

يمسك الكهنة سلطة القول النبوىّ. وأشهره قول القارب. وكانوا يستطيعون أيضاً أن يسألوا الله في هيكله، أو يطلبوا منه طلباً خطياً. ويعرف الله بإرادته عبر الاحلام التي يجب أن تفسر. واستعملت تقنية ثانية هي تقنية الحيوانات المقدسة. تشير نصوص عديدة إلى أن الثور أبيس كان يكشف المستقبل لمن يسألة. ومهما كانت الاساليب المستعملة، فدور الكهنة كان مسيطرًا. لهذا كان تأثيرهم كبيراً.

ثالثاً : التقليد

والكهنة هم حافظو التقليد. هي وظيفة مهمة جداً في حضارة مرکزة على ثبات الاشياء، لا على تحولها وصيرورتها. حين ندرس الكهنوت في هليوبوليس وفي ممفيس، نلاحظ مختلف التقاليد حول الخلق كما عرفتها القرون العديدة. فالمصريون قد تعلقوا بكل رق قديم، وطلبوها في نصوص من الماضي جواباً على أسئلتهم الحاضرة. وفي «بيوت الحياة» القرية من المعابد، دونت الكتب الليتورجية وصيغت عناصر العلوم المقدسة. ومع التقاليد الدينية تعاطى الكتبة في بيوت الحياة مختلف مجالات العلم من تاريخ وجغرافيا وفلكيات وطب ودراسة الحيوان . . .

(٤٣) حاشية رقم ٢٠ ، ص ٩٦ - ٢٧ - ٢٦ .

خاتمة

ما كان كهنة مصر مستودع حقيقة موحاة. ولا كانوا موجّهين روحين للشعب. فبدوا منفّذين دقّيقين لطقوس دينية باسم الملك الذي هو الكاهن الحقيقىّ. كانت طهاراتهم طهارة طقسية. وما إن يتّهوا من خدمتهم حتى يعودوا إلى أعمالهم اليوميّة. أما قوّتهم فارتبطت بالتزامهم الشخصي أكثر منه بوظيفتهم.

الفصل الثاني

الكهنوت في بلاد الرافدين ولدى الحثيين

لا نستطيع أن نتحدث عن الكهنوت دون أن نتحدث عن الملكية . ولا ننسى أهمية الهيكل وكل ما هو مقدس من أوان وتقادم . ويرتبط كلُّ هذا بمسألة الظاهر والطهارة ، حيث تلعب التنقية من كل نجاسة دوراً كبيراً في حياة الكهنة وخدمتهم . أما مجال كلامنا فهو بلاد الرافدين وعالم الحثيين .

١ - في بلاد الرافدين

ندرس هنا شخص الملك ووظيفته . ثم الموظفين في الهياكل .

أ - شخص الملك ووظيفته

إن العلاقة بين من هو الرئيس وبين سلطة الملك ، أمر مهم في تاريخ الديانات . ونستطيع القول إن وضع ملوك بلاد الرافدين اختلف عن وضع الفرعون . هذا مع العلم أننا لا نستطيع أن نتكلّم عن « الملكية الرافدية » وكأنها وحدة تامة وغير مميزة . بل يجب أن نأخذ بعين الاعتبار الأمكانة والأزمنة لتجنب كل تعميم واستخراج صفات ملكية من موضع فضبعها في مكان آخر .

أولاً : (ان) السيد الكاهن

إن لقب «إن» الذي أخذه بعض ملوك الحقبة القديمة يعني السيد الحاكم . ثم

الكاهن الاعظم^(١). هل يعني هذا أن حامل اللقب كان دوماً «الكاهن» (=عظيم الكهنة)? يبدو أن اللقب ارتبط بمدينة أوروك، ووُجد فقط في أسماء العلم («إن» بدا مشعاً) أو أسماء الآلهة (إن كي، أي إله الأرض)، في لقب أعطى لمملوك أوروك^(٢) الابطال (ان-كولابا)، في «إن سومر» وهو لقب ملك أوروك انشكوشانا. وفي مدينة إلها الأول أنشى «إن» هو عظيم كهنة هذه المدينة وفي الوقت عينه ملكها (بالدرجة الأولى). وفي مدينة إلها الاول ذكر، هناك كاهنة «إن» بقرب الملك. ويجب أن نلحظ في استعمال الألقاب، التنوع الجغرافي. ففي الحقبة السابقة لسرجون^(٣) ارتبط «إن» بمدينة أوروك. أما دولة لجش^(٤) ففضلت «إنسى». وفي خارج أوروك ولجش، كان لقب الملك «لوغال»^(٥).

ثانياً : شنغو المدبر

قدمت لنا الألقاب الملكية بعض المعلومات الدقيقة حول شخص الملك (إن). وتبقى لفظة «ش ن غ» التي ترجمت خطأ «الكاهن» بينما هي تعني بشكل عام «المدبر». فهناك عدد من الملوك الأشوريين أخذوا هذا اللقب: الإله ثبت «شنغوتو». حيث تندّر تصور وظيفة ملكية، ولكن في سياق لا يرتبط بالضرورة بشعائر العبادة. إذن، الملك هو شرعاً مدبر الهياكل و«شنغو» ليست في ذاتها لفظة من الألفاظ الدينية. فالمدينة قد يديرها «شنغو» مثل لارسا^(٦). في الحقبة البابلية الجديدة^(٧)، نجد «شنغو» في المدن التالية: سيفار، أكاد، دلت، كيش^(٨).

M.J. SEUX, Epithètes royales akkadiennes et sumériennes, Paris 1967, p. (١) 396-397.

(٢) مدينة في الجنوب العراقي. هي إرك في تلك ١٠:١٠.

(٣) هو سرجون الأكادي (بداية القرن ٢٣).

(٤) لجش هي مدينة سومرية في بلاد الرافدين.

D.O. EDZARD, Le palais et la royauté, Paris 1974, p. 147. (٥)

(٦) لارسا: مدينة سومرية قديمة تقع في جنوب بلزنونية.

(٧) تبدأ في القرن ١١ وتنتهي في القرن ٩.

(٨) مدينة قديمة في بلاد الرافدين. تقع قرب بابل.

وكتب عن كيش أن «شنغو» كان موظفًا ملكيًّا عينه ملك بابل وأرسله إلى سيفار ليراقب المعاملات في الهيكل ويجمع الضرائب^(٩). ونشر أخيرًا إلى وظيفة بسيطة حول توزيع اللحوم في إيانة (هيكل) أوروك في زمن نبو أبلا إدينا^(١٠). يُذكر خادم العبادة الموكل بالمركبة التي تُستعمل في الاحتفالات.

ج - المسحة بالزيت

ونطرح السؤال: هل مسح الملك الراfdيني بالزيت؟ هناك من رفض المسحة بالزيت في طقس التتويج. ففي جزء ينتمي إلى خبر تتويج نبوفلاسر^(١١) لا تذكر المسحة ولا التاج ولا الصولجان. أما مسحة أسرحدون^(١٢) فترتکز على أمور غير أكيدة. ما نملكه في الواقع هو طقس تتويج واحد يعود إلى نهاية الحقبة الآشورية الوسيطة. حمل الزيت المصبوب في كأس ذهبية من القصر إلى الهيكل وجعله الملك عند قدمي الله^(١٣). بسبب فجوة في اللوبيحة، لا نستطيع أن نقول لماذا يُستعمل هذا الزيت، ولستنا بأكيدتين أنه استُعمل للمسحة. وهناك عنصر آخر: أخذ ثلاثة ملوك من سلالة أكاد^(١٤) (هم سرجون، منيشتوسو ، نرام سين) لقب «ممسوح أتو»^(١٥). إن لقب «فشيشو» يدلّ على «خادم» من الدرجة الثانية. كانت وظيفته تقديم القرابين غير الدموية والقادم للموتى. اعتبر بعضهم أن المسحة بالزيت كانت وسيلة لممارسة العهد. دلت هذه اللفظة على النظافة، فطبقت على

R.HARRIS, Ancient Sippar. A demographic Study of an old babylonian city (1894-1595 BC) Leiden, 1965, P. 160. (٩)

(١٠) القسم الأول من القرن التاسع ق.م.

(١١) ٦٢٥ - ٦٠٥ ق.م.

(١٢) ٦٨٠ - ٦٦٩ ق.م.

K.F. MÜLLER, Das assyrische Ritual, Teil I: Texte zun assyrischen Königsritual, Leipzig 1937. (١٣)

(١٤) سنة ٢١٥٠ - ٢٢٣٠ ق.م.

(١٥) فشيش أنيم.

فئة من موظفين في شعائر العبادة، فُرضت عليهم الطهارة الطقسية في ممارسة وظيفتهم. إذا كان هؤلاء الملوك الثلاثة الذين اختاروا هذا اللقب قد نالوا المسحة، فليست هذه المسحة مسحة ملكية. بل تضمنّت لقباً له خلفية سياسية وهو السلطة على أوروك.

رابعاً : نظرة شاملة

إذا أردنا أن نحدد تحديداً أفضل دور الملك، نعود إلى بعض العناصر التي اكتشفها «أوزار»^(١٦) بالنسبة إلى الحقبة القبلسرجونية^(١٧). قال: «إليك بعض الأمور المعروفة. يبني الملك الأبنية الكثيرة. يقود الحروب أو يعقد المعاهدات. ينضم إلى معاملات بيع الأراضي. يؤكّد أنه يحمي عن العدالة. يهتمّ مع امرأته بعدد من المهمّات الإدارية. يشارك مشاركة ناشطة في الحياة الدينية. يعين الكهنة. يخرج في التطوافات. يشارك في الأعياد ويقدم التقادم. ولكننا نجهل موقعه في شعائر العبادة. كما نجهل معنى الصفات المسلكية المرتبطة بالله: قربة (الالاهة الام)، ارتباط مع الالاهة إنانه، حكمة، قدرة، شارات، دعوة. نجد للمرة الاولى لدى إن توم، حلم ملك يظهر له الله، كما نشهد طريقة تُدخل مولد الله في عالم الميتولوجيا. وكل هذا يظهر دون أية إشارة إلى تأليه الملك».

وبختصر الكلام يصعب علينا أن نحدد الدور الديني للملك. فلا وثائق إدارية تدل على أن الملك هو عظيم الكهنة. كما أن توزيع الالقاب برهن أن الكهنوت لم يكن جزءاً لا يتجزأ من الملك. أما الملك الاشوري فهو «مدبر» (شنغو) جميع المعابد في بلاده^(١٨).

(١٦) حاشية ٥، ص ١٤٨

(١٧) تسيق ٢٣٠٠ ق. م. أي قبل سرجون الاكادي.

G.VAN DRIEL, The cult of Assur, Assen, 1969, p.174 (١٨)

ب - العاملون في الهياكل

أولاً : نظرة عامة

كان للملك سلطة على الهياكل والعاملين فيها. ففي بابلونية^(١٩)، الهيكل هو ملك الله. هو بيته، وهو حاضر فيه طبيعياً بتمثاله. لهذا صار الموضع مقاماً مخصصاً للعبادة التي هي في جوهرها خدمة رب المكان^(٢٠). ففي السومري كما في الآكادي، لا نجد لفظة واحدة لندل على «الكافن» في مفهومنا الحديث. فلفظة «شنغو» تدلّ على مدير الهيكل على مستوى المهمات الإدارية كما على مستوى المهمات العبادية. ولفظة «اريبيتي» (الداخلون) هم الذين يحقّ لهم الدخول إلى جميع أقسام البيت (الهيكل). فالوظائف الإدارية والعبادية يقوم بها في الهياكل ثبات مختلفة لا تحدّد صفاتُها «الكهنوتية». لا نستطيع أن نقدم نظرة شاملة، لأن تنظيم الأشخاص اختلف بين هيكل وآخر، بين منطقة وأخرى، بين حقبة وأخرى. فلا وضع الهياكل هو هو ولا أهميته. لهذا نتوقف عند بعض الحقّبات.

ثانياً : تنظيم الهياكل في الحقبة البابلية القديمة

نتوقف عند الوظائف المتعلقة بالعبادة، ونترك جانبًا ما يتعلّق بالعرافة والتنجيم. هناك أولاً لقب «إنوم» (في السومري «إن»). ويعادله المؤنث «إننوم»، أخت الله، أو «السيدة الالاهة». ونجد أيضاً المدير الرئيسي للهيكل الذي يتدخل في شعائر العبادة. أما «إيشيووم» فيقوم ببعض طقوس التطهير، مثل تطهير مدينة أو موضع مقدس. وكان له مركز اجتماعي رفيع. وهناك فتناً ترتبطان بالمسحة بالزيت. هما في الدرجة الدنيا بين الكهنة. بالنسبة إلى «فشيش»^(١٥) يبدو أنه كاهن ممسوح بالزيت ومكرّس تكريساً طقسيًّا منذ بداية نشاطه. في أي حال، لا

(١٩) جزء من بلاد الرافدين. عاصمتها بابل.

E. SOLLBERGER, «The Tempel in Babylonia» p. 31-34 dans le temple et le culte, Leiden, 1975.

نستطيع أن تقابل هاتين الفتتين الأخيرتين مع عظيم الكهنة في أرض إسرائيل . وتضمنت الاحتفالات الموسيقى والأناشيد . وبين موظفي الهيكل نجد المغنين للاحتفالات العادية ، وللمراثي أو الاحتفالات الجنائزية . وكان هناك الكاهن المطهر .

وتضمن عالم التوظيف في الهياكل عدّة فئات من النساء . «نديتوم» هي امرأة من المجتمع الرفيع تعيش في «دير». يُسمح لها بالزواج ، ولكن لن يكون لها أولاد . «قديشتم» تستطيع أن تتزوج ويكون لها أولاد . كان مقامها أدنى في الحقبة البابلية منه في الحقبة السومرية . ولكننا لا نستطيع أن نحدد موقع هاتين الفتنتين في شعائر العبادة وإن كانت الاعتبارات الاقتصادية تلعب دورها . وبين النساء نجد أهل الموسيقى والغناء .

ثالثاً : تنظيم الهياكل في أشورية^(٢١)

هناك الحقبة الأشورية القديمة والوسطى والحديثة . فلقب «شنغو» يتوزع بين فئات : الطالبون ، المبتدئون ، المعاونون . ولفظة «كومرو»^(٢٢) التي نجدها في الكلعنائية والaramية ، نجدها أكثر ما نجدها في الحقبة الأشورية القديمة . ما هو مركزها في شعائر العبادة؟ ربما مع «الأنبياء». لا نعود نجد هذه اللفظة في الحقبة الأشورية الجديدة^(٢٣) .

رابعاً : تنظيم الهياكل في الحقبة الهلنستية^(٤)

تُدرس هذه الحقبة انطلاقاً من الكتابات المسماوية^(٥). الأكثر استعمالاً هو

(٢١) منطقة بلاد أشور ، في شمال بلاد الرافدين .

(٢٢) في السريانية «كومرا» (حيث نستطيع أن نلفظ الكاف مثل الخاء) .

(٢٣) راجع حاشية ١٨٠ ، ص ١٧٠-١٩١ .

(٤) بدأت مع دخول الاسكندر الكبير حيث تطعمت الحضارة اليونانية بالحضارة الشرقية فكانت «حضارة جديدة» ولغة جديدة ولا سيما في المدن .

G.J.P.Mc EWAN, Priest and Tempel in Hellenistic Babylonia, Wiesbaden 1981. ch.I: «Priests and non-Sacerdotal Temple Personnel p. 7-66 avec tableau récapitulatif des fonctions à Babylone et à Uruk (p.63).

«أريب بيتي». ولقب «شنغو» (النادر وجوده) لا يميز كثيراً عن «طفوشارو» (الكاتب). غاب العراف (بارو)، وهذا ما يدلّ على تطور في علم الفلك. خلال هذه الحقبة، «أسيفو» هو أهم الكهنة «الأشخاص». هو المقسم أو مخرج الشياطين. هو المعزّم. ظلّ محافظاً على مكانته لأنّه يمثل طبقة قديمة في الديانة الراfdية، ساعة جاء علم الفلك متّخراً. ووُجّد في نصوص اوروك «فشيرو» (مفسّر الاحلام) الذي يذكّرنا بالعبرية «ف ت ر» والارامية «ف ش ر» (فسّر في العريبة).

هذه الاشارات السريعة ترسم خطّاً من التطور في تواصل حقيقيّ. فهو لاء الرجال الذين خدموا الهياكل بصفات متنوعة، لعبوا دوراً كبيراً في الحياة الدينية والوطنية حيث اتّخذ عملهم معناه. لعبوا دوراً اقتصادياً هاماً^(٢٦). ولعبوا أيضاً دوراً ثقافياً. وإذا عملوا من أجل استمرارية شعائر العبادة، حافظوا على التقليد الديني، وعملوا من أجل نمّة.

٢ - في عالم الحثيين

التقى على أرض Anatoliotique^(٢٧) عدّة مجموعات إثنية^(٢٨) ولغوية مع سيطرة هندوأوروبية^(٢٩). وتأثرت بعض الشيء بلاد الرافدين^(٣٠). فجاء تقليدها الديني مزيجاً من هذه العالم التي سيطرت على جزء مما يسمى اليوم تركيا^(٣١).

(٢٦) حاشية رقم ٢٠، ص ١٢٤-١١٦ بعنوان: الهياكل والسلطة الملكية في أشورية من القرن ١٤ إلى القرن ٨ ق. م.

(٢٧) ما يقابل الاناضول في تركيا.

(٢٨) Ethnie عرق، موروث عنصرياً.

(٢٩) هي لغات «هندية» وصلت إلى أوروبا (المانيا وغيرها).

R. LEBRUN, «Les Hittites et le sacré» dans l'expression du sacré dans les grandes religions, I, Louvain- La- Neuve 1978, p. 155-202

B. SERGENT, «Panthéons hittites trifonctionnels» RHR 200 (1983) p. (٣١) 131-153.

أ - مكانة الملكية

الملكيّة تشير إلى الملك. ولكنها تشير إلى الملكة أيضًا بسبب الدور الكبير الذي تلعبه المرأة الحثية في المحيط الارستوغرافي. وإذا تطلعنا إلى حلقة الآلهة، نرى الملك صاحب سلطان خاص. غير أنه عند ساعة موته، يعرف التالية والتمجيد، وينضم إلى الآلهة. كان يقول الملك الجديد: «حين صار أبي الشمس إلهاً». وهكذا يدل على أن أباه مات. في درجات الأشخاص المكرّسين، الملك هو الأول، هو المقدس والطاهر. يحرّم لمسه^(٣٢) ويُحْمَى من كل اتصال قد ينجمّه، وتُعطى التعليمات للعاملين في القصر لكي يؤمّنوا طهارة الملك^(٣٣). والطابع المقدس للملك ليس على المستوى الأنطولوجي، بل على مستوى العلاقة: «إن الطابع المقدس للملك وعظماء الكهنة ينحصر في حالة الطهر والقداسة، وهذا ما يتبع لهم أن يتصلوا بالآلهة في إطار الوساطة»^(٣٤).

فالملك هو كاهن الآلهة وال وسيط بينهم وبين البشر. «كان الملك الحثي العبر الأعظم في الديانة، وكان يترأس جميع الحلقات الكهنوتية. وبما أن الكهنة هم أشخاص مقدّسون، صار الملك مقدّساً وكلّي القدسية^(٣٥). هناك نصّ للملك مواتلي يعبر تعبيراً قوياً عن الطابع الديني للملكية الحثية يقول: «كنت إنساناً مائتاً. ولكن إبّي كان كاهن الالاّهة الشمس وجميع الآلهة. (في الحقيقة) أبي ولدّني. أما أنت يا ملك العاصفة، فأخذتني من أمّي ورفعتني. جعلتني كاهناً للالاّهة الشمس (أرينا) وجميع الآلهة. وأخيراً جعلتني ملكاً على أرض الحثيين»^(٣٦).

Tabou (٣٢)

(٣٣) ANET p. 207 (نصوص الشرق الأوسط).

J. RIES, Les religions et le sacré. Louvain La- Neuve, 1981. p.116. (٣٤)

(٣٥) حاشية ٣٠، ص ١٧٠.

M. VIEYRA «Les texts hittites» dans les religions du Proche-Orient. (٣٦)
Paris 1970, p. 564.

حين يمارس الملكه كهنوته، ترافقه الملكه التي تلعب دوراً هاماً في الطقوس. يكون الاحتفال في عيد الربيع، فينشـد انتصار الـله على الحـية إلـويـنـكا. ويرـوى عن الملك مورـشـيلـ الثاني أنه كان يقوم بحملـة على أرضـ كلاـسمـا، فترك مسرـحـ العمـليـات ليـحتـفلـ بهذا العـيـدـ. وفي عـيـدـ الخـرـيفـ كانـ الملكـ يـجـولـ فيـ آناـتـوليـةـ علىـ أـهـمـ المـعـابـدـ فيـ قـوـمـ بوـاجـبـاتـهـ تـجـاهـ الـآـلـهـةـ ويـحـافـظـ علىـ التـمـاسـكـ فيـ الـمـمـلـكـةـ. وـكـانـواـ يـعـبـرـونـ عـنـ هـذـاـ الـكـهـنـوتـ فيـ كـتـبـ طـقـسـيـةـ طـوـيـلـةـ، نـجـدـ بـعـضـهـاـ بـمـنـاسـبـ الـاحـتـفالـ بـالـعـيـدـ إـكـرـامـاـ لـإـلـهـ الـحـربـ^(٣٧). وـحـينـ كـانـ الملكـ يـمـارـسـ وـظـائـفـهـ، كـانـ يـرـتـديـ لـبـاسـاـ خـاصـاـ نـكـشـفـهـ عـلـىـ الـأـبـنـيـةـ: رـداءـ طـوـيـلـ وـوـاسـعـ يـصـلـ إـلـىـ الـكـاحـلـ. قـلـنسـوـةـ (ـطـاقـيـةـ) عـلـىـ الرـأـسـ. وـفـيـ يـدـهـ عـصـاـ مـلـتوـيـةـ عـنـ رـأسـهـ.

ب - الكهنة الحثيين

بـجانـبـ الـمـلـكـ، كـانـ هـنـاكـ كـهـنـةـ عـدـيدـوـنـ يـرـتـبـطـونـ بـهـ، وـيـتـوزـعـونـ عـلـىـ فـرـقـ عـدـيدـةـ، وـيـؤـمـنـونـ الـوـظـائـفـ الـمـقـدـسـةـ فـيـ الـهـيـكلـ. فالـكـاهـنـ يـشـارـكـ فـيـ الـقـدـسـ وـإـنـ بـدـرـجـةـ أـدـنـىـ مـنـ الـمـلـكـ. «إـنـ الـكـاهـنـ يـعـيـشـ فـيـ حـالـةـ مـنـ الـطـهـارـةـ تـفـرـضـ عـلـيـهـ أـنـ يـبـتـعدـ عـنـ عـالـمـ الـبـشـرـ. فـلـفـظـةـ «مـقـدـسـ» تـنـطـبـقـ عـلـىـ الـكـاهـنـ، وـبـشـكـلـ خـاصـ عـلـىـ رـئـيسـ الـكـهـنـةـ. كـماـ تـنـطـبـقـ عـلـىـ رـئـيسـ الـاحـتـفالـ أـوـ خـادـمـ الـمـعـبدـ. لـهـذـاـ صـارـتـ بـعـضـ أـجـزـاءـ جـسـمـ الـكـاهـنـ مـقـدـسـةـ. مـثـلاـ الـفـمـ. فـعـلـىـ الـفـمـ أـنـ يـكـونـ فـيـ حـالـةـ قـدـسـيـةـ خـاصـةـ، لـأـنـ الـكـاهـنـ يـتـلـفـظـ بـأـقـوـالـ تـوـجـهـ إـلـىـ الـآـلـهـةـ. وـطـقـسـ تـطـهـيرـ الـفـمـ هوـ أـحـدـ الـطـقـوـسـ الـهـامـةـ فـيـ الـعـالـمـ الـحـيـيـ»^(٣٨). وـنـزـيدـ فـيـ هـذـاـ الـمـجـالـ أـنـ الـحـورـيـنـ^(٣٩) سـمـواـ الـكـاهـنـ «الـمـقـدـسـ» الـطـاهـرـ (ـكـومـازـاـ مـنـ كـوـمـاـ).

(٣٧) المرجـعـ السـابـقـ صـ ٥١٤

(٣٨) حـاشـيـةـ، ٣٤ـ، صـ ١١٦ـ.

(٣٩) الـحـورـيـونـ شـعـبـ أـقـامـ فـيـ آـنـاتـوليـةـ وـأـسـسـ مـلـكـةـ مـيـتـانـيـةـ الـتـيـ انهـارتـ بـضـغـطـ مـنـ الـحـثـيـنـ وـالـأـشـورـيـنـ.

كيف يقوم الكهنة بوظائفهم؟ هذا ما تعرّفنا به «تعليمات لخدمة الهيكل»^(٤٠). تفرض حالة من الطهارة على من يقدم الخبرات. وعلى الكاهن أن يتظاهر قبل أن يمارس شعائر العبادة. كلمة واحدة تجمل عمل الكاهن: الاحترام. احترام الإله. احترام كلمته. احترام مشيئته. احترام المقام المقدس الذي يحدد الدخول إليه. احترام الأزمنة للاحتفال بالأعياد في تاريخها . احترام ما يحمل للآلهة من تقادم وذبائح. ومن تجاوز تعليمات يُعاقب بقساوة قد تصل به إلى الموت.

وهذا النصّ الهام يعدد أيضًا الفئات الكهنوتيّة: الكهنة، الممسوحون، أمهات الآله، خدام الهيكل . ويتحدّث النصّ عن عظماء الكهنة وعن الكهنة الأصغر. وتشير المقاطع الأخيرة إلى مهن تتعلق بالهيكل: الطباخون والخبازون الفلاحون والرعاة... وتنزيد على ذلك الوظائف المرتبطة بالسحر والعرفة^(٤١).

نجد في قمة الهرم الكهنوتي «سنكوني» (راجع في بلاد الرافدين: شنفو). سمي الملك نفسه «شنغا» الآله . ومارس أمراء من السلالة الملكية هذه الوظيفة في هياكل هامة. عرف الحثيون أهل الغناء والموسيقى كما عرّفوا الكاهن الذي يهتم بالخبر اليومي في الهيكل (رج خبز التقدمة).

وهنالك فرقـة أمهات الآله مع رئيسـتها. وسمـيـ السـحرـة بـاسـماء مـختـلـفة فـي كـتـبـ الطـقوـسـ . وـسـوـفـ نـرـىـ قـرـبـ الملـكـ ،ـ الكـاهـنـ ،ـ الـمـلـكـ ،ـ الـمـلـكـةـ هـذـهـ الـوـظـيـفـةـ فـيـ الـاحـتـفالـاتـ ،ـ فـيـ تـسـلـمـ الـأـقـوـالـ الـنـبـوـيـةـ ،ـ فـيـ تـهـيـةـ التـقـادـمـ وـالـسـكـبـ مـنـ الـخـمـرـ وـالـزـيـتـ .

خاتمة

تلك بعض العناصر حول الكهنوـتـ في بلـادـ الرـافـدـينـ وـعـالـمـ الـحـثـيـنـ .ـ أـبـرـزـناـ دـورـ الملـكـ الـذـيـ هوـ فـيـ الاـصـلـ الكـاهـنـ الـاـوـلـ ،ـ وـالـذـيـ يـفـوـضـ سـلـطـتـهـ إـلـىـ عـظـيمـ الـكـهـنـةـ ،ـ وـبـالـتـالـيـ إـلـىـ جـمـيعـ الـأـشـخـاصـ الـعـالـمـلـيـنـ فـيـ الـهـيـاـكـلـ .

(٤٠) نصوص الشرق الأوسط ص ٢٠٧-٢١٠.

M. VIEYRA, «Le sorcier hittite» in Le monde du sorcier, Paris 1966, p. (٤١) 99-125.

الفصل الثالث

الكهنوت عند الساميين الغربيين

بالرغم من الوثائق العديدة التي وُجدت في أوغاريت^(١)، وما يمكن أن ننتظر من حفريات إبلا^(٢)، تبقى معرفتنا للكهنوت في العالم السامي الغربي ناقصة. أما المدونات الaramية والفينيقية فتبقى أجزائية، فتصور لنا بعض نشاط العاملين في الهياكل. والتفتت الجغرافي والسياسي في «مدن ممالك» مستقلة ببعضها عن بعض، يمنعنا من كل تعميم. ومع ذلك، فهذه الحضارة هي المحيط القريب الذي تشرب منه العبرانيون. سوف نتحدث عن أوغاريت، عن الكتابات الفينيقية، والمصادر الaramية.

١ - أوغاريت

أ - مقدمة

قبل أن نتحدث عن أوغاريت نشير إشارة عابرة إلى إبلا التي تعود نصوصها إلى الألف الثالث، ولكنها نصوص لم تسلم بعد كل أسرارها. يسمى الملك «إن». ونجد لفظة «ملكتم» للدلالة على الملكة. المسحة الملكية هي موضوع

(١) أو رأس شمرا (رأس الشمر وهو نبات ذو رائحة).

(٢) Ebla. تقع قرب تل المرديخ، وتبعد ٧٠ كلم إلى الجنوب الغربي من حلب.

جدال. ووظائف الشيوخ كانت مهمة في الدولة. وُجِدت عدّة فرق من الكهنة والكافئات. نذكر منها «العرافة» التي تفسّر الأحلام. والكافن الممسوح بالزيت. ولكن تبقى النصوص صعبة والخلاف مستفحلاً بين الأخوين^(٣).

أما في ما يخصّ أوغاريت فالدراسات عديدة حول السطور والحكايات^(٤)، حول الحياة اليومية في أوغاريت من لوائح إدارية، دفع وبض، طقوس متنوعة. أما النصوص الطقوسية، فتتضمن لائحة الآلهة، لائحة التقادم، أنماط الليتورجيا، طقوساً سحرية. أو هي تحمل أقوالاً نبوية، صلوات وتعازيم ...

ونبدأ ببعض ملاحظات. الأولى: إذا كانت أوغاريت قد فتحت أمامنا نصوصاً عديدة، فمعروقتنا بالمماليك المجاورة لها تبقى ناقصة. لهذا نتجنب كل تعليم، نتجنب أن نجعل في مدن أخرى ما وجدناه في أوغاريت. الثانية: لا نستطيع أن نفسّر النصوص العلمية بواسطة السحر والحكايات التي تعود إلى حقبة سابقة لديانة أوغاريت. الثالثة: يُذكّر الكهنة بشكل خاص في اللوائح الإدارية. ويعيرون بشكل عام من كتب الطقوس التي تبدو متحفظة حول الاحتفالات ودور المحفلين. لهذا، نكون نحن أيضاً متحفظين حول الوظائف الكهنوthe. الرابعة: رغم القرابة اللغوية، لا نستطيع أن نفسّر كل ما في أوغاريت بالتوراة، ولا كل ما في التوراة بأوغاريت. لهذا، يجب أن نأخذ بعين الاعتبار إطار كل ديانة، فنقول مثلاً إن الكافن الأوغارطي لا يتماهى كلياً مع الكافن العبراني.

ب - دور الملك في شعائر العبادة

حين ندرس ديانة أوغاريت، نتوقف عند وجهين للملك:
أولاً: شخص الملك
إن الوثائق التي بين أيدينا لا تتيح لنا أن نقدم درساً واضحاً كل الوضوح عن

H.CAZELLES, Histoire politique d'Israël, Paris 1982, p. 35 (٣)

Mythes et légendes. (٤)

شخص الملك. فالحكايات تقدم لنا بعض العناصر حول الايديولوجيا الملكية . فلا كارت كان ملكاً في أوغاريت ولا دانيل . ونوصوـص الممارسة هي موجزة بحيث لا تتضمن شروحاً لاهوتية . فتأليـه الآباء (ج ث رم) وتكرـيمـهم لا يقولان شيئاً عن الوظيفة الرمزية للملك الحاكم . لا نستطيع أن نتكلـم عن ملك إلهي ، بل عن الطابـع القدسي للملك ، وهذا الطابـع هو أمر عادي في السياق الديني للشرق القديـم . ولا نستطيع أن نعود إلى الالـقـاب لأن لائحة الصفـات الملكـية تبقى محدودة^(٥) .

ثانياً : وظيفة الملك

يتدخلـ الملك في شعـائر العبـادة كالعامل الرئـيـسي . فإذا كان دـانـيل يـقدم ذبيـحة للـآلهـة^(٦) فـكـارت يـلـعب دورـاً هـاماً في الذـبـيـحة^(٧) . والمـعـلومـات التي تـقـدمـها نـصـوص تـتـحدـث عن المـمارـسة العـبـادـية ، تعـطـينا صـورـة لا بـأسـ بها . « حين نـظـرـ إلى المـمارـسة العـلـمـية لـملـوك أوـغـارـيت ، كما تـكـشـفـها لـنـا الطـقوـس الـلـيـتورـجـية ، نـقـولـ إنـ الملك يـعـملـ فـي عـدـدـ من كـتـبـ الطـقوـس كالـعاملـ الرـئـيـسيـ في شـعـائرـ العـبـادـة . وـما يـعـملـهـ مـحـدـودـ جـداً . فهوـ يـقـومـ بـطـقسـ التـطـهـيرـ بـواـسـطـةـ مـاءـ طـهـورـ . وـعـنـدـ غـيـابـ الشـمـسـ يـخـسـرـ الطـابـعـ الـقـدـسـيـ الـذـيـ لـهـ فـيـ النـهـارـ . تـحـمـلـ أـمـامـهـ إـلـىـ القـصـرـ الـمـلـكـيـ ، تمـاـيـلـ صـغـيرـ لـبعـضـ الـآـلـهـةـ ، وـتمـاـيـلـ الآـبـاءـ (جـ ثـ رـمـ) ، فـيـزـورـهـاـ ليـكـرـمـهاـ وـيـتـمـسـكـ بـهـاـ . ثـمـ إـنـ الـمـلـكـ وـالـمـلـكـةـ يـحـضـرـانـ فـيـ حـقـلـ عـامـ يـجـمـعـ كـلـ سـكـانـ اوـغـارـيتـ ، فـيـ طـقـسـ يـنـشـدـونـ فـيـ الأـنـاشـيدـ وـيـقـدـمـونـ خـرـوفـاـ وـحـمـارـاـ»^(٨) .

J.M. de TARRAGON, Le culte à Ugarit, Paris 1980, p.120-126. (٥)

A.CAQUOT, M.SZNYCER, A.HERDENER, Textes Ougaritiques, Paris (٦)

1974, p.455

A. De GUGLIELMO,«Sacrifice in the ٥٢٧-٥١٢ . راجع المـرـجـعـ السـابـقـ صـ ٥٢٧-٥١٢ . Ugaritic texts», CBQ 27 (1965) p. 76-96 Ici p. 87-88.

. (٨) حـاشـيـةـ ٥ـ ، صـ ١٢٥ـ ١٢٦ـ .

إن نقل التماثيل الالهية إلى بيت الملك (ب. ت. م. ل. ك) يدلّ على تداخل الوظيفة الملكية في حقبة البرونز الحديث^(٩) في شعائر العبادة. كما أن طقوس التطهير واضحة في ارتباطها بالملك. ولكن هذه الوظيفة الملكية سترعف الانحطاط، لأن سلطة الملك كانت محصورة في نهج إقطاعي وخضوع لدولة خارجية هي مصر أو الحثيون.

ج - العاملون في شعائر العبادة

إذا أردنا أن نتحدث عن العاملين في شعائر العبادة، نطرح سؤالين. الأول: ما هو دورهم في شعائر العبادة؟ الثاني: ما هي مكانتهم في المجتمع؟ يستحيل علينا على المستوى العملي أن نحدد دور الكهنة في شعائر العبادة، لأنهم لا يظهرون في أي طقس يكون فيه شخص الملك مسيطرًا. أما في ما يخص مكانة الكهنة في المجتمع، فلا نجد في أوغاريت أي تنظيم عبادي مستقل: فالكهنة، شأنهم شأن سائر الموظفين، هم جزء من «رجال الملك» (ب. ن. ش. م. ل. ك). أما صفة كل شخص فتساعدنا على تحديد بعض هؤلاء الأشخاص.

نذكر أولاً «ا. ن. ش. ا. ل. م» (رجل إيل). لا نعرف شيئاً عن وظيفته. كل ما نعرف هو أنه لا يرتبط بطقس محدد، لأنه يُذكَر في كتب طقوس مختلفة. رأى فيه بعضهم «خادم المعبد» المرتبط بالمعبد كالعبد بسيده (مثل صموئيل مثلاً). ونذكر ثانياً «ك. ه. ن. م» (نجد اللفظة في العريّة). لا نجد مؤنث هذه اللفظة. ولكننا نجد «رب. ك. ه. ن. م» أي عظيم الكهنة. لم يحدد الدور الليتورجي لهؤلاء «ك. ه. ن. م»، كما لا نستطيع أن نماهِي بين «رب. ك. ه. ن. م» ورئيس الكهنة في العهد القديم. وهناك من قابل بين «ك. ه. ن. م» الاوغاريتى و«شنغو» الأكادى^(١٠). ما

(٩) في الألف الثاني ق. م.

M. HELTZER, The internal organization of the kingdom of Ugarit (Ch VII, Temple personnel, its organization and the question of the Temple-economy in Ugarit, p. 131-139) Wiesbaden, 1982. Ici p. 133.

انحصرت وظائف الكهنة في الهيكل، بل هي ارتبطت أيضاً بالقصر. نحن نجد الكهنة في لواحق إدارية مع موظفين آخرين مثل «ن ق د م» و«ط ن ن م» الذين ارتبطوا بالعبادة وإن كنا لا نستطيع أن نحدد كلياً هذا الارتباط⁽¹¹⁾. كان الكاهن موكلًا على تعليم الكتبة. فقد وجد في رأس شمرا، في خريف ١٩٦١، بيت الكاهن الحوري ومكتبه⁽¹²⁾. كما وُجد أكثر من مرة توقيع الكاتب «إيلو ملكو». كتبه إيلو ملكو الشوباني، تلميذ اثانو فورلي أني، رئيس الكهنة، رئيس الرعاة⁽¹³⁾. لا تعطينا النصوص تحديداً حول تقسيم الكهنة إلى فرق. هذا يعني إن المهمة الكهنوthe انحصرت في عائلة واحدة مع لفظة «ن ح ل ه» (الميراث أو الوارثون). وهكذا يرتبط اعتبار الكاهن بالوجهة الدينوية كرئيس عائلة (رئيس بيت)، أكثر منه بالوظيفة الكهنوthe⁽¹⁴⁾.

وهناك لفظة «ق د ش م»⁽¹⁵⁾ وعلاقتها بالبغاء المكرر⁽¹⁶⁾. نلاحظ أننا لم نعثر على مؤتّث هذه اللفظة. لهذا اعتبر بعضهم أن «ق د ش م» هم موظفون إداريون في الهيكل. هم من العوام، وصفتهم «ق د ش» ترتبط بالمعبد (القدس) لا بتكريس (=تقديس) شخصيّ. إن اسم وظيفتهم يرتبط بمكان عملهم وهو الهيكل (= المقدس، المعبد). وهذا ما يفسّر جمعهم إلى «ك ه ن م» في اللواحق الإدارية: هم أيضاً في الهيكل⁽¹⁷⁾. ولكن كان خطأ آخر ماهي «قدشو» الاوغاريتي مع «بارو» الأكادي (الكافن العرّاف)، مستنداً إلى اللواحق. فإن «ق د ش م» يأتون دوماً بعد «ك ه ن م» كما أن «بارو» يأتي بعد «شنغو» في لواحق أوغاريتية الأكادية⁽¹⁸⁾. سنعود إلى «ك ه ن م» و«ق د ش م» حين ندرس النصوص العبرية.

(١١) حاشية ٥، ص ١٣٥-١٣٧.

(١٢) DBS IX col 1269-1277.

(١٣) حاشية ٦، ص ٢٧١.

(١٤) حاشية ٥ ص ١٣٧؛ حاشية ١٠، ص ١٣٣-١٣٦.

(١٥) ارتباط بالقدس والأقدس.

(١٦) Prostitution sacrée أي الزنى في ظل المعابد.

(١٧) حاشية ٥، ص ١٤١.

(١٨) حاشية ١٠، ص ١٣٣.

وهناك وظائف أخرى «ن ح ل ل م». تدل على المطهّرين. «م ل س م» أو الراکضون، وهم العاملون المرتبطون بشعائر العبادة. رج ١٦: ٢٨: ١٤ حيث نقرأ: «وكان إذا دخل الملك هيكل الرب، يحملها (= الترس) الراکضون إلى هناك، ثم يردونها إلى غرفة الراکضين» (ربما الحرس). «ا رب م». رج ما قلنا عن «اريب بيتي» في العالم الأكادي. ثم النساء اللواتي يجلبن الماء (ش ي ب. م ق د ش ت) من أجل التطهير. والمعنون في الهيكل (ش ر م). وضاربو الصنوج (م ص ل م).

٢ - الكتابات الفينيقية^(١٩)

تعود بنا الوثائق الفينيقية إلى الألف الأول ق. م. ولكن إن أرادت الدراسة أن تكون وافية يجب أن تأخذ بعين الاعتبار تواصل العبادات الفينيقية في المستوطنات الفينيقية. فقد كان في الهياكل عدد كبير من الكهنة. سمى الكهنة، كما في أوغاريت، «كوهانيم» ورئيسهم «رب»، ولكن صيغة المؤنث حاضرة هنا (عكس ما في أوغاريت). فعبادة إلهة الخصب جرت وراءها ممارسات شجبها الكتاب المقدس. وهناك إشارات تجعلنا نفكّر أن الوظائف الكهنوتية كانت وقفًا على بعض العائلات^(٢٠). جاءت معلوماتنا من عدد من المدونات تعود إلى العائلة الملكية أو المبني الجنائزية للكهنة أو الكاهنات. ونزيد أيضًا حسابات الهياكل وتعرّف الذبائح (مثل تعرّفة مرسيليا) التي تقدم معطيات عملية ثمينة.

نتوقف عند ثلاث مدونات تجمع لقب الكاهن إلى الوظيفة الملكية: في جبيل مدونة تعود إلى القرن الرابع أو قبل ذلك الوقت^(٢١). «من بت نعم، أم عزبعل ملك جبيل، ابن فلطبيعل كاهن (ك ه ن) بعيت». في صيدون، مدونة

G. GARBINI, I Fenici, Storia e religione, Naples, 1980 (١٩)

G. CONTENEAU, La civilisation phénicienne, Paris 1949, p.105-106. (٢٠)

J.C.L. GIBSON, Textbook of Syrian Semitic Inscription. vol.III Phoenician Inscriptions, Oxford 1982, p.99-100. (٢١)

تبنيت^(٢٢) وأشموننصر. كان تبنيت وأبواه أشموننصر ملكي الصيدونيين في القرن الخامس. كلاهما كاهن عشتار، وهذا ما يوضح وظائف الملك الكنهوية. في المدونة الثانية، مدونة أشموننصر الثاني ابن تبنيت وحفيد أشموننصر الأول، ذكر الملك أنه بنى معابد الآلهة مع أمه أموشتار، كاهنة عشتار. إن الطابع المقدس للملك مع ميزاته الكنهوية، قديم جداً.

لن نعدد جميع المدونات. ولكن نكتفي بمدونتين فينيقيتين في قرطاجة تذكران الكاهنات: «مدفن هتاليت كاهنه (ه ك ه ن ت)، ابنة مغون، ابن بود ملقارت، زوجة اشملك ابن بود ملقارت»^(٢٣). «مدفن صفن بعل الكاهنة، ابنة ازرو بعل ابن مغون، ابن عبد عشتورت زوجة حتون الحاكم وعظيم كهنة ابن عبد ملقارت الحاكم وعظيم كهنة»^(٢٤). تجمع هذه المدونة الأخيرة لقب «الحاكم» (ش ف ط، القاضي) وعظيم الكهنة (رب. ك ه ن م).

وإذا أردنا أن نتعرف إلى العاملين في الهيكل ، نعود إلى لوبيحة تقدم لنا حسابات هيكل عشتار في كيتيون (قبرص). المسؤولون عن ستائر عشتار. ثم حرس باب القلادة. والمعنون (ش ر م). والذابحون (ز ب ح م) والخبازون والحلّاقون والصناع وعظيم الكتبة (رب. س ف ر م) وأصحاب البغاء المكرّس.

٣ - المصادر الaramية

هناك مدونتان من نيراب ، وهي قرية تبعد ٧ كلم إلى الجنوب الشرقي من حلب ، تعودان إلى حوالي سنة ٦٠٠ ق. م. يرتبط لقب «ك م ر» بالله القمر الذي يُسمى باسمه المعروف في العالم السامي الغربي «س ه ر» (سهراء في السريانية). اسم أحد العاملين هو: سين-زار-ابني: الله خلق زرعاً . والثاني: سين جبور أي سين جبار. في تدمر ، مدينة الصحراء ، اسم الكاهن هو «كومرا». نجد

(٢٢) المرجع السابق ص ١٠١-١٠٥.

(٢٣) Répertoire d'epigraphie sémitique, 501

(٢٤) Idem 553

جذر هذه اللفظة في مدونة في تيماء، في الجزيرة العربية، تعود إلى القرن الخامس ق.م. وفي الوثائق الأرامية التي اكتشفت في مصر، يُستعمل الجذر «ك م ر» للكهنة الوثنيين، والجذر «ك ه ن» للكهنة اليهود^(٢٥).

أما الانباط الذين عدوا في صفوفهم عدداً كبيراً من العرب، فقد احتفظوا بالaramia من أجل كتابتهم. في المدونات الaramia الممحضة نجد «ك م ر». أما مدونات سيناء التي تأثرت بالعربية فاستعملت «ك ه ن». ونجد لفظة ثلاثة لدى الانباط «ا ك ف لا» (وتكتب أيضاً أ ف ك لا). نجدها في تدمر. وهي تعود إلى الأكادي «افكالو». وُجِدت مدونة في جبل مُنِيحة الذي يشرف على واحة فيران: «سلام على امايو، الكاهن، ابن عبد اهيو». ولكن لا يقال شيء عن الوظيفة التي يمارسها هؤلاء الاشخاص المذكورون.

٤ - في منطقة عربية^(٢٦)

ماذا نجد في نظم القبائل التي أقامت في عربية الشمالية وعربوبة الوسطى في الحقبة السابقة للإسلام؟ هناك «السيد». و«الكافن». و«السدين».

السدين هو حارس المعبد حيث تحفظ صورة الاله مع الاواني المقدسة. وظيفته العناية بالمعبد. حين يأتي المؤمنون ليسألوا إله المعبد، فالسدين هو الذي ينقل حواب الاله، بواسطة السهام (استقصام). وكان يتقبل تقادم المؤمنين في هذه المناسبة. أما الاستقصاص فيذكرنا بممارسة الاوريم والتميم في العالم العربي^(٢٧).

P. GRELOT, Documents araméens d'Egypte, Paris, 1972, index p. 523. (٢٥)

(٢٦) شبه جزيرة تقع بين البحر الأحمر والخليج الفارسي.

R. de VAUX, Les institutions de l'A.T. II, Paris 1960, p. 199. (٢٧)

وكان الكاهن شخصاً معتبراً في القبيلة، لأنه يستطيع الاتصال بالالاهوت، ويؤمن المساعدة للسائلين الملتجئين إليه. ما ارتبط بمعبد ثابت، فرافق القبيلة مثلاً إلى الحرب. وهكذا بدا كالرائي أو العرّاف، فصار أقرب إلى النبيّ العبراني منه إلى الكاهن^(٢٨).

هذا التمييز بين الكاهن والسدرين لا يأخذ بعين الاعتبار واقعاً معقّداً. فلفظة «كاهن» تنتهي إلى أساس كنعاني وأرامي وعربي، وأصلها يظلّ مثار جدل. ويقول توفيق فهد إن التقليد العربي احتفظ بأثار كهنوت حقيقي في «الكاهن» الذي جمع في شخصه حراسة المعبد، ونقل الأقوال النبوية، وتقديمة الذبائح، وتفسير العلاقات عن طريق العرافة. فالكاهن اسم «جنس» يضمّ وظائف عديدة. هناك «رب» وهو ذاك الذي يدير أمور المعبد. «ذو إيله» هو الذي يحافظ بالنصب المقدس فيحرسه خلال تنقلات القبيلة. «السدرين» و«الحاجب» يعملان في وظيفة الحراسة. وإذا كان البعض يترجمون الكاهن بالعرّاف، فلأن دوره كعرفاف كسف سائر وجهات وظيفته. وسيطرة الحياة البدوية لعبت دوراً في هذا التطور. فرئيس البيت (والقبيلة) كان يقدم الذبائح وبسبب التنقلات المتواترة ما استطاع أن ينظم عبادة رسمية وأماكن للعبادة ثابتة. لهذا كان الكاهن رفيق القبيلة^(٢٩).

خاتمة

من عالم أوغاريت إلى الفينيقيين والاراميين والعربين، أمور عديدة عن الكهنوت ووظائفه، عن علاقات بالملك. نصوص قليلة ومبشرة. ولكنها أعطتنا عناصر عديدة نستطيع أن نقابلها مع ما نعرفه في الكتاب المقدس. يبقى علينا أن ندرس بعض الالفاظ المهمة التي تتحدث عن الكهنوت، قبل أن نعود إلى التوراة لنكتشف تطور الكهنوت في الشعب العبراني منذ بدايته حتى العهد الجديد.

A. CODY, A History of Old Testament Priesthood, Rome, 1969 p. 4-18. (٢٨)

T. FAHD, La divination arabe, Leiden, 1966, p. 91-130; id «Kahin» (٢٩)
dans Encyclopédie de l'Islam, nouv. éd. IV 1978 p. 438-440

الفصل الرابع

الكهنوت في المفردات البابلية

دللت هذه المسيرة التي سرناها في ديانات الشرق القديم، على أن هناك بعض التردد على مستوى الألفاظ التي تتحدث عن الكهنوت. لهذا، قبل أن ندرس المؤسسة الكهنوتية، نتوقف عند المفردات البابلية مع عودة إلى علم الاشتقاد. توقف عند الكاهن، وال عبر^(١) واللاوي.

١ - الكاهن

«ك ه ن» لفظة تستعمل بشكل حصري تقريباً للدلالة على الكاهن. لم تستنبطها التوراة. ونحن نجدتها في الاوغراري والفينيقي والفوينيقي^(٢) والaramي المتهدود والانباطي والسريرياني والحبشي. كما نجدتها في المدونات العبرية. قرباتها مع «الكافن» في اللغة العربية لا تشکل صعوبة. هي مفردة سامية غريبة. ولكن التوراة العبرية لا تعرف لها مؤنثاً (ك هن ت).

ما هو أصل المفردة؟ هناك فرضيات عديدة. ولكننا نوجز وضع الأبحاث حول طروحات أربعة رئيسية. الاول: تعود اللفظة إلى فعل «ك و ن» الذي يعني: كان ثابتاً، متيناً، جامداً. فالكافن هو الذي يقف أمام الله ليخدمه. وهكذا تظهر

(١) هي ترجمة للفظة «كومرا».

(٢) الحضارة الفينيقية المرتبطة بقرطاجة، والمرتكزة بشكل خاص في غرب البحر المتوسط.

النظرة إلى الكاهن كرجل الذبيحة^(٣). الثاني: نعود إلى الأكادى «كانو» (محل كهانو) الذي يعني «انحنى أمام» (الإله). فالكاهن هو الذي يكرم باستمرار الإله الذي يحرسه ويؤمن له شعائر العبادة. الثالث: انطلق الطرح الثالث من السريانية مع فعل «ك هن» الذي يعني في معنى أول «عمل عمل الكاهن، كان كاهناً». وفي معنى ثان: الوفر والبركة^(٤). فالكاهن هو الذي يحمل الوفر والرفاه والازدهار. الطرح الرابع: إن علم الاموات يتبع لنا أن نرى في «ك و ن»، «ك هن» الذي يستعمل في العبرية (وربما في الأوغاريتية) لإقامة معبد. وإليك بعض الأمثلة: قض ٢٦: «قال شمشون للصبي الأخذ بيده: دعني أمس الأعمدة التي يقوم (ك و ن) عليها هذا البيت»؛ أش ٢: ٢: «جبل بيت الرب يثبت (ك و ن) في رأس الجبال»؛ خر ١٥: ١٧: «في موضع أقمته مسكنًا لك يا رب». كما يستعمل لموضع يستطيع المؤمنون بتأكيد أن يسألوا فيه الإله^(٥). في هذا الخط نفهم تبدل اسم «أب رم» إلى اسم «اب رم».

نجد كلمة «ك هن» قرابة ٧٥٠ مرة في التوراة العبرية. وهي ترد أكثر ما ترد في النصوص الكهنوتية من البتاتوكس أو أسفار موسى الخمسة: ١٩٣ مرة من أصل ٢٩٣ في المرجع الكهنوتي. وسفر العدد الذي يتضمن بعض النصوص الكهنوتية، يستعمل لفظة «ك هن» ٦٨ مرة. بعد ذلك نجد ١٧٧ استعمالاً في ١٢ آخ، عز، نح. تُزداد ثمانية استعمالات أرامية في القسم الأرامي من عز. ترد اللفظة ١٤ مرة في تث. ولكنها ترد ١٦٣ مرة في التاريخ الاشتراعي (يش، قض، ١٢ صم، ١٢ مل). وإذا وضعنا جانباً إرميا (٤١ مرة، لا ننس أنه كان كاهن عناتوت) وحزقيال (٢٤ مرة، كان الكاهن الذي صارنبياً) لا يتحدد الانيناء إلا قليلاً عن الكاهن. نجد اللفظة خمس مرات في المزامير ومرة واحدة في أیوب ولا نجد لها أبداً في سائر الأسفار الحكمية. هذه الملاحظات الجزئية تكفي لتدلّ

(٣) هناك من استخلص «كون» من «ك هن»، أي أخذ النظرية المعاكسة.

(٤) R. PAYNE-SMITH, Thesaurus syriacus T.I, 1879, P. 1683-1686.

DBS X 257 (٥)

على أن وثائقنا عن أصول الكهنوت في أرض إسرائيل تبقى ضئيلة. ولا تزداد معلوماتنا إلا بعد إصلاح يوشيا سنة ٦٢٢ ق. م. وبعد العودة من المنفى (٥٣٨ ق. م) تصبح الصورة كاملة عن المؤسسة الكهنوتية.

نجد لفظة «ك ه ن» في سياقات مختلفة. فهي تطبق على كهنة الآلهة الغربية مثل بعل (فينيقية)، كموش (موآب)، ملكوم (أدوم)، داجون (فلسطية). كما ترتبط بوظيفة الرئيس أو الملك ولا سيما في معرض الحديث على كاهن مديان أو ملكيصادق. ففي خر ١٦:٢ نعرف أن يترو، كاهن مديان، كان له سبع بنات وستتزوج أحداهن موسى. رج ١:٣ ؛ ١٨:١. ونقرأ في تك ١٤:١٨: «وآخر ج ملكيصادق، ملك شاليم، خبزا وخمراً. كان كاهن الله العلي». رج مز ١١:٤: «أنت كاهن إلى الأبد على رتبة مليصادق». ويقدم لنا التاريخ الاشتراعي أكثر من كهنوت في مملكة الشمال. في قض ١٧-١٨، اهتم الخبر بالمعبد الذي أسسه سبط دان وبالكهنوت الذي أقيم فيه. وسيعود كاتب بعد المنفى فيستعمل هذا الخبر ليدل على الفوضى في شعائر عبادة كانت بعيدة عن الاستقامة الموسوية. وفي ١ مل ١٢:٣١ يقول الكاتب الاشتراعي مندداً: «وبني يربعام^(٦) بيوتا للعبادة على رؤوس التلال، وأقام كهنة من الشعب لم يكونوا من بيت لاوي». وفي ٢ مل ١٧:٣٢ كان حديث عن كهنة وثنين أقاموا في السامرة مع الذين جاء بهم ملك أشور ليستوطنوا فيها.

ويتحدث التاريخ الاشتراعي عن كهنوت أورشليم ويعطينا معلومات عن معابد (مثل شيلو ١ ص ٣-١) هيأت الطريق أمام إقامة العبادة الملكية. فالكهنة جزء لا يتجزأ من الإدارة الملكية، بحيث يوبخهم إرميا كما يوبخ الهيئات الكبرى في الدولة. ولفظة «ك ه ن» قد ترتبط بفئات أخرى. مثلاً نستطيع أن نتكلّم عن «الكهنة» بمعزل عن «اللاويين». كما نستطيع أيضاً أن نضع الكهنة بجانب اللاويين، أو نمزج بين الفترين. في شرعة حزقيال، الكهنة هم «أبناء صادوق».

(٦) أول ملك في مملكة الشمال (=إسرائيل) بعاصمتها السامرة، وذلك على أثر موت سليمان.

أما في النصوص الكهنوتية، فهم أبناء هارون. وسوف ننتظر زمن بعد المبني لتكون لنا أفضل صورة عن التنظيم الكهنوتي. ووجود الـ التعریف (هـ. كـ هـن) أمام الاسم يدل على مكانة بارزة (ليس كاهناً بين الكهنة، بل هو الكاهن. وسوف يُسمى فيما بعد رئيس الكهنة). تستعمل ٢٢ مرة عبارة «الكافن الأعظم» (جـ دـ وـ لـ) وسبع مرات «رئيس (روـش) الكهنة». وهناك عبارة الكافن الثاني (مـ شـ نـ يـ) (٢ مـلـ ١٨ = إـرـ ٥٢ : ٢٤ ; ٢ مـلـ ٢٣ : ٢٤) وأخيراً نجد عبارة «الكافن الممسوح (مـ شـ يـ حـ) في لاـ ٤، ٣:٤، ٥، ١٦:١٦، ١٥:١٥. حين يكرس الكافن الأعظم يُمسح بالزيت المقدس.

ونجد الفعل الاسمي (كـ هـنـ. يـشـقـ من الـاسمـ) الذي يعني: كـهـنـ. تصرف مثل كـاهـنـ. مـارـسـ الوـظـيفـةـ الكـهـنـوـتـيـةـ. هو خـاصـ بالـنـصـوـصـ الكـهـنـوـتـيـةـ. مـثـلاـ، خـرـ ١:٢٨ (ليـكونـواـ كـهـنـةـ، ليـكـهـنـواـ)، ٣ـ، ٤ـ، ٤ـ١ـ، ١:٢٩ـ؛ ٤ـ٤ـ، ١ـ؛ ٣ـ٠ـ؛ ٣ـ٠ـ:٣ـ١ـ؛ ١ـ٠ـ:٣ـ١ـ؛ ١ـ٩ـ:٣ـ٥ـ، ١ـ٣ـ:٤ـ٠ـ، ١ـ٥ـ؛ ١ـ٣ـ:٤ـ١ـ، ١ـ٩ـ:٣ـ٥ـ؛ ٧ـ لـ؛ ٦ـ:١٦ـ؛ ٣ـ٥ـ:٧ـ؛ ٦ـ:٣ـ؛ عـدـ ٤ـ. وـنـجـدـهـ أـيـضـاـ فيـ شـرـعـةـ حـرـقـيـالـ (١٣ـ:٤ـ٤ـ) وـفيـ ١ـ أـخـ ٥ـ؛ ٥ـ:٣ـ٦ـ؛ ٤ـ:٢ـ؛ ٢ـ:٢ـ٤ـ. وـفيـ تـثـ ٦ـ:١٠ـ ١ـ٤ـ:١ـ١ـ. فـيـ هـوـ ٦ـ:٤ـ نـقـرـأـ: «أـرـفـضـكـمـ فـلـ تـكـوـنـونـ لـيـ كـهـنـةـ». وـفـيـ تـثـ ٦ـ:١٠ـ ٦ـ:٤ـ نـقـرـأـ: «أـرـفـضـكـمـ فـلـ تـكـوـنـونـ لـيـ كـهـنـةـ». وـفـيـ تـثـ ٦ـ:١٠ـ ٦ـ:٤ـ نـقـرـأـ: «أـكـهـنـ كـالـعـرـيـسـ الـذـيـ يـلـبـسـ عـمـامـةـ جـمـيـلـةـ». وـنـسـتـطـعـ أـنـ نـقـدـمـ مـلـاحـظـاتـ مـمـائـلـةـ حـوـلـ الـاسـمـ (كـ هـ وـنـ هـ) (كهـنـوتـ) الـذـيـ يـسـتـعـمـلـ فـيـ النـصـوـصـ الكـهـنـوـتـيـةـ. خـرـ ١٩ـ:٢ـ٩ـ (يـكـوـنـ لـهـمـ الـكـهـنـوـتـ فـرـيـضـةـ إـلـىـ الـأـبـدـ)؛ ٤ـ:١ـ٥ـ؛ عـدـ ٣ـ:٣ـ؛ ١٠ـ:١ـ٦ـ؛ ١٠ـ:١ـ٨ـ؛ ١ـ:١ـ٨ـ؛ ٧ـ مـرـتـيـنـ؛ ١ـ٣ـ:٢ـ٥ـ؛ رـجـ عـزـ ٦ـ٢ـ:٢ـ = نـحـ ٧ـ:٦ـ٣ـ؛ نـحـ ١ـ٣ـ:٢ـ٩ـ مـرـتـيـنـ؛ بـالـإـضـافـةـ إـلـىـ يـشـ ١ـ٨ـ:٧ـ الـذـيـ يـتـحـدـثـ عـنـ الـلـاوـيـنـ مـعـ الـكـهـنـوـتـ حـصـتـهـمـ، نـجـدـ لـفـظـةـ «الـكـهـنـوـتـ» فـيـ ١ـ صـ ٢ـ:٢ـ، دـاـخـلـ القـوـلـ النـبـويـ الـذـيـ أـقـحـمـ فـيـ تـقـالـيدـ مـعـبدـ شـيلـوـ.

٢ - الحبر

قرب (كـ هـنـ) نـجـدـ (كـ مـ رـ). نـجـدـ هـذـاـ الجـذـرـ فـيـ الـلـوـيـحـاتـ الـاشـورـيـةـ التـيـ

اكتشفت في كبادوكية (كومرو). ونجده بشكل خاص في الأرامية القديمة ثم في التدمرى والسريانى.

ما هو أصل هذه اللفظة؟ هناك من تحدث عن فعل «ك م ر» الذي يعني اشتعل، اتقد. الكاهن هو من يقدم المحرقات^(٧). وهناك فعل آخر «ك م ر» يعني أظلم، حزن (حسب السريانية). يسمى الكهنة كذلك لأنهم يرتدون ثياباً سوداء^(٨). كتب توفيق فهد: «ينطبق جذر «ك م ر» على وجه مجهول ومظلوم. هذا يدلّ على أن هذا الكاهن كان يرتدي في الأصل قناعاً حين يعلن قول الاله»^(٩). وعاد القاموس العبرى إلى الأشوري (كمارو) الذي يعني ركع، سجد. فالكافن هو الساجد.

مهما يكن من أمر، فالللغة لا ترد سوى ثلاث مرات في التوراة. في ٢ مل ٤:٥ (كهنة الأصنام الذين أقامهم ملوك يهوذا)؛ هو ١٠:٥ (سكان السامرة ومع كهنته، أي كهنة العجل)؛ صف ١:٤ (أقطع أسماء الخدام والكهنة). هذه الاستعمالات الثلاثة هي في صيغة الجمع وتشير إلى كهنة الأصنام. وسوف يتكرّس هذا الاستعمال لدى الaramيين المتّهودين في الفتّين (مصر). ولكن الترجمة السريانية لم يكن لها الاهتمامات عينها فمزجت بين «كوهنا» و«كومرا».

٣ - لاوي

اللاوية نظام أصيل في إسرائيل. أما مسألة الاشتقاد فلم تجد له بعد الحلّ المرضي. فالمعجم يورد ثلاثة افعال «لوى». الاول: دار. فاللاوي هو رجل الرقصات الانخطافية (يدورون على ذواههم). الثاني: ضُمَّ. وفي المجهول ارتبط بأحد. هذا المعنى يوافق الاشتقاد الشعبي لاسم ليئة، أم لاوي (تك ٢٤:٢٩).

M.J. LAGRANGE, Etude sur les religions sémitiques, Paris 1903. (٧)

(٨) حاشية ٤، ص ١٧٥٦-١٧٥٨.

T. FAHD, La divination arabe, Leiden, 1966, p. 93 n.3. (٩)

الثالث: افترض. وفي الرباعي: أفرض، أعطى رهناً. هذا الاشتقاء هو الذي حظي أكثر ما حظي بموقف الباحثين. لا فرضية فرضاً نفسها بشكل مطلق. ويبدو من المعقول أن لاوي لم يكن في الأصل اسم وظيفة بل اسم علم، وقد يكون إيجازاً للفظة «لاوي ايل» فتعني: من ارتبط بالله وصار تابعاً له^(١٠).

هذا على مستوى الاشتقاء. أما على مستوى الاستعمال، فالتنوع كبير جداً. «لاوي» هو اسم علم فيدل على لاوي ابن يعقوب ورئيس عائلة (أو: بيت). وهو أيضاً اسم قبيلة. سبط لاوي (تث ١:١٨) «م ط ه. ل وي» (عد ٤٩:١). ونقرأ مراراً عباره «بني لاوي» التي يتبدل معناها بتبدل السياق. استعمل «لاوي» في المفرد أربعين مرة تقريباً. إما في معنى فردي لشخص فرد. وإما في معنى جماعي (اللاويون بشكل عام). استعمل في الجمع قرابة ٢٥٠ مرة. في ١٦٧ أخ تنكسف الفكرة القبلية (سبط لاوي) ويحل محلها اللاويون كفرقة تمارس وظائف محددة.

إذا قمنا بإحصاء اكتشفنا أن ١٦٧ أخ، عز، نح تتضمن أكثر من نصف الاستعمال (٣٤٥ من أصل ١٧٩). واهتم سفر العدد (٧٤ استعمالاً) بوضع اللاويين، في نصوصه الكهنوتية. وما يلفت النظر هو أن سفر اللاويين لا يتكلّم إلا أربع مرات عن اللاويين (لا ٢٥:٣٣-٣٢). لا نجد ذكرًا للاوي لدى أنبياء ما قبل المنفى (ما عدا إر ٣٣، الذي هو موضوع جدال). وسوف تتطور اللاوية مع سفر التثنية (٢١ مرة) ونبوءة حزقيال (٩ مرات).

هناك من لاحظ أهمية العلاقة بين اللاوي والكاهن. فالغمدتان عرفتا مصيرًا غريباً في تاريخ إسرائيل وحياته. قد تقف الفظة تجاه الأخرى، وقد تتعارضان وتتردان في أشكال مختلفة. كل لفظة وحدها: «اللاوي». «الكاهن». وقد تُمزجان في مفردة واحدة: «الكاهن اللاوي» (شخص واحد). وقد تنضم الواحدة

A. CODY, A History of Old Testament, Priesthood, Rome, 196 (١٠)
De Vaux, Institutions, II, p. 213-214. p. 29-33

إلى الأخرى: «الكاهن واللاوي». لستنا هنا أمام مسألة اعتباطية، بل أمام انعكاس لما حل بالكهنوت على مرّ الزمن في العهد القديم⁽¹¹⁾.

خاتمة

كانت تلك دراسة لغوية واشتقاقية حددت موضع الالفاظ المرتبطة بالكهنة والكهنوت. وقد هيأت الطريق لدراسة موضوع الكهنة على مرّ تاريخ إسرائيل. ونبأ بالحقبة الملكية، بل بالحقبة التي سبقتها.

Ch. HAURET, «Lewy et Kohen» Revue des sciences religieuses 44 (11) (1970) p. 85-86.

✓

القِسْمُ الثَّانِي
الْكَهْنُوتُ
فِي
الْعَهْدِ الْقَدِيمِ

يتضمن هذا القسم الفصول التالية :

- ١ - الكهنوت في الحقبة السابقة للملكية
- ٢ - الكهنوت في زمان الملوك
- ٣ - الكهنوت الاشتراعي
- ٤ - الكهنوت في سفر حزقيال
- ٥ - الكهنوت في النصوص الكهنوتية
- ٦ - الكهنوت بعد منفى بابل
- ٧ - أزمة الكهنوت الهاروني ودماره
- ٨ - الكهنوت في الكتب البيبلية المتأخرة.

الفصل الخامس

الكهنوت في الحقبة السابقة للملكية

حين نعود إلى النصوص الأولى في التوراة، نكتشف محاولات عديدة تتحدث عن الكهنوت والكهنة. في سفر التكوين مع ملکيصادق، في الخروج مع موسى، في سفر القضاة وكتاب صموئيل مع جماعة لاوي. كل هذا استعداداً للكلام عن الكهنوت في زمن الملوك.

١ - المعابد

ارتبط الكهنوت بحراسة المعبد، وقد تعبد الساميون لمقامات حضر فيها الآلهة. ولكن يبقى علينا أن نعرف نوعية «البناء» الضروري لكي نستطيع أن نتكلّم حقاً عن الكهنوت. هناك من لا يرى عائلات كهنوتية (موظفة) إلا في هيكل أو مذبح مرتبط بهيكل. فالهيكل بطبيعته يُعتبر موضع إقامة الله، وتُوضع فيه الأواني التي ترمز إلى حضور الله. ثم إن هذه المعابد لم تكن كثيرة. فإذا وضعنا دان جانباً، فهي تتوزع بين عراد وعفرا^(١). ويجب أن نميز المذبح المنعزل (لا يكون في الهيكل) الذي لا يستعمل إلا للذبائح، والذي يستطيع أن يخدمه كل واحد في إسرائيل. فالماذبحة كانت أكثر عدداً من الهياكل، وموزعة في طول الأرض

(١) عراد هي مدينة كنعانية في النقب. وعفرا مدينة في بنيامين.

وعراضها. وارتبطت المشارف (باموت، الاماكن المشرفة، رؤوس التلال والجبال) بالمذابح لا بالهياكل. وأخيراً، يجب أن لا نمزج بين الهياكل وال نطاق العبادي^(٢).

وهناك رأي آخر يميز بين المذبح المتنقل الذي يُصنع من تراب، والمذبح المحفور في الصخر أو المبنيّ ببناء محكمّاً لكي يبقى ثابتاً. نقرأ مثلاً في خر ٢٤: «ابنوا لي مذبحاً من تراب، واذبحوا عليه محرقاتكم». ثم في آ٢٥: «إإن بنيتم لي مذبحاً من حجارة فلا تنحوها». في الحالة الأولى، نحن في عالم البدو المتنقلين الذين «يهدمون» مذبحهم ساعة يرحلون. وفي الحالة الثانية، في عالم الحضر. فالبيوت ثابتة والمذبح كذلك. أما «باموت» فلا نستطيع أن نفصلها فصلاً تماماً عن الهياكل. كما لا نستطيع أن نعارض الهياكل بال نطاقات العبادية التي لا سقف لها^(٣). كل هذا يدفعنا للعودة إلى التقاليد القديمة.

٢ - تقاليد التكوين

تُستعمل لفظة «ك هن» دوماً للكهنة الغرباء. فتدلّ على ملكيصادق، كاهن ايل عليون (تك ١٩:١٤)، وعلى فوطيفارع، كاهن أون وحمي يوسف (تك ٤١:٤٥، ٤٦:٥٠)، وترد لفظة «ك هن» ثلاثة مرات أخرى لتحدث عن «أرض الكهنة» التي أعطاها الفرعون لبني يعقوب بقرار ملكي.

ما عرفت الحقبة الآبائية^(٤) الكهنوت بمعنى طبقة من الخدام المتخصصين في شعائر العبادة. مثل هذا التخصيص يفترض تنظيمًا اجتماعياً أكثر تطوارًأ. أما الآباء فقدمو الذبائح بصفتهم رؤساء عائلات أو رؤساء بيوت، ونقلوا البركة من الآباء إلى البنين. في تك ٢٢، نرى ابراهيم يقدم ابنه اسحاق. وفي ٣١:٥٤ «ذبح

(٢) aire culturelle: مساحة من الأرض تحيط بها بعض الحجارة لكي تحدّدها فتنصلها كمكان قدسيّ عن «الدنيا».

(٣) H.CAZELLES VT 30 (1986) p. 374-376.

(٤) Patriarcal نسبة إلى آباء العهد القديم Patriarches

يعقوب ذبيحة في الجبل». وفي ٤٦:١ ، ذبح يعقوب «ذبائح لإله أبيه اسحاق». أما على مستوى البركة، ففي تك ٢٧ بارك اسحاق يعقوب. وفي ٤٨:١٥ ، ٢٠-١٥:٤٨ بارك يعقوب ابني يوسف. وفي ٤٩:٨-١:٨ ، بارك بنيه.

ويشير التكوين إلى أماكن بُنيت فيها مذابح. في ١٢:٧-٨ نقرأ: «تراءى رب لأبرام... فبني هناك مذبحاً للرب». بناء المذبح في مكان يرتبط بحضور الله في هذا المكان. وفي ١٣:١٨ بني ابرام مذبحاً للرب قرب حبرون. وفي ٢٥:٢٦ تراءى الرب لاسحاق في بئر سبع «فبني مذبحاً ودعا باسم الرب». وفي ٢٠:٣٣ بني يعقوب مذبحاً قرب شكيم شكرأ الله الذي أعاده سالماً (رج ٧:٣٥). نحن هنا أمام طريقة تعلن أن الآباء وضعوا يدهم على المعابد التي وُجِدت قبلهم. وهناك نصان يتضمنان وجود معبد مع خدامه. الأول، حيث راحت رفقاً تسأل الله ٢٢:٢٥). والثاني، بيت إيل، حيث وعد يعقوب بأن يدفع العشر «إن كان الله معي وحفظني في هذه الطريق التي أسلكها... كل ما يهبه لي أعطيه عشره». النصوص قليلة، وهي تحاول أن ترکز في تقاليد الآباء عادات جاءت فيما بعد^(٥).

والنصوص حول لاوي لا تتيح لنا أن نستنتج وجود مجموعة اللاويين المرتبطين بالعبادة. لاوي هو الابن الثالث للائمة في التقليد الكهنوتي (تك ٣٥:٣٢-٣٣) كما في التقليد القديم (٢٩:٢٩-٣١-٣٥). وهو يرتبط بشمعون المقيم في الجنوب. شاركا في «غروة» في جوار شكيم (ف ٣٤)، فكان العقاب لهما كبيراً ٤٩:٤٩-٥:٧). ما العلاقة بين ف ٣٤ وف ٤٩؟ هناك خلاف على مستوى الدراسات. وبينما أن اسمَي لاوي وشمعون أضيفا فيما بعد^(٦). وجاء من اعتبر أن

R. de VAUX, *Institutions II*, 195; id. *Histoire ancienne d'Israël*. I, 1971, (٥)
p. 269-271.

A. de PURY, «Genèse 34 et l'histoire» RB 76 (1969) p. 5-49; P. (٦)
KEVERS, «Etude littéraire de Genèse 24» RB 87 (1980) p. 38-86.

اللاويين الذين ظلّوا على قيد الحياة (بعد العودة من مصر) امتدوا حتى قادش في منتصف القرن الرابع عشر وصاروا كهنة. عاشوا مسيرة الخروج والاحتلال في نهاية القرن الثالث عشر. ولكن تلك ٤٩:٧-٥ يعكس ظروفًا لم تعد ظروف الآباء، بل بداية الملكية^(٧). إن المسألة اللاوية ستُطرح بطريقة أخرى في المراحل اللاحقة.

٣ - الكهنوت في الحقبة الموسوية

نبدأ فنطرح سؤالين. الأول: هل وُجدت طبقة من «المحترفين» شعائر العبادة في زمان موسى؟ الثاني: هل مارس موسى نشاطاً كهنوتيًا؟

السؤال الأول يتعلّق باللاويين الذين تبدو أصولهم غامضة: يرى البعض أن ادخال لاوي في لائحة «آباء»^(٨) الأسباط الاثني عشر، جاء متأخّرًا. فالقول بقبيلة لاوي كقبيلة دينية بين القبائل خدعة أدبية^(٩). فاللايون لا يتحددون بانتساب إلى قبيلة، بل بتخصصون في شعائر العبادة وفي وضع قانوني أدنى. ونستطيع القول أيضًا إن هذه القبيلة تشتبّه على أثر حدث نجهله، وتخصصت شيئاً فشيئًا في وظائف العبادة. لا شكّ في أنه كان هناك أكثر من نزول إلى مصر، كما كان أكثر من خروج. لهذا كان من الطبيعي أن يوجد لاويون في مصر وأن يكون بعضهم تسمى باسم مصرى.

في التقليد البيبلي، ارتبط موسى بلاوي (خر ٢:١). ولكن الشكوك تحوم حول هذه المعلومة، كما حول إقامة اللاويين في مصر. فالفجوات في وثائقنا تفتح الطريق أمام بعض الافتراضات. في أي حال، هناك رباط روحي بين موسى

A. CAQUOT, «Siméon et Lévi sont frères (Gn 49, 5)» De le Torah au (٧) Messie, Paris, 1981. p. 93-128.

(٨) éponyme - من يطلق اسمه على قبيلة...

N. GOTTWALD, The Tribes of Yahweh, London, 1980, p. 373. (٩)

واللاويين، هو الغيرة في عبادة يهوه. يرى الشرّاح في اللاويين أناساً من «قبائل» مختلفة، تخلصوا من الرباطات العائلية وكونوا نخبة يوحدها قسمٌ أمانة، بقيادة رئيس سياسيٍّ ودينيٍّ هو موسى. لا ننسى أهمية تقاليد البرية، واتصال مجموعة موس بمجتمعات أخرى^(١٠). فأحداث البرية، ولا سيما أحداث قادش، طبعت بطبعها التوسيع اللاحق في الخدمة اليهوية^(١١).

إذا كان موسى قد ارتبط باللاويين، فهل كان كاهناً؟ هذا هو موضوع السؤال الثاني. حاول بعضهم أن يرى في لقاء موسى مع يترو مناسبة تنشئة كهنوتية. وظن آخرون أن موسى أخذ لقب كاهن دون أن يكون كذلك في الحقيقة، لأن لفظة «كـ هـن» لم تكن موجودة في اللغة العبرية الأولى. لفظة لاوي هي التي استعملت لدى العبرانيين القدماء لتدلّ على خادم المعبد^(١٢). ولكننا نحتاج إلى بعض التحفظ. ارتبط موسى بالمعابد والعبادة (دوره كبير في الوحي، خر ٣٣:٧-١١؛ عد ٩-٤:١٢)، ولكنه يتجاوز جميع المقولات بما فيها المقوله الكهنوتية.

نجد نصوصاً عديدة لافته، ولكنها لا تتضمن القول بأن خدمة موسى كانت خدمة كهنوتية. فالحاشية حول سؤال الله في خر ١٨:١٥ (يجيء إلى الشعب ليعلموا إرادة الله)، تربطنا بالعالم النبوي (درش) أكثر منه بالعالم الكهنوتي (شـ أـلـ). والاشارة إلى تعليم الفرائض والشائع (خر ١٦:١٦-٢٠) تجعلنا نفكّر في وظيفة كهنوتية على مستوى التعليم. ولكن يمكن أن تكوننا أضيفتا فيما بعد. فلا ننسى أن مجمل خر ١٨:١٣-٢٧ يدلّ على ظروف هي الظروف الملكية، ربما خلال إصلاح القانون في أيام يوشافاط (٨٧٣-٨٤٩ ق.م). لهذا

(١٠) H.CAZELLES, A la recherche de Moïse, Paris 1979.

(١١) هناك «يهوي» نسبة إلى الرب يهوه إلى ديانة اليهود. أما «يهوهبي» فيرتبط بتقليد من تقاليد البتاتوكس الاربعة. نسبة إلى يهوه، كما أن الوهيمي ينسب إلى الوهيم.

(١٢) Ch.HAURET «Moïse était-il prêtre? Biblica 40 (1959) p. 509-521 ici p. 520.

فهو لا يعطينا المعلومات الكثيرة حول الحقبة الموسوية . وحسب خر ١٨:١٢ (وقدّم يترو محرقة وذبائح الله) ، لا نستطيع أن نكتشف الوجه «الكهنوتي» لموسى : نحن أمام احتفال بعهد يقطعه شخصان متساويان^(١٣) ، على مثال ما في تك ٤٤:٤٥ (يعقوب ولابان) . حين ربط تقليد خر ٢٤:٣-٨ موسى بالذبح والدم ، قربه من الوظائف الكهنوتية اللاحقة . رشّ موسى أيضاً ، شأنه شأن الكهنة ، الدم على الشعب . وهذا العمل هو احتفال بعهد يقطع . وهكذا يبدو موسى هنا كرئيس مجموعة لا كاهن . وفي التقليد الكهنوتي ، موسى هو الذي «يرسم» الكهنة (خر ٣٨-٣٩؛ لا ٨-٩) . فيمارس كهنته «مدة أسبوع»^(١٤) . وهكذا يقبل بعضهم أن موسى كان كاهناً كما يصوره التقليد العربي الأولاني^(١٥) . في أي حال ، نبقى متحفظين في استنتاجاتنا حول موسى والحقبة الموسوية .

٤ - كهنت لا ئيش - دان

ما كان النظام الكهنوتي ثمرة ولادة تلقائية في زمن الملوك . فأخبار إقامة الشعب العربي في كنعان ، تعطينا معلومات ضئيلة حول حياة المعابد وتنظيم كهتها . ولكن ما نعرفه عن قبيلة دان يُقلّت من القاعدة . بل إن النموذج الذي تقدمه قد يصلح لجميع القبائل^(١٦) .

أ - خبر قبيلة دان

إن الأرض التي أعطيت في الأصل لأهل دان ، كانت على حدود أرض يهودا

A. CODY, «Exodus 18,12: Jethro accepts a Covenant with the Israelites» Biblica 49 (1968), p. 153-166. (١٣)

G.B. GRAY, Sacrifice in the OT, New-York 1971, p.196. (١٤)
Primitif. (١٥)

A. MALAMAT; «The Danite Migration and the pan-Israelite Exodus-Conquest: A Biblical Narrative Pattern» Biblica 51 (1970) p. 1-16. (١٦)

الذي استفاد فيما بعد من ذهابهم ليستعيد بعض مدنهم. تقابل لوائح يش ١٩:٤٨-٤٠ مع لوائح يش ١٥:٣٣-٣٤. عرف يهودا في أرضه إقامات لاوية يحدّدها بعضهم في مديتها لبنة وحبرون، ويشير في الوقت عينه إلى عشائر المحليين والموشيين والقورحيين (عد ٢٦:٥٨، هي عشائر لاوية). وجاد الدانيون صعوبةً في الاقامة (قض ١:٣٤: حاصر الاموريون بني دان في الجبل)، فهاجروا إلى الطرف الشمالي لفلسطين واحتلوا لشم^(١٧) (يش ٤٧:٩) (يش ٤٧:٩). فتأثروا بالصيودونيين بحيث إن خدام المعبد اللاويين أخذوا بلفظة «ك هن» كما في العالم السامي الغربي.

نجد الخبر في ملحق لسفر القضاة (ف ١٧-١٨). فهذا الملحق يؤمن مع بداية ١ صم، انتقالاً بين حقبة لم يكن فيها ملك ٦:١٧؛ في تلك الايام لم يكن لاسرائيل ملك، ١٨:١؛ ١٩:١؛ ٢١:٢٥) والحقيقة الملكية. تذكر هذه النصوص بعض المراكز الهامة. دان، بيت ايل، شيلو. وتتفحص المفردات يدل على أن لفظة «لاوي» لا ترد إلا في ملحق سفر القضاة (ف ١٧-٢١): ٧:١٧، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٨؛ ١٩:٢٠؛ ٣:١٥-١٨. ونجد لفظة «ك هن» في خبر تأسيس معبد دان (قض ١٧-١٨).

لا نستطيع أن نشكّ بقدم هذا التقليد. أما تدوين قض النهائي، فظلّ حذراً من هذا المعبد الذي جُعل معبداً ملكياً في عهد يرباعم الاول. ولكن رأياً آخر اعتبر أن الحذر من هذا المعبد (الذي هو في الأصل معبدان) جاء من محيط يرباعم الأول^(١٨). إن الخبر الذي يتوضّع في ثلاثة أقسام (١٧:١١-١٦؛ ١٧:٧-١٣؛ ١٨:١٨-٣١)، يعالج ثلاثة مواضيع رئيسية: الاواني العبادية، اللاوي، تأسيس

(١٧) الاسم الاصلي للمدينة هو لاينيش كما تقول النصوص المصرية في الحقبة القديمة، ولكن تبدل الاسم فتبدل المصير. سوف تسمى المدينة: دان.

M. NOTH, «The Background of Judges 17-18» dans Israel's Prophetic Heritage, Essays in honor of J. Muilenburg, 1962, p. 68-85.

معبد دان. تتدخل هذه المواقع، ولكننا نستطيع أن نكتشف هنا أربع معطيات ثمينة من أجل تاريخ الكهنوت.

ب - تفضيل اللاوي

في حقبة القضاة، لم يحصر حق الكهنوت في شخص أو عائلة، لأن ميخا استطاع أن يقيم أحد أبنائه لحراسة المعبد (١٧:٥). ولكن إن تقدم لاوي، اعتبر ميخا أنها نعمة من الله أن يكون له هذا اللاوي كاهنًا (١٧:١٣). جاء اللاوي من بيت لحم في يهودا حيث يعيش في وضع «ج ر» أي الغريب. وهذا يفترض أنه لا يتمنى إلى قبيلة يهودا. إذا كان اللاويون استطاعوا أن يقيموا مع اللبنانيين والجبروين (عد ٥٨:٢٦)، فهناك آخرون ما زالوا يبحثون عن موضع إقامة. فالقبيلة ككل لا أرض لها. وعلى اللاويين أن يعملوا لكي تقبلهم سائر القبائل في أحضانها. لهذا ظل وضعهم القانوني موقتاً ووضعهم الاجتماعي أيضاً. كل ما لهم يفضلون من أجل الوظائف العابدية. فهم ينعمون بتعلقهم باليهودية وبمشاركتهم في الخروج من مصر. لا شك في أنها لا تستطيع أن توفق بين معطيات قض ١٧:٧ التي تتحدث عن لاوي في عشيرة يهودا. لجأ الشراح إلى تشذيب النصوص وإلى النقد الأدبي تجاه هذه الصعوبة. فإذا جعلنا جانباً وجود قبيلة دينوية، هي قبيلة لاوي، يدل «لاوي» على وظيفة. عندذاك تستطيع التحدث عن قرابة بيهودا. وهكذا نفهم أن يُقبل اللاوي في يهودا كما لدى الدانيين.

ج - اللاوي يتسلّم وظيفته

لن نجد في تلك الحقبة نص «رسامة» اللاوي. غير أن النص يتضمن عدة عبارات تدلّ كيف يصبح الواحد كاهنًا (١٧:٥؛ ١٧:٩؛ ١٠:١٢، ١٣؛ ١٨:٤-٥، ٩). العبارة الأولى التي استعملت لابن ميخا كما للإله هي «ملا اليد» (١٧:٥، ١٢؛ رج خر ٢٨:٤١؛ ٢٩:٩؛ ٨:٣٣)، يملأ يده بذبيحة تقدم. هناك خلاف حول المعنى الاصلي للعبارة. ولكنها تدلّ في الواقع على إقامة الكاهن. ومهمما يكن من مصير هذه العبارة في الاستعمالات اللاحقة التي ستتصبح «مخصصة»،

فهي ترتبط بأجر يُعطى للكاهن (قض ١٧: ١٠؛ ١٨: ٤). حين يتمّ الاتفاق يصير اللاوي كاهناً للذى طلبه، سواء كان ميخا أو قبيلة دان. لا نجد عبارة «هـ ي ٥. لـ كـ هـ نـ» (صار كاهناً) إلا في هذا المقطع (١٧: ٢٥؛ ١٠، ١٢، ١٣؛ ١٨: ٤-١٩). في ١٧: ١٠؛ ١٩: ١٨ يسبق لقب «الاب» لفظة «كاهن». وهكذا ارتبط الكاهن بمن «استاجره»، بالذى يؤمّن له الطعام لقاء خدماته. ويلفت نظرنا أن لقب «كاهن» في قض ١٨ يحل محلّ تسمية «لاوي» (١١ مرة مقابل مرتين).

د - الكاهن حارس المعبد

ترتبط إقامة الكاهن بإقامة معبد. وقبل أن يملأ ميخا يد ابنه ويجعله كاهناً، صنع له الأفود والترافيم. وهكذا يبدو الكاهن مرتبطاً بالأواني المقدسة. حمل الدانيون الكاهن معهم، ولكن الكاهن هو الذي اهتمَ بالآفود والترافيم والصنم (٢٠: ١٨). ليس الآفود هنا لباساً كهنوتيّاً بل شيئاً عباديّاً نستطيع أن نحمله (١ ص ٢٨: ٢، ٣: ١٤)، أو نمسكه باليد (١ ص ٢٣: ٦)، أو نأتي به إلىنا (١ ص ٢٣: ٩؛ ٣٠: ٣٠). هو يُسلم إلى الكهنة ويستعمل في طلب قول إلهي. ففي قض ١٨-١٧ و ١٥: ١٣ وهو ٣: ٤، ارتبط الآفود بالترافيم فاستعملما معاً من أجل العرافة.

النشاط الوحيد الذي قام به هذا اللاوي هو الرد على سؤال الدانيين حول نجاح محاولتهم (١٨: ٦-٥). مثل هذه الاستشارة طلباً للقول النبوى، نجدها في بيت ايل حيث كان كهنوت يرتبط بهارون (قض ٢٦: ٢٠-٢٨). كما نجدتها مراراً في تقاليد سابقة للملكيّة (١ ص ١٤: ٣٧؛ ٢٢: ١٠؛ ٢٣: ٢). ونجد تعبيراً واضحاً عن الآفود والترافيم والاستشارة في ١ ص ٣٠: ٧-٨.

ه - الكهنوت الموسوي في دان

يبقى علينا أن نتفحص تقليداً قدیماً نقرأه في قض ١٨: ٣٠-٣١، فنجد فيه أموراً مفيدة. يقول لنا إن مؤسس الكهنوت، يوناتان، يرتبط بموسى عبر جرثوم.

نحن هنا في الجيل الثالث. يجب أن نقرأ في النص «موسى» بدلاً من «منسى»^(٢٠). أما يوناتان المذكور هنا فهو اسم اللاوي الشاب الذي تحدث عنه الخبر السابق. فقد مارس أبناء يوناتان الكهنوت حتى المنفى، أي حوالي ٧٢٣ أو ٧٢٢. ويمكن أن تكون الحاشية الأخيرة التي تعارض صنم دان بيت الله في شيلو، قد تضمنت حكماً من كاتب من الجنوب على هذا المعبد الذي أقيم في الشمال^(٢١).

والتقليد القديم الذي نجد أثره في عد ٥٨:٢٦ ، يجعل القورحين بقرب الموشيين. وهناك من يرى في دان رئاسة كهنوت موسى (أو موشي)، يساعد هذه كهنة لاموشيون هم أبناء قورح^(٢٢).

٥ - كهنوت شيلو

نبدأ فنقول إن المصادر ليست متناسقة كل التناستق. فحسب نصوص يش، يتم توزيع الأراضي في شيلو حيث كانت خيمة الاجتماع. ألقوا القرعة أمام الرب عند مدخل الخيمة وأعطي دوراً مميزاً للعاذر ويشوع ورؤساء البيوت (يش ١٨:١٩؛ ٥١:١٠). وهناك أيضاً توزعت المدن اللاوية (يش ٢:٢). في شيلو التأمت جماعة بني إسرائيل حين انفصل عنهم رؤوبين وجاد ونصف قبيلة منسى. وسار وفد بقيادة فتحاس ابن العاذر.

لا تتوافق بداية ١ ص مع هذه المعطيات. فبدل خيمة الاجتماع، نجد هيكلًا يُشرف عليه كاهن اسمه عالي. وإن لم يكن لهذا المعبد أهمية وطنية، فأهميته تتعدى نطاق القبيلة، لأن فيه تابوت عهد الله (١ ص ٣:٣). في شيلو نجد للمرة

(٢٠) نجد في النص العربي «منسى». زاد الناسخ حرف النون، لأنه استاء حين رأى كاهناً وثنياً يتحدر من موسى. فهذا الكاهن يتحدر من منسى الملك الكافر (مل ٢١) بحسب الناسخ وهكذا تعرفنا إلى اسم اللاوي وإلى ارتباطه بموسى.

Ch. HAURET, «Aux origines du sacerdoce danite», Mélanges A Robert, (٢١) 1957, p. 105-113.

M. D. GOULDER, The Psalms of the Sons of Korah, Sheffield 1982, p. 59. (٢٢)

الاولى عبارة «يهوه صباؤوت» التي تبقى أصولها غامضة. حين دون الكاتب ١ صم ٣-١، أدرج نشيد حنة (٢:١٠-١)، والقول النبوي (٢:٢٧-٣٦)، ومزج تقاليد تعلق بطفولة صموئيل مع تقاليد تتحدث عن شر ابني عالي، فكان له نص معبر في التعارض بين الوجهين. فخبر ابني عالي يرتبط بخبر تابوت العهد الذي ما زال تحديده مثار جدال.

أ - عائلة عالي الكهنوتية

يظهر عالي فجأة في النص، ولا يُذكر نسبة ولا بداية خدمته. هو رئيس كهنة. وابنه كاهنان في هذا الكهنوت (١:٣). وحين يتحدث النص عنه يُسبّق لفظة «كاهن» بـ ال التعريف (هـ.كـ هـ نـ، ٩:١؛ ٢:١١؛ رج ١٢:٢، ١٤، ١٥). يستند انتماء بيت عالي إلى اللاويين، بشكل غير مباشر، إلى تأكيد يتحدث عن إقامة أبيه في مصر (١ صم ٢٧:٢)، وإلى الصيغة المصرية لاسم ابنيه. فمن المعقول أن يكون هذا البيت جزءاً من عشيرة موشية. حاول بعضهم أن يشرحصراعات الطويلة بين العائلات الكهنوتية، فقدم رأياً يقول بأن كهنوتناً موشياً ازدهر في معبدِي شيلو ودان، فتحالفوا مع كهنوت حليف من الموشيين والقينيين المقيمين في المعبددين المحليين في عراد وقادش، ضدّ كهنوت هارون في بيت إيل وأورشليم. هذا ما ستعود إليه فيما بعد. إن سلالة عالي لم تنطفئ بعد موت ولديه. فإن أحيا الكاهن في زمن شاول، يتذرّر من عالي بواسطة فتحاس واحيطوب (١ صم ١٤:١٨-٣). أما أحيمالك، والد أبياتر، فهو أيضاً ابن أحيطوب (١ صم ٩:٢٢؛ ٢٠). بعد ذلك، سيربط المؤرخ أحيمالك بهارون عبر إيتamar (١ آخ ٢٤:٣). في هذا المعبد، نجد مع الكاهن صبياً (نـ عـ رـ، ٢:١٣-١٤). هو صموئيل الفتى الذي يخدم الرب بحضور الكاهن عالي (٢:١١-١٢؛ ٣:١١). بما أنه يلبس أفواد الكتان (٢:١٨)، ويقدم الذبائح (١ صم ٧:٩؛ ١٦-١٥)، ويشارك في الولائم المقدسة (٩:٩-١٣-٢٢)، وقد أعطاه المؤرخ جداً لاويَا (١ آخ ٦:١٨)، رأوا فيه الكاهن. هو لا ينال لقب كاهن سوى مرة واحدة (مز ٦:٩٩) حسب ١ صم ١:٢-٢. إنه إفرامي المولد. وتشعبُ التقاليد حول

صموئيل لا تتيح لنا أن نحدّد موقعه بدقة. في شيلو، يلعب دور خادم المعبد، بتصرّف الكهنة، وبالتالي بتصرف الله. هناك من رأى فيه لا وياً بالتبني لا بالمولد.

ب - النشاطات الكنهوتية

حين نقرأ ١-٣ صم نستنتج ملاحظتين. الأولى (سلبية). لم يتحقق الرباط بعد بين الكاهن والذبيحة. فالسياق هو سياق ذبيحة سنوية (ز ب ح. ه ي م ي م) وهذه الذبيحة العائلية أو العشيرية (١ صم ٢٠:٦) لم ترتب في الببتاتوكس. وهناك طقوس عديدة تتم خلال الزيارة إلى المعبد: نصلّي، نسجد أمام الرب، نذر له نذراً. ألقانة هو الذي يقدم الذبيحة (١:٣، ٤، ٢١؛ رج ١:٢٥). ويقسمها (٦:٥-٦). أما ٢:٢٧ (نصٌ متأخر) فهو أكثر وضوحاً. الملاحظة الثانية (إيجابية). الكاهن يحرس المعبد وبشكل خاص تابوت العهد. وابنا عالي يرافقان تابوت العهد في القتال (٤:٤). الكاهن يستقبل الآتين إلى الله ليسألوه، أو ليقدموا النذور. وهو ينقل أيضاً البركة (٢:٢٠). أما الحاشية الغربية التي تقول إن عالي قضى في إسرائيل أربعين سنة (٤:١٨ ب) فتعتبر إضافة اشتراكية. ولكن ث ١٧:٨-١٣ يقرّ بأن الكهنة اللاويين مارسوا وظيفة قضائية.

ج - دور كهنوت عالي

ما هو تأثير نظام مثل كهنوت عالي؟ في ١ صم ٣-١، بدت الوظائف العبادية أكثر منها سياسية. فالكهنة يعيشون من ذبائح يقدمها المؤمنون (٢:١٢-١٧)، فيهمّون بزيادة حصّتهم منها، أكثر من احتمالهم بلعب دور في المجتمع. وهكذا ضاعت سلطة عالي (٢:٢٢-٢٥).

ومع ذلك، فقد كان لمعبد عالي شهرته. وحضور تابوت العهد فيه منحه نفوذاً في نظر القبائل. ارتبط بصموئيل وهو الشخص الرئيسي في هذه الحقبة التي رأت إقامة الملكية. وسيحتلّ المتحدرّون من هذا الكهنوت موقع هامة: أحيا في زمان شاول (٣:١٤ صم). أحيمالك في نوب (٢١-٢٢ صم). أما أبياتر فيلجاً

إلى داود (٢٠: ٢٠). ونجد قرب يربعام الأول نبي شيلو (الشيلوني)، امل ١١: ٢٧ - ٣٩؛ ١٤: ١-١٤). وهكذا بدا كهنوت شيلو قوة ضغط خلال الملكية الموحدة (بين الشمال والجنوب) (٢٣).

خاتمة

في نهاية حقبة القضاة، هدّد الفلسطينيون يوماً بعد يوم قبائل إسرائيل. وجاءت مغامرات تابوت العهد فقضت على معبد شيلو. تجاه هذه الضرورات الملحة، ثبّت النظام الملكي بشكل تدريجي. ووجد تابوت العهد، مع تقاليد معبد شيلو، ملجاً في العاصمة الجديدة، أورشليم. وهكذا تحولت المؤسسة الكهنوتية. كان الخبر في ١ صم ٣-١ يعارض بين ابني عالي وبين صموئيل. والقول النبوي في ٢: ٣٦-٣٧ (جاء متأخراً) قبل بين كهنوت عالي وكاهن أمين (هو صموئيل). ما الذي يلقي الضوء على كل هذا؟ تاريخ الكهنوت في زمن الملوك.

M. A. COHEN, «The role of the shilonite priesthood in the united (٢٣)
monarchy of ancient Israël», HUCA 36 (1965) p. 59-98.

الفصل الخامس

الكهنوت في زمن الملوك

لما حلّ النظام الملكيّ، حول ظروف وجود الكهنوت في أرض إسرائيل. وهكذا ستجد القبائل الموحدة تحت إمرة داود وسليمان، طريقة أصيلة لكي تحيي العلاقة بين سلطة الملك وسلطة الرئيس، وسط الأمم المجاورة. لن نتوقف هنا عند الظروف المختلفة لممارسة الملكية. بل نحصر كلامنا في الاصلاح الاشتراعي الذي طبع بطابعه حقبة هامة. لهذا ندرسها على حدة. ونميز فيه ثلاثة أمور. الكهنوت في الملكية الموحدة. كهنوت أورشليم. الكهنة واللاويون في مملكة مقسمة.

١ - الكهنوت في الملكية الموحدة

هذه الحقبة القصيرة والخصبة معًا تقابل مُلك داود وسليمان. نهتم فيها بثلاث فئات من الناس: الملك، الكهنة، اللاويون.

أ - الملك

لا نريد أن نصور هنا الطقوس الملكية التي انتقل بعضها إلى عظيم الكهنة في زمن بعد المتنى^(١). بل نتوقف عند مسائلين: دور الملك في شعائر العبادة. والملكية «حسب ملكيصادق».

De VAUX, Institutions I, 155-176; H.CAZELLES, Le Messie de la Bible, (1) Paris, 1978, p. 59-68.

أولاًً : دور الملك في شعائر العبادة

في جولتنا داخل ديانات الشرق القديم، رأينا أن الملك هو المسؤول عن تدبير الهياكل، وفي إسرائيل، الملك هو الذي ينظم العبادة. انطلق بعضهم من مشاركة في أعمال العبادة ليعطونه صفة الكاهن. فنراه يقدم النبائح (١) صم ١٣:٩-١٠؛ ١٥:١٥؛ ٢٤:١٧-١٣؛ ٢٥:٢٤؛ ١٣:٦. ومنحت له امتيازات كهنوتية: يبارك الشعب (٢) صم ٦:١٨ = أخ ٦:١٨ = أخ ٦:١٦). يرفع صلوات التشقق (٢) صم ٧:١٨-١٨؛ ١٧:١٧-١٦؛ ٢٧:١٦؛ ٨:٣٣-٥٥ = أخ ٨:٦ (٤٢-١٤). يلبس أفود الكتان (٢) صم ٦:١٤) الذي يمكن أن لا يكون لباساً كهنوتيّاً (٢).

وجاء من حقل هذه المعطيات، فاستنتج أن الملك ليس كاهناً في المعنى الدقيق للكلمة. فالملكية الإسرائيليّة لم تمنح الكهنوت للملك، لا في بدايتها ولا في تطورها. منذ البداية، كانت الوظائف الكهنوتية مميزة بوضوح عن امتيازات الملك المحارب. ساعة لم يكن الملك «موظفاً» في شعائر العبادة ، فهو يُعتبر صاحب حق في مراقبة العبادة. يجب أن نفسّر بدقة الاشارات التي تدلّ على نشاط كهنوتيّ ، ولا سيّما في ما يتعلق بالذبائح. ففي هذه الحال، كان اللجوء إلى الكهنة اللاويين مفروضاً على الملوك كما على سائر العوام في إسرائيل (٣). يُضاف إلى ذلك أن الملك ليس حارس المعبد، وأنه يتوجه إلى الكاهن لينال جواباً من الله (١) صم ٩:٣٠؛ ٧:٢٣).

ثانياً : الملكية «حسب ملكيصادق»

ولكتنا نجد مقطعين تنضمّ فيما ملكية أورشليم إلى لقب الكاهن. هما المقطعان الوحيدين اللذان يشيران إلى شخص ملكيصادق (تك ١٤:١٨-٢٠؛ مز ١١٠:٤).

A.PHILIPS,«David's linen ephod» VT 19 (1959) p. 485-487. (٢)

J.de FRAINE, «Peut-t-on parler d'un véritable sacerdoce du roi en Israël»? Sacra Pagina (1959) p. 537-547. (٣)

المزمور ١١٠ هو مزمور ملكي، وهو يعود إلى زمن قديم، ربما إلى زمن داود، نجد في آ٤ «ال. دب رت ي». هل تعود إلى «دب ر» (معاهدة) كما قال الأب داود؟ عند ذاك يُلغى شخص ملكيصادق^(٤). إن لفظة «بحسب» تترجم اليونانية «حسب ترتيب». وكانت ترجمة ممكنة مع كاكو: «أقسم الرب ولن يندم: أنت كاهن إلى الأبد. (أقسم) بالنسبة إلى ملكيصادق»^(٥). وشرح موقفه فقال: «لا يقوم جوهر القول النبيوي في التأكيد على الطابع الكهنوتي للملكية، وهو طابع نقلته سلالة يبوس (اسم أورشليم في أيام الكنعانيين) من ملكيصادق إلى سلالة داود، ولكن في وعد الأبد أي في استمرارية الملكية في السلالة». يفضل هذا الموقف على موقف يرى في هذا الكلام عودة أولى إلى صادوق. وهكذا يؤكّد المزمور في نظر إسرائيل، على شرعية الكهنوت قبل إسرائيلي في أورشليم^(٦). وهناك من اعتبر المزمور ١١٠ متأخراً (بعد المنفي). فرأى فيه مزموراً ملكياً قدّيماً تحول إلى قصيدة تنشد تولي رئيس الكهنة سلطته.

• تك ١٤: ١٨-٢٠ •

وطرح تك ١٤: ١٨-٢٠ عدداً من الصعوبات. فالنص مركب تركيبياً عجيناً ويدخل بصعوبة في مراجع الببتاتوكس الأدبية. وجاء من رتب النظريات في مجموعات مختلفة. (١) تلك التي يجعل تدوين تك ١٤: ١٨-٢٠ في ما بعد المنفي. (٢) تلك التي تحدّد موقع النص في حقبة الملكية المقسمة. (٣) تلك التي ترى فيه تبريراً لموقع صادوق في زمن داود. (٤) تلك التي تقول إن هذا النص يُسند مختلف وجهات سياسة داود، حين حاول أن يوفق بين العبادات الإسرائيليّة والعبادات الكنعانية، وحين أراد أن يجعل الناس يقبلون باعتداد داود بأن يكون

M. DAHOOD, Psalms III dans Anchor Bible 1979, p.17. (٤)

A. CAQUOT, «Remarques sur le psaume 110» Semitica 6 (1956) p. 33-52. (٥)

H.H. ROWLEY, «Zadok and Nehustan» JBL 58 (1939) p.113-141. Ici p. 125. (٦)

ملك الاسرائيليين والكتناعين معاً⁽⁷⁾. مهما يكن من أمر، فمرمي النصّ الأول ليس أن يجعلنا نقبل بكونه ولا أن يُبرّز طابعَ الملك في اسرائيل.

نلاحظ موقف دلكور الذي يقول إن مز ١١٠ وتك ١٤ يرتبطان بتقليد تاريخي واحد. فقد دون المزمور في زمن داود. أما تك ١٤ الذي ينقل تقاليد قديمة فقد دون في زمن متاخر. دون بعد المنفي فتوخى أن يبرّر تأسيس فريضة العشر رابطاً إياها بزمن الآباء⁽⁸⁾.

ب - الكهنة في أيام داود وسليمان

ما زالت معرفتنا لتنظيم الكهنة في زمن داود وسليمان ناقصة. أما الكاهنان الرئيسيان فهما آبياتر وصادوق. وجود هذين الكهنوتين يعكس ظروف خلق دولة تضمّ تقاليد مختلفة. لم يكونا محتكرين كل الكهنوت، لأن اللوائح الادارية تذكر أبناء داود وغيره.

كان آبياتر ابن احيمالك، كاهناً في معبد نوب، فارتبط بجماعة عالي في شيلو. أما جوهر كهنته فمن الخط «العرافي». هو يستعمل أفود العرافية. وحين لجأ إلى داود، حمل الأفود (صم ٢٣: ٦؛ ٢٣: ٩؛ ٣٠: ٧). وحمل معه تقاليد الكهنوت اللاوي الموشى في شيلو. وظهر مرة أخرى في خبر الخلافة بجانب صادوق الذي يشاركه في حراسة تابوت العهد (صم ١٥: ١٧؛ ٢٤: ٢٩؛ ١٥: ١٧؛ ١٢: ١٩). بعد أن أخذ جانب أدونيا، نُفي إلى عنانوت (مل ٢: ٢٦). نحن هنا أمام مؤامرة داخل البلاط الملكي. فُهُر الاتجاه المحافظ كما عرفته شيلو، ساعة بدأت الملكية تتطور مع سليمان. لن يعود آبياتر كاهن الرب (مل ٢: ٢٧). ويربط مدونٌ ١ مل هذا الواقع بقول نبوي ضد بيت عالي (صم ٢: ٢٧؛ ٣٦: ٢)، وإن كانت عناصر هذا القول قد جاءت بعد ذلك الوقت.

J.A. EMERTON, «The riddle of Genesis XIV» VT 21 (1971) p. 403- 439. (٧)

M.DELCOR, «Melchisedek from Genesis to the Qumran texts and the Epistles to the Hebrews», Journal for the Study of Judaism 2 (1971) p. 115-135. (٨)

وظهر صادوق فجأة في خبر الخلافة. قاسم ابياتر حراسة تابوت العهد، فصار اسمه يرد قبل اسم ابياتر. وربطه المؤرخ الكنهوتى بسلالة العازر الكنهوتية (أخ ٣٤: ٥؛ ٣٨: ٦؛ ٣٨: ٣) وبالتالي بهارون. وحسب النص العبرى في ٢ صم ١٧: ٨، هو يرتبط بعائلة عالى بواسطة احيطوب. ولكن هذا يبدو صعباً بسبب حاشية ١ مل ٢: ٢.

أصل صادوق ما يزال سرياً . لا نعرف بدقة من أين جاء. قيل كان كاهن جبون (أخ ١٦: ٣٩) وانتمى إلى كهنوت قرية يعارض. وهناك فرضية تجعل منه كاهن معبد يوسوس القديم، ووارث كهنوت ملكيصادق. وكانت اختلافة في هذا الخط عينه: كان كاهناً يوسيماً، فالتحق بذاود في حبرون، وهكذا صار رئيس كهنة في بنى إسرائيل. وكان رأي آخر: صادوق هو من نسل هارون من حبرون. وترتبط الصراع الهاروني المowski في زمن داود على صادوق وابياتر. وقيل: ارتبط صادوق ببيت يوياداع، والد بنيا، قائد الحرس الشخصي لداود. كان صادوق مساعدته حسب أخ ١٢: ٢٨-٢٩. هكذا تبقى أمامنا فريضتان: ارتباط صادوق بيوسوس. ارتباطه بهارون.

اختلف صادوق عن ابياتر، فما ذكر عنه أنه استعمل أفود العرافة. ارتبط صادوق وأبياتر بتابوت العهد. إلا أن خبر الخلافة لا يتركز على المسائل العبادية. بل هو يعطينا معلومات عن الدور الذي لعبه الكاهنان في قضايا الدولة (٢ صم ١٩-١٢: ١٥). كان صادوق بجانب سليمان مع النبي ناثان وقائد الحرس بنيا. وحسب ١ مل ١: ٣٩، هو الذي قدم المسحة الملوكية لسليمان.

وأعلمتنا اللوائح الإدارية بوجود أكثر من كهنوت. حسب ٢ صم ١٨: ٨، كان ابناء داود كهنة. هو أمر عادي في النظم الملكية الشرقية التي تجعل بعض أعضاء العائلة المالكة يقومون بوظائف دينية. ولكن أخ ١٨: ١٧ صحق النص فقال: «وكان بنو داود الأولين».

واللائحة الثانية لموظفي داود تقول إن عيرا اليتري كان كاهن داود (٢ صم ٣٨: ٢٣). وهناك لائحة سليمان في ١ مل ٤: ٥-١ حيث خلف عزريا والده

صادوق. ولكن غابت لفظة «كاهن» من السبعينية. والإشارة إلى صادوق وابياتر هي إضافة (رج ١ مل ٢٦-٢٧). ولقب كاهن الذي أعطى لزابود يبقى غير أكيد.

ج - اللاويون في مملكة داود وسليمان

كان لمجيء الملكية وتنظيم العبادة الوطنية نتائج هامة في تطور الكهنوت. نظم الملك العبادة، فصار الكهنة موظفين لديه. وهو يستطيع أن يستبعد من يشاء كما فعل مع ابياتر. هل تابع الاتجاه الذي بدأ في زمن القضاة، والذي شرع يفضل اللاويين؟ كان ابياتر من اللاويين. ولكن لا صادوق ولا غيرا كانوا من اللاويين. في أي حال، وجب على السلطة الملكية أن تقوم ببعض المساومات، وتأخذ بعض الاعتبار مساندة المجموعات المختلفة للملك.

كانت ملكية داود من أصل يهوداوي. وكان اللاويون متمركزين في يهودا. وقد أعاد المؤرخ الكهنوتي إلى داود تنظيم العبادة، ولعب اللاويون دوراً كبيراً في هذا التنظيم. ويرى الشراح أن اللاويين الذين ساعدوا الملك على تثبيت عرشه، ظلوا يخدمونه بشكل لافت. وحين درسوا عدة حالات (أو أشخاص) انضموا إليه، استنتاجوا أن هذه الخدمة لم تكن عبادية فحسب، بل سياسية وعسكرية^(٩). وعالجوها علاقات داود باللاويين انطلاقاً من لوائح المدن اللاوية (يش ٢١؛ ٦-٣٥؛ عد ٣٩: ٨-٢؛ ٦٦-٦٧) التي أعادوها إلى زمن الملكية الداودية، فقالوا: حين أقام داود العبادة الوطنية، سلم بعض المدن إلى اللاويين. كانوا أمناء لداود، فعرفوا بغيرتهم ليهوه وبكتفاءتهم في إقامة شعائر العبادة. أجل، إن هذه اللوائح تعكس سياسة داود^(١٠).

R.ROBINSON,«The Levites in the Premonarchic Period», SBT 8 (1978) p. (٩)
3-24; T.POLK, «The levites in the Davidic- Salomonic Empire» SBT 9
(1979) p. 3-22; Ch. HAVER, «David and the Levites», Journal for the Study
of the OT, 23 (1982) p. 33-54.

A. G. AULD, «The «Levitical cities». Texts and History», ZAW 91 (1979) (١٠)
p. 194-206; J. MILGROM,
«The Levitic Town: An Exercice in Realistic Planning» JJS 33(1982) p. 185-188

٢ - كهنوت أورشليم

إذا أردنا أن نتعرف إلى كهنوت أورشليم خلال الملكية، نعود إلى التاريخ الاشتراعي (يش، قض، ١٥٢ صم، ١٥٢ مل) وإلى التاريخ الكهنوتي (١٥٢ آخ، عز، نح). ومع ذلك، تبقى هذه المراجع خفرة في ما يخص التنظيم الداخلي للكهنوت ودوره في شعائر العبادة. كما أنه يجب أن نأخذ بعين الاعتبار الاتجاه اللاهوتي لكل من التقليد الاشتراعي والتقليد الكهنوتي.

أ - خلفاء صادوق

نبدأ فنقابل مختلف لوائح الانساب^(١): آخ ٥: ٤١-٢٧؛ ٦: ٣٨-٣٥؛ عز ٧: ٥-١؛ نح ١١: ١٠-١١؛ آخ ٩: ١١-١٠؛ آخ ٨: ٢-١ (عزرا الأول في السبعينية اليونانية)؛ عز ١: ٣-١ (عزرا الرابع كما في الشعبية اللاتينية). نلاحظ مزيجاً بين مختلف المجموعات التي تلقاها المؤرخ الكهنوتي أو ألفها. فالمعلومات الأكيدة تتدخل مع ما عرفناه من قبل.

لا نستطيع أن نقدم هنا تاريخاً متواصلاً للكهنوت في زمن الملوك. نكتفي بالإشارة إلى بعض المحطات. خلف عزريا صادوق (امل ٤: ٢). ولكننا لا نعرف شيئاً عنه. في أيام يوشافاط (٨٤٨-٨٧٠)، تحدث المؤرخ الكهنوتي عن إصلاح قانوني. وورد اسم كاهنين: أليشاماع ويورام (آخ ١٧: ٨). ثم إن أمريا الكاهن الرئيس يدقق في الأمور المتعلقة بالرب (١٩: ١١). وكان تأثير الكاهن يوبيادع كبيراً في الانقلاب على عثيليا وتتويج يوآش. ظلّ يوبيادع مدة طويلة في وظيفته، ولكنه لم يُذكر في سلسلة الأنساب. يقول ٢ آخ ٢٢: ١١ إن امرأته يوشابع هي ابنة يورام وشقيقة أحزياء. في أيام يوآش حدث أمرٌ جديد. جاء أمر من

J.R. BARTLETT, «Zadoq and his successors at Jerusalem» JThS 19 (١١) (1968) p. 1-18.

الملك، ففرض على الكهنة أن يتخلوا عن جزء من المداخيل التي تغذى الكنز المقدس، من أجل الاصلاحات في الهيكل. ولكن هذا كان من واجب الملك (مل ١٢: ٧-٥؛ رج ١ مل ٩: ٢٥ ب). لهذا ظلّ الأمر حرفًا ميتاً، وعادوا إلى الممارسة القديمة^(١٢)). كان ليوبيادع ابن اسمه زكريا، فقتله يوآش (أخ ٢٤: ٢٠-٢٢). وكان عزريا آخر رئيس كهنة في أيام الملك عزيا (أخ ٢٦: ١٧-٢٤). يروي المؤرخ خلافاً حصل بين الملك والكافن حول الدور العبادي للملك. في أيام أحاز (٧٣٦-٧١٦)، بدا أوريا الكافن خاضعاً لسلطة الملك (مل ١٦: ١٠-١٧؛ رج أش ٨: ٢) الذي لعب دوراً كبيراً في أمور العبادة (أأ ١٢-١٣)، ولاحظ ترتيبات حول وظائف الكهنة في لغة قريبة من المرجع الكهنوتي. هكذا تكون في تقليد هيكل أورشليم. ونعرف أيضاً رئيس كهنة (كان في الوقت عينه رئيس الهيكل) في أيام حزقيا. اسمه عزريا. ويوضح أخ ٢٤: ٣١ أنه من بيت صادوق. وخلال إصلاح يوشيا (سنة ٩٢٢) حلقيا هو الكافن. وأخر الممسكين بالوظيفة الكهنوتية كان سرايا (مل ٢٥: ٢٥؛ إر ١٨: ٢٥-٤٥؛ ١٤). ابنه يوصادق (أخ ٥: ١٠) سيكون والد جد يشوع، رئيس الكهنة الذي عاد مع العائدين من السبي.

حاولت لائحة الأنساب أن تملأ الفجوات التي تركتها الأخبار التي ما اهتمت بأن تربط كل كافن رئيس ببيت صادوق، ولا بأن تحدد أن الوظيفة جاءته بالوراثة. لا نستطيع أن نستخرج برهانًا إيجابياً من هذا الصمت، ولكتنا نستطيع أن نتكلّم عن الكهنة الصادوقين في أيام الملوك.

ب - التراتبية الكهنوتية

إذا عدنا إلى النصوص، نستطيع أن نكتشف بعض التنظيم في العالم

M.DELCOR, Etudes bibliques et orientales de religions comparées, (١٢)
Leiden 1979, p. 67-91.

الكهنوتي. فلقب «عظيم الكهنة» (هـ. كـ هـ. جـ دـ لـ) لم يوجد قبل المنفى. أما ما نقرأ في مل ٢:١٢؛ ١١:١٢؛ ٢٢:٢٣؛ ٨-٤؛ ١٤:٢٣ فقد زيد فيما بعد^(١٣). عادة، يسمى الكاهن الأول «هـ. كـ هـ» (الكاهن مع ألم التعريف) أو «كـ هـ. هـ. روـ شـ» (الكاهن الرئيس أو الكاهن الأول) (أخ ١٩:١٩-١٠؛ ٦:٢٤؛ ٢٤:٢٦). إن الكهنة الذين أعطى لهم هذا اللقب عاشوا قبل المنفى، منذ أمريا في أيام يوشافاط (أخ ١٩:١١) حتى سرايا (مل ٢٥:٢٥). أعطي هذا اللقب أولاً إلى أمريا في إطار إصلاح قانوني. ويبدو أنه أعطي له بسبب وظائفه القضائية. وقد يكون المعنى تطور: ففي أيام سرايا، تميّز الكاهن الأول عن الكاهن الثاني^(١٤).

ووجد كاهن ثان (مـ شـ نـ هـ). ولكنه لا يُذكر إلا في الأزمنة الأخيرة للملكيّة، بعد حكم يوشيا. مثلاً، لا يُذكر في مل ٢:٢٣؛ ٤:٤. أما في مل ٢:٢٥ (إر ٥٢:٤٢) فنجد صفينيا (= إر ١:٢١؛ ٣:٣٧؛ رج ٢٩-٢٤:٢٩). في هذا الصّالآخر يُسمى «فـ قـ يـ دـ» الهيكل أي المكلف بشرطة الهيكل. وهو أقلّ عداوة ل أمريا من سلفه فشحور (إر ١:٢٠).

وعرف المؤرخ الكهنوتي لقبي آخر: «نـ جـ يـ دـ» (مدبر) بيت الله (أخ ١١:٩؛ ١١:٢؛ ١٣:٣١؛ رج ٢ أخ ٨:٣٥؛ نح ١١:١١؛ إر ٢٠:١). ولكن هذا اللقب لم يحصر في الكاهن الرئيس. وهناك «حراس العتبة» (حراس أبواب الهيكل). رج ٢ مل ١٢:١٠؛ ٤:٢٢؛ ٤:٢٣؛ ٤:٢٥؛ ١٨:٢٥ = إر ٥٢:٤٢ أخ ٩:٣٤. هم ضبّاط رفيعون في الهيكل. وقد كلّفهم يواش بجمع ما يرد إلى الهيكل (مل ٢:١٢؛ ١٠:١٢). وأخيراً «كبار (أو شيوخ) الكهنة». هم رؤساء البيوت

De VAUX, Institutions II, 241. (١٣)

(1969) J.R. BARTLETT, «The use of the Word *rōsh* as a title in the OT», VT 19 p. 1-10 (١٤)

الكهنوتية الذين لعبوا بعض المرات دوراً هاماً في أمور الدولة (مل ۱۹: ۲ = أش ۳۷: ۲).^{۲۰}

ج - وضع الكهنوت في أورشليم

إن هذه النصوص التي أوردناها تتيح لنا أن نستنتج أن دور الكهنة كان محدوداً في أورشليم على أيام الملوك. هناك ظروف خارقة أبرزت وجهين كهنوتيين: يوياداع في أيام عثlia ويواش. وحلقيا في زمن أصلاح يوشيا. لماذا هذا الدور المحدود؟ ثلاثة أسباب. الأول: الملك هو الذي يدير ما يتعلق بالمعبد. الثاني: في لوائح الموظفين، لا يحتل الكاهن المركز الأول ولا سيما في أيام داود. الثالث: الكهنة هم مرافقون من الدرجة الثانية في المهام الرسمية. ولا يبدو أنه كان للkehنة تأثير سياسي. لأن السلطة الملكية راقبت كل تحرك في الهيكل.

نشير بشكل عام إلى انتقاد الانبياء للكهنة. فأشعيا وميخا النبيان في يهودا في القرن الثامن، تكلما قليلاً عن الكهنة. في إطار الحرب الaramية الأفرايمية، ذكر أشعيا اوريما الكاهن كشاهد أهل للتصديق (أش ۸: ۲). و«كبار الكهنة» كانوا في الوفد الذي أرسل إليه (أش ۳۷: ۲). هو يوبخ الكهنة (مع الانبياء) بسبب الخمر التي تلهبهم (۲۸: ۷). ويزيد «إنهم يعثرون في الحكم» أي يمارسون القضاء تحت تأثير السكر. أما كتاب ميخا فتضمن هجوماً واحداً على الكهنة بعد أن جعلهم مع سائر المسؤولين (۱۱: ۳). إنهم الكهنة بسبب جشعهم: «رؤساؤها يحكمون بالرشوة، وكهتها يعلمون بالاجرة».

٣ - الكهنة اللاويون في مملكة مقسمة

لن نجد عملاً جدياً يضم مختلف الفئات الكهنوتية إلا مع الاصلاح الاشتراكي. أما الآن، فالشعب انقسم قسمين: مملكة الشمال (أو افرايم أو اسرائيل) وعاصمتها السامرية. ومملكة الجنوب (أو يهودا) وعاصمتها أورشليم.

وستعيش مملكة الشمال قرنين من الزمن قبل أن تزول. بدأت بعد موت سليمان، مع يربعام الأول حوالي سنة ٩٣٣ ق.م. وانتهت مع هوشع وسقوط السامرة سنة ٧٢١-٧٢٢. في ذلك الوقت انتظمت الحركة اللاوية متطرفة ساعتها.

أ- يربعام الأول والكهنوت

اختار يربعام معبدين معروفين في عالم الكهنة. ارتبط معبد دان بالموشيين (نسبة إلى موشي، موسى)، ومعبد بيت إيل بالأباء حسب قض ٢٠:٢٦-٢٨. كان فتحاس، حفيد هارون بواسطة العازر، يخدم بيت إيل. واحتفظ يش ٢٤:٢٤-١٣:١٣ بتقليد يقول إن العازر دُفن في جبل افرائيم. ولكننا لسنا أكيدين بأن يكون هذا الكهنوت قد ظلّ مرتبطاً بهارون بعد إصلاح يربعام الأول، لأننا نعرف أن الهارونين طردوا من بيت إيل حسب ١١:١٢ أخ ١٣:١٥-١٤.

وكهنة شيلو الذين أبعدوا حين ارتقى سليمان العرش، ما ظلوا مكتوفي الأيدي. فسياسة سليمان الموافقة ليهودا أضرت بمصالح الموشيين في الشمال^(١٥). فاستفاد يربعام الأول من هذا الاستياء لديهم.

يرد انفصال يربعام الأول في حاشية^(١٦) نقرأها في ١ مل ١٢:١٢-٢٦:٣٣. كان تدخل الملك في شعائر العبادة أمراً عادياً، لأنه المسؤول عن العبادة، ولأن له سلطة على تسمية الكهنة. ولكنه سمي أشخاصاً ليسوا من «بيت لاوي» (عبارة قد لا تكون اشتراكية). أنساً جاؤوا من كل جهة (أفضل من أناس عاديين، من الشعب). وجعل النص هؤلاء الكهنة يرتبطون بالمشارف (١٢:٣؛ ١٣:٣٣).

B.HALPERN, «Sectionalism and Schism» JBL 93 (1974) p. 519-532; (١٥)
«Levitic Participation in the Reform Cult of Jeroboam I» JBL 95
(1976) p. 31-42.

R. de VAUX, «Le schisme religieux de Jeroboam Ie» dans Bible et Orient, 1967, p.151-163. (١٦)

ورغم الائتمان الشعري للمجموعة، يرى بعضهم في آية ٣١: آية اشتراكية. فإن آية ٣١ (بني يرباع بيوتاً للعبادة وأقام كهنة) تستند إلى أساس متين. فيرباع ما وجد بين اللاويين كهنة مستعددين أن يكونوا له. فاللاويون المقيمون في الشمال فضلوا الامانة لعبادة لا تعرف صورة ولا تمثلاً.

هناك علاقة بين مل ١٢ وخر ٣٢. ونقاط الاتصال عديدة^(١٧): أو أن يرباع اقتدى بهارون. أو نحن أمام حرب يصلحها كهنة أورشليم الصادوقيون، ستختلف حدتها حين قُبِّل الصادوقيون في أورشليم في نسل هارون. ويبدو أن هذه الحرب لم تأت من أورشليم، بل من كهنة شيلو الذين عارضوا الهارونيين في بيت إيل. ويرى آخرون أن خر ٣٢ يعود إلى تقليد موسي شيلوني لم يقبل بعبادة مع صور وتماثيل فقام على يرباع (مثلاً، ردة فعل أحيا). يبدو أننا لا نجد في خر ٣٢ حرباً بين كهنتين، لأن هارون لا يبدو هنا كصورة كهنوتية.

ب - ترفيع كهنوتي للاويين (خر ٣٢: ٢٥-٢٩)

أُقحم خر ٣٢، ٢٩-٢٥، بشكل متاخر في سياقه الحالي. ويصعب أن نسبه إلى أحد مراجع البتاتوكس الاربعة (يهوهي، الوهيمي...). قد يكون جاء من الشمال فدخل في نص الوهيمي. وما تواخاه في الأصل ليس مناوهة هارون، لأن آية ٢٥ وبآية ٣٥ اللتين تهاجمان هارون أضيفتا فيما بعد. هذا التقليد يهاجم بالأحرى عبادة العجل الذهبي. بما أن لا شيء يشهد لهذا الهجوم في القرن التاسع، فإن هاتين الآيتين لا يمكن أن تكونا دوناً قبل القرن الثامن. ولكن لا يمكن أن تعودا إلى ما بعد سقوط السامرة الذي أنهى العبادة الملكية في الشمال.

أما النواة الحقيقة لهذه الوحدة النصوصية فهي آية ٢٩ التي تؤكد أن اللاويين تقلدوا الكهنوت مع عبارة «ملائتم أيديكم». والتحديد الوحيد المعطى هنا هو أن هذه التولية هي من أجل الرب. فموسى طرح مسألة التعلق بيهوه (آية ٢٦).

M.ABERBACH et L. SMOLAR, «Aaron and Jeroboam and the golden calf» JBL 86 (1967) p. 129-140.

وأعطيت لهم البركة. فالتعلق بيده سمة خاصة باللاويين، وهو يسبق الرباطات العائلية والوطنية. ويمكننا أن نتساءل: هل نفهم بلفظة «أخ»، الاسرائيلي بشكل عام أو اللاوي بشكل خاص؟ مهما يكن من أمر، فهذه القاعدة اللاوية تجعل للقبيلة ما كان في الأصل للفرد (قض ١٧-١٨). وهي تبرّر مطالبة اللاويين بحق حصريّ في ممارسة الكهنوت.

ج - وظائف لاوي الكهنوتية (ث ٣٣: ٨-١١)

إن القول حول لاوي في ث ٣٣: ٨-١١ يختلف في رئته عن القول الذي نجده في بركات يعقوب (تك ٤٩: ٥-٧). الموضوع هنا هو الوظائف الكهنوتية في قبيلة لاوي. وقد يعود النص إلى القرن الثامن، فيكون «دون» بعد خر ٣٢: ٢٥-٢٩. لما جعلت تولية الكهنوت للاويين على سفح سيناء، فاطار هذا «القول» هو أحداث مسّة ومريبة. غير أنها نجد في ث ٣٣: ٩-١٩ صدى لما في خر ٣٢: ٢٥-٢٩. فمجمل النص هو امتداد للتولية وتكميلها. ونستطيع أن نميز زمنين في التدوين: المرحلة الأقدم، وهي ذات طابع قبليّ، تتحدث عن الوظيفة الكهنوتية في ارتباطها بالأقوال النبوية (٣٣: ٨). والمرحلة المتأخرة دونت في صيغة الغائب الجمع فأشارت إلى التعليم والذبيحة (١٠-١٩ ب).

أولاً : وظيفة «العرفة»

هي الوظيفة التي تشهد لها أكثر ما تشهد النصوصُ القديمة. والوااني المستعملة هي اوريم وتوميم. نجد اللفظتين معاً في ث ٣٣: ٨؛ خر ٢٨: ٣٠؛ لا ٨: ٨؛ عز ٢: ٦٣؛ نح ٧: ٦٥. ونجدهما في ١ صم ١٤: ٤١ حسب الترجمات (لا في الأصل العبري). كانت بلا شك شيئاً مثل زهر الترد يتبع أن يجب بنعم أو لا. ولكن في زمن الملكية، خفَّ تدريجياً دور الكهنة في «العرفة».

ثانياً : التوراة والتعليم

وارتبطت الوظيفة الكهنوتية تقليدياً بالتوراة (في المعنى الحصري) التي هي

في الأصل تعليم قصير حول موضوع خاص، وقاعدة سلوك عملية في مواد عبادية. وقد اتّخذ التعليم الكهنوتي أشكالاً مختلفة حسب الاطر التي مورس فيها. بالإضافة إلى التقنية القديمة في العرافة وتقديم «القول الالهي»، ميز الشراح^(١٨) «التوجيه» الكهنوتي (نجد مثلاً عنه في حج ٢: ١٠- ١٣). و«الاعلان» الكهنوتي (رج تث ٢٧: ٢٦- ١٤). و«الحكم» الكهنوتي (كما في خر ٢٢: ٧- ٨) حيث يُحمل الخلافُ أمام الله). أما الموضوع الاهم في «التوراة» (أي التعليم) الكهنوتي فهو التمييز بين الطاهر والنجل، بين المقدس والدينوي. غير أن النصوص الأوضح تعود إلى زمن متاخر. واعتبر بعضهم أننا أمام أجوبة ترتبط بظروف خاصة لا أمام تعليم منسق. ومع ذلك، يبقى أن مسؤولية الكهنة الأولى تقف أمام «التعاليم» (توروت جمع توراة) (إر ١٨: ١٨)، كما تقف مسؤولية الانبياء تجاه «أقوال» الله.

ثالثاً : الوظيفة الذبائحية

هي تأتي في الدرجة الاخيرة. لم تكن في الأصل محفوظة للكهنة. إن تث ٣٣: ١٠ ب انطلق من واقع يُعمل به ويقاد يصبح قاعدة. فالكهنة ارتبطوا بالذبائح من خلال دورهم «العرافي» ووظيفتهم كحراس المعبد. في شيلو، كانت لهم حصّة من الذبائح (١) ص ٢: ١٢- ١٧). ولما تطورت شعائر العبادة في زمن الملكية، أخذ الكهنة «يحرقون البخور» و«يضعون المحرقة على المذبح». في القول ضد بيت عالي، جاءت في الدرجة الأولى العلاقة بين الكاهن والمذبح (١) ص ٢: ٢٨). فالكافن ليس الذابح بمعنى «الناحر» (كل واحد ينحر)، بل هو ذاك الذي يقدم الذبيحة. وهكذا، حين تحدّد دور الكهنة في الذبائح، بدا هذا الدور قدّيماً. ولكنه تنظم شيئاً فشيئاً ساعة زال دور «العرافة»، وصار الدور التعليمي مشتركاً مع أشخاص غير الكهنة^(١٩).

P.J. BUDD, «Priestly instruction in pre- exilic Israel» VT 23 (1973) p. (١٨)
1- 14.

De VAUX, Institutions II, 210 (١٩)

د - كهنوت الشمال والأنبياء

يخبرنا كتاب الملوك أن الحركة النبوية ترکّزت في مملكة الشمال، وكان تأثيرها كبيراً. ومنذ القرن الثامن، بدأ الأنبياء يهاجمون بقوة الانحرافات في العبادة. جاء نبي من الجنوب وكان في أصل الخلاف بين الكهنة والأنبياء، اسمه عاموس. جاء إلى معبد بيت إيل الملكي. فطرده الكاهن أ Mitsia (عا ٧: ١٠ - ١٧).

و جسد هو شع هذا الصراع ضد العبادات الوثنية. هو النبي الوحيد الآتي من الشمال وقد ترك كتاباً. هاجم عجل السامرة (هو ٨: ٦-٤)، بيت أون (١٠: ٣؛ ١٢: ١-٣). والتقوى بالكهنة خلال انتقاده للعبادات (٤: ٤، ٦، ٩؛ ٥: ١؛ ٩: ٦). يلخص موقفه في ٦: ٦ مع توبixin جوهريين: رفض المعرفة ونسيان التوراة (= التعليم). هو لا يحدد هوية الكاهن ولا مكانته. هو لا يهاجم الكهنوت كوظيفة. بل الكهنة الذين يقومون بهذه الوظيفة. فلهوش نظرته السامية إلى الكهنوت. فتوراة إله العهد قد سُلمت إلى الكهنة. خطيبتهم تحدّد عقابهم. وسيُصنع بالكهنة، ما صنعوا هم بيده. رذلوا وحие. فسيرذل كهنوتهم.

مهما يكن ارتباط هو شع بالوسط الكهنوتي، فهو يعكس الحالة النفسية وإرادة الاصلاح. وهذا الاصلاح سيتم حين يساعد الكهنة الحقيقيون الشعب ليعرف الرب، فينقلون إليه التوراة أي التعليم.

خاتمة

تلك كانت جولتنا في الكهنوت على عهد الملوك بدءاً بعهد داود وسليمان. وصولاً إلى منفى أشور (٧٢٢) ومنفى بابل (٥٨٧). ما زال يوجد أكثر من كهنوت في البلاد، ولاسيما حين انقسم الشمال عن الجنوب ونظم له كهنوتاً خاصاً به أخذ أعضاءه من الناس العاديين لا من اللاويين. ولكن الحركة اللاوية بدأت تتكون في شكل منظم. وكذلك الحركة الكهنوتية التي ستجمع النصوص العديدة قبل منفى بابل وبعده، فتقديم لنا الكتب الكهنوتية والتاريخ الكهنوتي.

الفصل السابع

الكهنوت الاشتراكي

طبع ثُمَّ بطابعه حقبة هامة في تاريخ الكهنوت. فاللاويون طالبوا بحقهم في ممارسته. وجُعل الحدث في إطار إصلاح واسع نجده في الشرعة الاشتراكية (تث ١٢-٢٦). تُفتح هذه الشرعة بشرعية تركيز العبادة في موضع واحد، دون أن نفهم السبب الدقيق لذلك^(١). فالانحرافات التي ندد بها الانبياء، وخسارة عدد من المعابد خلال الاجتياح الآشوري (مثلاً، نهاية معبد دان حسب قض ٣١: ١٨)، جاءت بتدبير كان له بُعد كبير. فلا يمكن أن تكون عبادة حقيقة خارج المكان الذي اختاره رب ليقيم فيه اسمه^(٢).

مهما يكن الدور الذي لعبه اللاويون في صياغة برنامج الاصلاح، فسيسعون لأن يقودوا إلى النهاية، مسيرة فرضتهم كالكهنة الحقيقيين. عُرِفُوا بأماناتهم للعلم وغيّرُتهم للرب، فبدوا أصدق الموجّهين الدينيين لشعب الله المتتجدد الذي يريده أن يعيش اختياره وتكريسه لله^(٣).

E. NICHOLSON, «The centralisation of cult in Deuteronomy» VT 13 (١) (1963) p. 380-389.

R. De VAUX, «Le lieu que Yahweh a choisi pour y établir son nom» (٢) Mélanges L. Rost, 1967, p. 219-228.

F. GARCIA LOPEZ, «Un peuple consacré: analyse critique de Deutéro-nome VII» VT 32 (1982) p. 438-463, Voir aussi DBS VII, 813-822. (٣)

١ - اللاويون والكهنوت

السؤال الذي يُطرح: كيف تمّ الربط بين «الكهنة» و«اللاويين» في تث؟ لا بدّ من التوقف على عدد من النصوص، مع العلم أن هذه النصوص تتسمى إلى طبقات مختلفة في تدوين تث، بحيث يتبدل المعنى بتبدل معنى المفردات.

أ - اللاوي في أبوابك

تكلّم الشريعة الاشتراكية ١١ مرة عن اللاوي بصيغة المفرد (١٢:١٢ ، ١٨ ، ١٩:١٩ ، ٢٧:١٤ ، ٢٩:١٤ ، ١٦:١١ ، ١٤:١١ ، ٢٦:٦ ، ١٨:١١ ، ١٢ ، ١٣). مثلاً ١٢:١٢ : «وافرحاوا أمام الرب إلهكم، أنتم وبنوكم وبناتكم وعيديكم وجواريكم واللاوي الذي في مدنكم (حرفيًا: في أبواب مدنكم. يعني داخل مدنكم) لأن اللاوي لا نصيب له ولا ملك فيما بينكم». هذا الفرائض التي تبدو بشكل تضمين (تث ١٢ وتث ٢٦)، هي مهمة للمشرع الذي يريد حماية اللاوي. فهو يوصي به لأن لا نصيب له ولا ملك (أو ميراث) (١٢:١٢ ، ١٤:٢٧ ، رج ١٤:١٩).

فاللاوي في قض ١٧ احتاج أن يستأجره ميخا ويقدم له أجراً. فتركيز شعائر العبادة في موضع واحد ألغى فرص العمل. وزاد الوضع الاقتصادي خطورة الاجتياح الآشوري. وجاء لاويون من الشمال إلى مملكة يهودا بعد سقوط السامرة سنة ٧٢٢، ولكنهم وجدوا أنهم صاروا أكثر مما يستطيع المكان أن يحمل. لهذا صار عدد منهم في فئة الضعفاء على المستوى الاقتصادي (= الفقراء). صار اللاوي يُذكر مع «جر» (الغريب) (٢٦:١١)، مع المهاجر واليتيم والارملة (١٤:٢٩ ، ١٦:١٦ ، ١٤:١٣ ، ٢٦:١١). لا يتكلّم النص عن اللاوي كما يتكلّم عن الغريب (جر)، بل كما عن شخص لا ملك له ولا ميراث في أرض إسرائيل. لهذا يُدعى للانضمام إلى احتفالات العبادة ، مع ما فيها من فرح (١٢:١٢ ، ١٦:١١ - ١٤).

هؤلاء الذين قسّت عليهم الأيام يستطيعون أن يأكلوا من التقاصد «في الموضع الذي اختاره الله». فمن أحسن إليهم نال بركة الرب.

ونجد في ١٨:٦ النقطة المهمة في التشريع الاشتراعي حول اللاوي . فالشريعة تؤمن للاوي الذي يرغب في أن يذهب إلى «الموضع الذي اختاره الله»، حق الخدمة، شأنه شأن جميع أخوته الذين يقيمون هناك في حضرة الرب . فعلى ١٩٧ استعمالاً لفعل «ش ر ت» (خدم، قام بوظيفة)، نجد ٦٠ تقريباً تتحدث عن العبادة . ويُستعمل الفعل بشكل خاص في المرجع الكهنوتي و ١ و ٢ آخ . طُبّقت اللفظة على صموئيل (اصم ١١:٢ ، ١٨:٣) . ونجدها أيضاً في ث ١٨:١٠ ، ١٢:١٧ ، ١٨:٥ ، ٢١:٥ . هذه الفرضية تضع حدّاً لاستثمار خدام المعبد المركزي بالأعمال، الذين سموا «إخوة لاوين» دون أي تلميح إلى التراتبية . وهكذا تكون في خطّ ثـ.

ب - الكاهن في الشريعة الاشتراكية

وهناك مقاطع لا تتكلّم إلا عن الكاهن ، دون أن تربطه بلفظة «لاوي» . هذا يدلّ على أننا في الطبقة الأقدم من الشريعة . ففي المقاطع الخمسة التي نجد فيها هذا الوضع ، يكون الاسم دوماً مع ال التعريف (١٧:١٢:١٢:١٢:١٢) . كل من تجّرّب فلم يسمع من الكاهن ؛ ١٨:٣ ، ٢:٢٠ ، رج ١٦:٣ ، ٤) . والقول في ١٧:١٧ (في صيغة الغائب) يختلف عن السياق . فال فعل «ش ر ت» الذي طبّق على اللاوي في ١٨:٢٧ ، يطبّق الآن على الكاهن (مع فعل ع م د الواقف) . ما زالت الألفاظ غير واضحة ، وما تمّ التمييز بعد بين الوظائف . فالدور القديم للكاهن في الحرب المقدسة ، يُذكر في ٢:٢٠ : كان الكاهن يردد الآقوال «الالهية» ويؤمّن الطقوس . وفي ٢٦:٣-٤ ، قام الكاهن بوظيفة حارس المعبد .

في أهمّ مقطع عن الكهنوت (١٨:١-٨) نجد جزءاً يعود إلى الكاهن وحده (٥-٣:١٣) . يحدّد فيه الحصة التي تعود للكاهن في الذبائح والبواكيـر (رج ١ صم ١٨:٥: لأنّ الرب إلهكم ... تشرح الوضع) فتماهي بين الكاهن واللاوي ، ويزيد ١٨:٥ على ١٨:٧ مباركة اسم يهوه .

ج - الكهنة اللاويون في الشريعة الاشتراعية

ضمّ ث خمس مرات اللفظتين في عبارة مركبة: «الكهنة واللاويون» (١٧: ٩، ١٨: ١، ٢٤: ٨، ٢٧: ٩). فاللاويون يتماهون مع الكهنة وينالون سلطة الكهنوت حصرًا. فإذا وضعنا جانباً ١٨: ١، فهذه النصوص تعود بنا إلى مهمة التعليم التي يؤديها الكاهن. فالكهنة اللاويون هم حرّاس التوراة التي يخضع لها الملك (٨: ١٧). ومقطع ١٣-٨: ١٧ هو مثال عن الحكم الذي يدلّي به الكهنة. وهكذا انضمّ اللاويون إلى القضاة، و فعل «ي ره» (علم) يستعمل في آ ٨: ٢٤ (يرشدونكم، حرفياً: يرونكم) وأ ١١. ويستعمل هذا الفعل أيضاً في آ ١٠ حيث يحكم الكهنة اللاويون في وضع الأبرص. لم تتشتّت اللغة بعد بشكل نهائيّ، لأننا في ١٩: ١٧ نجد الكهنة مع القضاة. و ٩: ٢٧ يتحدث عن الكهنة اللاويين. و ١٤: ٢٧ عن اللاويين. و نجد أيضاً عبارة «الكهنة بنى لاوي» في سياق قضائي ٥: ٢١، ولكن بعضهم يرى أن هذه الآية أضيفت فيما بعد.

د - الكهنة اللاويون وقبيلة لاوي

يلفت انتباها ث ١٨: ٨-١٨ الذي ينظم وضع الكهنة. فالمقطع الأول (آ ١-٢) يذكر أن الكهنة اللاويين لا نصيب لهم ولا ميراث في إسرائيل. فالربّ هو ميراثهم. يعيشون من الأطعمة المقدمة للربّ، ومن ميراثه. ولكن من هم هؤلاء؟ هل نحن أمام تحديد الحقوق لقبيلة لاوي كلها، أو هل يجب أن تميّز بين الكهنة اللاويين وسائر أعضاء قبيلة لاوي؟ إن العبارة التي تبدأ المقطع هي مهمة ولكنها موضوع جدال. فتفسّر على أنها بدل لما قبلها في خطّ مقاطع أخرى من ث ٢: ٢٧؛ ٣: ٤؛ ١٣، ١٨، ١٩: ٤؛ ٢١: ١٦؛ ٢١: ١٠؛ ٨: ٥؛ ١٩: ٤؛ ٢١: ١٧؛ ١: ١٧؛ ٢: ٣٧؛ ٣: ٤؛ ١٤: ٢٥؛ ٢٠: ١٤؛ ٢٥: ١٦). حين تقوم بهذه المقابلة، نقرّ لجميع اللاويين بالعيش من المذبح. ويرى آخرون أن هناك مقاطع في ث يرد فيها قول أول ويتوسع في معناه قول ثان (٥: ١٤؛ ٦: ١٢؛ ٦: ١٤، ١٢، ١٨، ١٥؛ ١٤، ١١: ٢٦؛ ١٤: ١١؛ ٣٠: ١؛ ٣٠: ١). إذا كانت الموازاة صحيحة، فهذا يعني أن الكهنة اللاويين لا يشكلون سوى

جزء من قبيلة لاوي، وهذا ما يفرض علينا أن نميز بين «الكهنة» و«اللاويين» في ثـ. رأى بعضهم^(٤) مجموعتين: واحدة تخدم المذبح وتعيش منه. واللاويون المكلّفون بوظائف التعليم. ولكن يبدو أن هذه الفرضية لا تفرض نفسها. فإن ثـ يرى الحق لـكل اللاويـن بأن يخدموا في المعبد المركـزيـ. ولكن الوضع كان معقدـاـ بـحيث لم يستطع الجميع أن يطالـوا بـحقـهمـ. فـصـحـ المـشـتـرـعـ التـجاـوزـاتـ السـابـقـةـ وـرـفـعـ الـلاـويـونـ إـلـىـ مـسـتـوـيـ الخـدـمـةـ الـكـهـنـوـتـيـةـ. ولكنـ المـثالـ الـذـيـ قـدـمـهـ لـمـ يـدـخـلـ فـيـ الحـيـاةـ الـيـوـمـيـةـ.

٢ - إصلاح يوشيا وتأثيره

كان ثـ أساسـاـ لـاصـلاحـ دـينـيـ وـسيـاسـيـ قـامـ بـهـ الـمـلـكـ يـوـشـياـ سـنـةـ ٦٢٢ـ. فـيـ المـدىـ القـصـيرـ كـانـ هـذـاـ الـاصـلاحـ فـاشـلاـ. ولكنـ الـمـواـضـيـعـ الـكـبـرـىـ فـيـ هـذـاـ الـاصـلاحـ سـوـفـ تـلـهـمـ حـرـكـةـ يـمـتـدـ تـفـكـيرـهاـ حـتـىـ الـمـنـفـىـ. أـمـاـ فـيـ مـاـ يـعـلـقـ بـنـطـوـرـ الـكـهـنـوـتـ، فـنـسـتـطـيعـ أـنـ نـعـرـفـ كـيـفـ كـانـ رـدـّـ فـعـلـ كـهـنـةـ أـورـشـلـيمـ تـجـاهـ هـذـهـ الـوـثـيقـةـ الـتـيـ تـسانـدـ الـلاـويـنـ.

١ - كـهـنـةـ أـورـشـلـيمـ وـالـاصـلاحـ

نـقـرأـ الـخـبـرـ فـيـ ٢ـ مـلـ ٢٣ـ٢٢ـ. أـمـاـ ٢ـ أـخـ ٣٤ـ٣٥ـ فـيـوـزـعـ عـلـىـ ثـلـاثـ مـحـطـاتـ ماـ يـجـعـلـهـ التـارـيـخـ الـاشـتـرـاعـيـ فـيـ حدـثـ وـاحـدـ. وـلـكـنـ يـبـقـىـ أـمـيـنـاـ لـلـوـاقـعـ.

حسبـ ٢ـ مـلـ، لـعـبـ الـكـهـنـةـ دـورـاـ نـاـشـطـاـ فـيـ الـاصـلاحـ. فالـكـاهـنـ حـلـقـياـ اـكـتـشـفـ كتابـ الشـرـيـعـةـ (٢٢ـ٨ـ:ـ١٠ـ). وـقـادـ الـوـفـدـ الـذـيـ ذـهـبـ إـلـىـ النـبـيـةـ حـلـدـةـ يـسـأـلـهـ (آـ).

G. E. WRIGHT, «The Levites in Deuteronomy» VT 4 (1954) p. 325- (٤) 330. J.A. EMERTON, «Priests and Levites in Deuteronomy» VT 12 (1962). p. 129-138; R. ABBA, «Priests and Levites in Dt» VT 27 (1977) p. 257-267.

(٢٠-١١). ومع الكاهن الثاني وحرّاس العتبة، قاموا بتطهير المعبد (٢٣: ٤٤). ييدو الأمر غريباً، لأن هذا الكتاب يتوجّح أن يضع موضع العمل شريعة تؤكّد مطالب اللاويين بأن يمارسوا الكهنوت. كنا ننتظر أن يستند كهنة أورشليم إلى تقاليدهم الخاصة التي ستدون في شريعة القدس (لا ٢٦-١٧)، ساعية بيّنت الوثيقة المكتشفة ارتباطها بالشمال. ولكنّ فضلَ ثُث هو أنه وثيقة مكتوبة وهذه قوّتها. اهتمّ بالمسائل الاجتماعية والسياسية. فكان عوناً لمجهود الملك لكي يعيد أبناء الشمال إلى أورشليم والسلالة الداودية والهيكل. وبفضل شريعة تركيز العبادة، صار هيكل أورشليم المعبد الوحيد. ولما دُمرت سائر المعابد حتى تلك الموجودة في مملكة الشمال، أدرك هيكل أورشليم موقفاً قوياً لم يصل إليه من قبل. واستفاد كهنة أورشليم من هذا الوضع كل الاستفادة. ولكن بقي عليهم أن يدافعوا عن موقفهم تجاه الكهنة اللاويين الذين اعترف ثُث بحقّهم في الكهنوت.

ب - كهنة أورشليم والكهنة اللاويون

كان من نتائج إصلاح يوشيا، أنه أمن سيطرة كهنة هيكل أورشليم الذي تماهى مع الموضع الذي اختاره يهوه.

كانت الشريعة الاشتراكية قد دلت على الوضع المؤلم للاويين الذين اصطدم حقّهم بممارسة الكهنوت في المعبد، بصعوبات عديدة. فلا يمكن تطبيق الإجراء الذي اتّخذ حين لا يترك إلّاغاء المعابد المحلية سوى موضع وحيد للعبادة. ويشير مل إلى هذا التميّز في ٩: ٢٣ ف يقول: «على أن كهنة هذه المذابح لم يُسمح لهم بالصعود إلى مذبح الرب في أورشليم. بل كان يسمح لهم بتناول الفطير مع زملائهم الكهنة». ونهاية الآية تذكرنا بما في ثُث: الذين مُنعوا من الصعود إلى المذبح هم كهنة المشارف، لا اللاويون أو الكهنة اللاويون. وكان جدال. ولكن، مهما يكن من أمر، فأصلاح يوشيا جاء إلى أورشليم بkehنة لا يحصلون إلا على دور ثانوي في الخدمة.

واسعة كان كهنة أورشليم يدافعون عن امتيازاتهم، كانوا يؤسسون أيضًا شرعيةِّهم الخاصة. كانت جذور صادوقٍ غامضة، وأصله اللاوي مثار جدل. فكمِّ القولُ الالهي ضدَّ بيت عاليٍ، في وقت إصلاح يوشيا. وإذا كان صادوق هو الكاهن الأمين الذي يتحدث عنه 1 صم ٣٥:٢ (أقيم لي كاهن أميناً يعمل حسب ما في قلبي ونفسِي، عكس عالي)، نفهم في إطار إصلاح يوشيا، أن يأتِي من يستعطي لدى بيت صادوق وظيفة كهنوتية ليكون له «قطعة من فضةٍ ورغيف خبز» (1 صم ٣٦:٢).

ج - اللاويون ، وتابوت العهد ، وكتاب الشريعة

استُبعد اللاويون من خدمة المذبح، وهم لا يتتمون إلى جماعة أورشليم الكهنوتية، فتعلقوا بوظائف تحفظ لهم مكانهم في المعبد. كانوا قد أبزوا مطامحهم بعد إصلاح يوشيا، ولكن قبل التبدلات التي جاءت بعد المنفى. هم يحملون تابوت العهد الذي يحرسه صادوق وأبياتر في بداية الملكية. وهكذا لم يعد تابوت العهد مرتبطًا بالقول الالهي، بل بالشريعة أو كتاب الشريعة. نقرأ مثلاً في تث ٨:١٠: «في ذلك الوقت، خصَّ الرب سبط لاوي بحمل تابوت عهد الرب والوقوف أمامه ليخدموه ولبار��وا اسمه كما هي حالهم إلى هذا اليوم» (رج ٣١:٩؛ ٢٥-٢٦).

هذه المقاطع من تث تتكلّم وحدها عن «قبيلة لاوي» (٨:١٠)، عن «الكهنة بني لاوي» (٩:٣١) عن «اللاويين» (٢٥:٣١) كحملة لتابوت العهد. هناك من نسب هذه المقاطع إلى الاشتراعي وآخرون نسبوها إلى الإلهي^(٥). نشير هنا إلى أن هذه الحاشية ترد بعد حاشية مستقلة تتحدث عن موت هارون وتسلیم خلفه سلطنة الكهنوت.

J. LOZA, «Exode 32 et la rédaction JE» VT 23 (1973) p. 31-55. (٥)

في الواقع، نستطيع أن نسوق الملاحظات التالية. إن ١٠:٨-٩ يستعيد ٧-٥ ويكمّله ويقدمه في نظرة شاملة. يقف اللاويون أمام الرب ليخدموه. في ث ١٨ هم يخدمون باسم الرب. إن ١٠:٨ يفكّك العبارة ويقحم البركة باسم الرب. إن هذه الحاشية التي أدرجت في الخطبة تبقى في خط ث. فاللاويون هم في خدمة الرب لا في خدمة هارون فقط. ووظيفة حاملي تابوت الرب تدلّ على مرحلة في تطور خدمة اللاويين. حين انحطّ اللاويون من درجتهم بفعل الوثيقة الكهنوتية، وحين زال تابوت العهد^(٦) بعد أن دخل البابليون أورشليم سنة ٥٨٧ وجب على اللاويين أن يأخذوا هذا الوضع بعين الاعتبار وأن يتصرفوا على أساسه.

٣ - إرميا وصادوقيو أورشليم

نستطيع أن نتعرّف إلى كهنة أورشليم بالحكم الذي «أصدره» عليهم معاصرهم. وإرميا مهمّ من وجهتين في هذا المجال. أولاً، شهادته هي أكمل شهادة نمتلكها عن الحقبة التي تمتدّ من إصلاح يوشيا إلى سقوط أورشليم (هذا إذا أخذنا بالكريونولوجيا التي يقبل بها معظم الشرّاح). ثانياً، أصله من مدينة عناوت الكهنوتية، من عائلة كهنوتية ترتبط بأبياتر، وبالتالي بعالى في شيلو. وسيذكر النبي دمار شيلو في ٧:٤. لهذا نفهم بسهولة أن رباطاته العائلية ما كانت تهيئة لحكم « مليء بالرحمة» تجاه كهنة صادوق في أورشليم.

إذا أردنا أن نحدّد موقع نقد إرميا للكهنوت، يجب أن نتذكر أن النبي هاجم جميع المسؤولين، وهاجم الشعب بشكل عام: ملوك يهوذا، «الوزراء»، شعب الأرض، الشعب كلّه... ولكن الكتاب لا يتضمن مقالاً ضد الكهنة كما ضد الملوك (١١:٢٣-٢٣:٨) والأنبياء (٢٣:٩-٤٠). بيد أنه حين يتكلّم عن الأنبياء يتكلّم عن الكهنة، وهكذا يثبت سفر إرميا ارتباط الكاهن بـ«توره» (التعليم)

T.E. FREIHEIM, «The Ark in Deuteronomy» CBQ 30 (1968) p. 1-14. (٦)

(١٨:١٨). ووبخ ارميا، في خطّ هوشع، أولئك الذين يمسكون التوراة وتنقصهم المعرفة (١٤:٨؛ رج ١٨:٢). ويتهم الكهنة مع الانبياء بالكذب والغشّ (٦:٣). ويتهمهم بأنهم يعطون التعليم^(٧) منطلقين من سلطتهم الخاصة (٥:٣١). وبدل الكهنة والأنبياء على كفرهم وشرّهم حتى في الهيكل (٣٢:١١). وكما كان لإرميا جدال مع حانيا، نبيّ جبعون (ف ١٨)، كذلك سيكون له مع فشحور، حارس الهيكل (٢١:١). وبعد أن قال خطبته في ذلك الموضع، تأمر عليه الأنبياء والكهنة لكي يقتلوه (ف ٢٦).

ولكن حياة إرميا لم تكن كلها صراغاً. فهناك كهنة قدامى يرافقون إرميا (٩:١). وسيكون في الوفد الذاهب إليه كاهن هو فشحور (٢١:١؛ ٣٧:٣). صفينيا)، لا بل وبخ الكاهن صفينيا لأنّه كان ضعيفاً أمام إرميا (٢٩:٢٤-٢٨). وإذا كان ارميا اتهم الكهنة مع سائر العظماء فهو قد ضمّهم في كلمات الرجاء التي تفوّه بها (٢٩:١ـ٢).

كانت المنازعات بين العائلات الكهنوتجية كبيرة. وهذا ما يفسّر موقف ارميا. وليس وحده. فتجاه مؤسسة تريد أن تعيش في الماضي وتحافظ عليه، ووعي النبيّ الأزمة ودعا إلى تبدل روحي يكون أساس خلاص للشعب. وبفضل المنفي، تولّدت برامج إصلاح في الاوساط الكهنوتجية.

خاتمة

انطلق اللاويون من ث بعده أن حاولوا أن يستعيدوا كرامتهم داخل الكهنوتج. ولكن الحرب الاشورية التي دمرت المعابد، وقوة الكهنة في أورشليم، ونظرة الملك إلى قبائل الشمال، كل هذا جعل اللاويين يفشلون فيكونون خداماً من الدرجة الثانية في هيكل الرب. في هذا الخط ستسير المراجع الكهنوتجية.

(٧) رج النص العربي كما هو مصحّح في نسخة شتوتغارتم سنة ١٩٦٨ : يورو أو هورو.

الفصل الثامن

الكهنوت في سفر حزقيال

مارس حزقيال مهمته النبوية لدى المنيّين في بابل. كان كاهناً في أورشليم فانتهى إلى هذا المحيط الذي لم يرضَ عن الاصلاح الاشتراعي، والذي عارضه إرميا. بدا كتابه على المستوى الايديولوجي والاُدبي قريباً من الكتابات الكهنوتية، قريباً من شريعة القدس، وسابقاً بعض الشيء للشرعية الكهنوتية^(١). لا يتطرق النبي إلى مسألة الكهنة واللاوين إلا في النصوص الأخيرة من كتابه (ف ٤٠-٤٨) التي تطرح أسئلة خاصة. قبل أن تنطرق إلى هذه الفصول، نتوقف بعض الشيء علّنا نجد إشارات تساعدننا على فهم الكهنوت.

١ - حزقيال والكهنوت

لا يتكلم حزقيال عن الكهنة إلا في مناسبتين. وفي الحالتين يشدد على مسؤولية الكهنة تجاه «التوراة». نقرأ في ٢٦:٧ ما يلي: «الكاهن يفقد الشرعية، والشيخوخ الحكمة». رج إر ١٨:١٨ (الشرعية لا تُحرم من كاهن سواه، ولا حسن المشورة من حكيم). حين يوبخ حزقيال الكهنة لأنهم «عنفوا» الشرعية (٢٦:٢٢).

(١) يبدو أن ما في حزقيال من كهنوتي أضيف فيما بعد على الكلام النبوي. وبالتالي جاء متأخراً. ولكن هناك من يعتبر أن الكهنوتي سابق لحزقيال A. HURVITZ, A linguistic Study of the relationship between the priestly source and the book of Ezekiel, Paris, 1982.

كهنتها يخالفون شريعتي، ويدرسون أماكنني المقدسة...). فهو يقدم تفصيلين حول مضمونها: يجب الفصل (بـ دـ لـ) بين المقدس والدنيوي والتعريف بالفرق بين الطاهر والنجس^(٢).

انطبعت لغة حزقيال بأصله، على مستوى المفردات كما أثر قانون القدس على تعليمه (ف ١٤؛ ١٨؛ ٣٣: ٢٠-٢٠). فعلى الكاهن أن يعطي «إرشادات» في هذا المجال، وأن يعطي أحکاماً. لقد أراد حزقيال في كرازته أن يحمل هذه المعرفة التي أهملها الكهنة. وتعود مراراً عبارة «يعرفون أنني يهوه» في كتابه. وهذا الارتباط بين الكاهن والنبي في كتابه مهم جداً. فإن حزقيال قد اكتشف كهنته من جديد ساعة تلقى النداء النبوى. سقطت كل الأطر، ولكن حزقيال وقف عند الثغرة، شأنه شأن موسى (٢٢: ٣٠؛ ١٠٦: ٢٣)، ولما أخصبت وظيفة الوساطة في الكهنتوت، بالتقليد النبوى، اقتنت بُعداً جديداً في قلب شعب الله^(٣).

٢ - توراة حزقيال وخدمة حضور الله

تحتلَّ ف ٤٠-٤٨ مكانة فريدة في حز بأسلوبها وفنها الأدبي واهتماماتها. هذه الشريعة (التي دونها حز) خضعت لتدوينات متعاقبة بحيث تكلم الناس عن «مدرسة» حزقيال^(٤). هناك نقطة هامة لمعرفة الكهنتوت حيث نكتشف الفرق بين ف ١-٣٩ وف ٤٠-٤٨، هي فكرة القداسة. فعلى ١١٥ استعمالاً لجذر «ق دش»، نجد ٥٠ استعمالاً في ف ٤٠-٤٨. وقد بين الشرح^(٥) اختلافاً في النبرة بين المجموعتين. في ف ١-٣٩، ترتبط قداسة الرب بواقع تاريخي يعيشه

Pureté DBS IX, 500-501 (٢)

L. MONLOUBOU, Un prêtre devient prophète, Paris 1972. (٣)

J. D. LEVENSON, Theology of the Program of Ezechiel 40-48 HSMS (٤)
10 (1970).

M. GILBERT, in J. Ries et alii, L'expression du sacré dans les grandes religions, Louvain-la-Neuve 1978, p.244-246. (٥)

الشعب . أما في ٤٨-٤٠ فموضع القدس يرتبط دوماً بالهيكل وبكل ما يتعلق به في معارضة مع ما هو دينويّ .

الهيكل هو موضع حضور الله . نجد تعبيراً عن ذلك في مقطع يشكل انتقالاً بين تصوير الهيكل وتنظيم مؤسّاته (٤٣: ١-٢). هناك أولاً وصول مجد يهوه الذي يملأ الهيكل (٤٣: ٤، ٥). هذه الرؤية هي في بداية الكلمة ستعود في تضمين ، وهي تؤكّد أن يهوه يقيم إلى الأبد في وسط أبناء إسرائيل (٤٣: ٧-٩). وحين يكون للمدينة هيكلها ونظمها ، تستطيع أن تُسمى «يهوه هنا» (٤٨: ٣٥). رج ١١: ١: أخذني من هناك .

في هذا الهيكل المثالي تكون الخدمة في جوهرها خدمة حضور الله ، ومراعاة قواعد القدس في ما يخصّ الأماكن والأشياء والأشخاص . هذه الشريعة لا تقدم قوانين حول مختلف نظم شعب الله على مثال ثـ . بل تتوقف عند اهتمامين : تميّز بين دور الامير (أو الرئيس) ودور الكهنة . تميّز بين «الكهنة» وبين «اللاويين». هذا ما تجب دراسته بالنظر إلى توسيع التقاليد الأدبية .

٣ - وضع الرئيس في الهيكل

في زمن الملكيّة كان الملك «سيد» الهيكل ، وكان الكهنة موظفين لديه . وحاول ثـ أن يُخضع النظام الملكي لشريعة يحملها الكهنة اللاويون . فالتوراة المركزّة على شرائع العبادة لا تتجه ذلك الذي يقود الدولة . فتسميمه «الرئيس» (ناسي ، الامير) ، وتحدد له موضعه في الجماعة الدينية . منذ بداية الفرائض ، هي تهتمّ بتجنب الاخطاء السابقة ، بحيث لا تنجز اسم الرب القديس ، ففصل بين الهيكل ومتزل الرئيس (٤٣: ٧-٩) .

حين حلّ الشرّاح التقليدي ، عزلوا طبقة أدبية هي طبقة «ناسي» (الرئيس) التي نجدها خصوصاً في ٤٤: ١-٣؛ ٤٥: ٤٥؛ ٤٦: ٢١؛ ٤٦: ٤٦ ، ١٠ ، ١٢ ، ٨: ٤٥ بـ ٩؛ ٤٦: ١٦-١٨ . تشير هذه النصوص في جوهرها إلى فرائض ذبائحية وعبادية . فالامير يدخل إلى المعبد بالباب الخارجي من جهة الشرق

(٤٤:٣-١؛ رج ١:٤٦، ٨، ١٢). وهو يأخذ مكانه في الطعام العبادي. له ذيائض يقدمها في عيد الفصح (٤٥:٢٤-٢١) وعيد المظال (٤٥:٢٥) وفي يوم السبت والقمر الجديد (٤٦:٧-١). يقدم المحرقة الطوعية وذبيحة السلامة كما في يوم السبت. وجاءت بعض النصوص وأضيفت إلى هذه الجموعة وهي: ٤٣: ٢٧-١٨؛ ٤٦: ٢٠-١٣؛ ٤٥: ١٨-٢٧. هذه الطقوس الأخيرة اجتذبت إليها أقوالاً حول المتوجبات للرئيس والذبائح المكلّف بها (٤٥: ١٦-١٧). للأمير ملك خارج الحصة المقدسة وحدود المدينة (٤٥: ٧؛ ٤٨: ٢١-٢٢). فهذا النصان الثنويان يتحدّد موقعهما على مستوى الواقع التاريخي. هو القول النبوى الذي أضيف على قول يعلن أن الرؤساء لن يضايقوا شعب الله (٤٥: ٨-٩). فالقاعدة حول ميراث الأمير هي ملموسة بحيث تنطبق على وجه تاريخي.

هذا الكلام يبرز ظاهرتين اثنتين.

الأولى: إن تبديل البنية كان السبب في تبديل التسمية. لن يسمى رئيس «الشعب» «ملك» بل أمير (ناسي، رئيس). ولا يعود من كلام عن الملوك في ٤٣: ٨-٧. «ناسي» هو وجه يعود إلى زمن القبائل، أي قبل الملكية. استعادت اللفظةُ بعضَ الاستعمال بعد سقوط الملكية، وهذا ما نراه في الوثيقة الكهنوتية.

الثانية: لم يعد للأمير أية وظيفة سياسية. فعمله يجري في مجال الهيكل وشعائر العبادة. هاتان الملاحظتان تدعوانا للتساؤل حول الوظيفة الحقيقة لهذا الشخص في نظام تيوقратي ينظر إليه حزقيال وتلاميذه. هناك خط فكري أول يرى في هذا الأمير «ملكًا» وملكًا من بيت داود. فلا مجال لرفض التماهي بين «أمير» «توره» و«داود» الأقوال المسيحانية^(٦) (٢٣:٣٤؛ ٣٧:٢٤). والخط الفكري الثاني يرى انقطاعاً بين وجه الملك كما في ف ٣٩-١ وأمير التوراة. عندئذ يشددون على الانحطاط الذي دخل فيه. مسيحانية حزقيال هي حقيقة،

A. CAQUOT, «Le messianisme d'Ezéchiel» Semitica 14 (1964) p. 5-23. (٦)

ولكنها مسيحانية تعرف تبديلاً كاملاً، بسبب التحولات التي حصلت في العهد (١٧: ٢١-١٢). هي أولاً مسيحانية بدون مسحة. حرقايل يهتم بأمر الليتورجيا، ولكنه لا يهتم بالطقوس الملكية كما لا يهتم بالملوك^(٧).

هذا الامير الذي لا يُمسح بالزيت، يتعايش مع كهنوت بدون عظيم كهنة. وهذا الدور الديني سيحدُّ شيئاً فشيئاً كهنوت يؤكّد ذاته تدريجياً. فالطبقة «الصادوقية» تريننا صعوباً متدرجاً لابناء صادوق. والاتحاد بين الطبقتين يعلن الوحدة اللاحقة بين الرئيس وعظيم الكهنة قبل أن يأخذ هذا الأخير كل السلطات. سيستعيد زكرياء الأول المسألة من منظار آخر. وهكذا نكون في مقاطع تبدو بشكل مفاصل في تطور الكهنوت.

٤ - الصادقيون واللاويون

طرحت مسألة الكهنوت في نصوص نُسبت إلى الطبقة «الصادوقية». نجدها بشكل خاص في ٣١: ٤٤ (محذف منه آ١٣-١٥، ٢٧-١٧، ٣١ كملحق). وهناك نصوص مماثلة: ٤٠: ٤٥-٤٦؛ ٤٣: ١٩؛ ٤٥: ٤٦؛ ٤٤: ٤٦؛ ٤٨: ١١. إن تفحّص هذه النصوص المختلفة يدلّ على الطريقة التي بها توضّحت العبارات بشكل تدريجي.

أ - خدمة الهيكل وخدمة المذبح

هناك نصّ أول أدرج في تصوير الملحقات، يميّز فتيتين من الكهنة (٤٠: ٤٥-٤٦) ما عدا حاشية آ٤٦ بـ: هؤلاء الذين يؤمّنون خدمة الهيكل (البيت)، وهؤلاء الذين يؤمّنون خدمة المذبح. أصحاب الفتة الثانية يصورون وهم يقتربون من يهود في ١٣: ٤٢. ويحدد ١٤: ٤٢ قاعدة حول استعمال اللباس الليتورجي. ونقرّب جزئين (٤٦: ١٩-٢٠؛ ٤٦: ٢١-٢٤) لا يبدوان في مكانهما الحقيقي. نحن أمام

H. CAZELLES, Le Messie de la Bible, Paris 1972, p.134. (٧)

مطابخ الهيكل. الجزء الاول (٤٦:١٩-٢٠) يعني الكهنة. والثاني (آ٢١-٢٤) خدام الهيكل (آ٢٤؛ رج ٤٦أ). وهناك مقطع أخير أكثر وضوحاً نذكره في هذه المجموعة من النصوص : ٤٥:٤-٥. المفردات مختلفة بعض الشيء . يقال عن الكهنة انهم يقومون بخدمة المقدس (م ق د ش)، وأنهم يقتربون من الرب للخدمة. أما الذين يقومون بخدمة الهيكل فيتماهون بعد الآن مع اللاويين.

ب - اللاويون خدمة الهيكل

وتحدد وضع اللاويين في ٤٤:١٠-١٤ . في خر ٣٢:٢٥-٢٩ ، بدا اللاويون المدافعين المتخصصين عن اليهودية (=التعلق بيهوه). أما هنا فانحاطوا لأنهم ابتعدوا عن يهوه. يصعب علينا أن نحدد أي فعل شرك قاموا به. لا يشير النص بوضوح إلى المشراف ، بل إلى ضلال أمام الأصنام (ج ل ل ي م لفظة عزيزة على قلب حزقيال). هناك من تحدث عن ذنوب من عبدوا الآلهة الغربية وصورهم. ويسأل: أما كان هناك انقسام داخل الكهنة خلال حكم منسى؟ إن الحقبة المتفاوتة جعلت المؤمنين يفكرون بمكان الغرباء في شعائر العبادة ، وساعدت على التزاحم للوصول إلى الكهنوت .

إن امتيازات اللاويين هي الامتيازات التي قرأنها في الأجزاء السابقة: خدمة الهيكل التي كلفوا بها (آ١٤-١١). وتزيد آ١١: حراسة أبواب الهيكل (٢مل ١٢:١٠). وكلفوا أيضاً بنحر المحرقات والذبائح للشعب (٤٦:٢٤). بينما هذا التكليف يعود إلى مقدم الذبيحة في كتب طقوسية أخرى. أما الاجراء الهام فهو الاستبعاد: لن يقترب اللاويون مني لكي يمارسوا الكهنوت .

ج - الكهنة الصادوقيون وخدمة يهوه

إن المقطع حول الكهنة يقدم لنا عن الكهنة معلومات حول وضعهم، حول وظائفهم، حول وسائل عيشهم .

• وضع الكهنة

وافقت توراة حزقيال على مطامح اللاويين بالنسبة إلى الكهنوت. فشرعية الكهنة تستعيد عبارة «الكهنة اللاويين» كما في تث (رج حز ٤٤:٤٤؛ رج إقحام ٤٣:١٩ في تكريس المذبح). في تث، كان لهذه العبارة بُعد معتمّ. فأعطتها توراة حزقيال بُعداً حضريّاً، فحدّدت الكهنوت بأبناء صادوق. هذا التحديد قد جُعل أيضاً في بعض الحواشى (بني صادوق، ٤٦:٤٠؛ زرع ٤٨:١١). زرع صادوق، ٤٣:١٩). ونلاحظ أنّ الكلام عن الصادوقين في حصر المعنى، لا يبدأ إلا في ٤٠-٤٨ حيث ترکّز استعمال «بني صادوق» و«زرع صادوق». فالصادوقيون الذين أخذ نفوذهم يزداد منذ حزقيا (عبارة بيت صادوق في ٢ أخ ٣١:١٠)، جعلوا نظرتهم تسيطر في توراة حزقيال. يبقى أن نعلم كيف سيطبق هذا البرنامج بعد العودة من المنفى ساعة طالب مجموعات أخرى بحقوقها.

• وظائف الكهنة

هذا على مستوى وضع الكهنة. وعلى مستوى الوظائف، يلفت انتباهاً عنصران في ٤٤-١٥:٤٤. الكهنة الصادوقيون يؤمّنون وخدمهم خدمة يهوه. فالفعال «ق رب» (قرب)، «ش ر ت» (خدم)، «ع م د» (وقف) ترتبط بيهوه (٤٠:٤٦؛ ١٩:٤٣؛ ١١:٤٨). ففي خط ٤٠:٤٦، تحدّد هذه الشريعة أن الكهنة، أبناء صادوق، يقرّبون الشحوم والدم (١٩:٤٥). وهكذا تظهر الوظيفة الذبائحية في المركز الأول في توراة حزقيال، بخلاف تث ٣٣:٨-١١. وهناك شرائع جاءت من مصادر مختلفة واتخذت أشكالاً متنوّعة، أضيفت إلى ٤٤:١٥-١٦ فقدمت ملحقات مفيدة. فالكهنة يحتفظون بوظيفة التعليم ولاسيما على مستوى المقدس والدنيوي، على مستوى الطاهر والنجس (٤٤:٢٣). ويحافظون أيضاً على الوظيفة القضائية (٤٤:٢٤؛ رج تث ١٧:٨؛ ١٣:٨). في هذا السياق نجد عدداً من الشروط يجب أن تتفّق مراعاة لقداسة الوظائف الكهنوتية.

• وسائل عيش الكهنة

عبر إضافة آ ٢٧-١٧، فإن ٤٤:٣٠-٢٨ يربط بما في آ ١٥-١٦. فهذا

المقطع يتحدث عن مداخليل الكهنة. فالتأكد الاشتراعي الذي قال إن لا مُلك للكهنة ولا ميراث، يستعاد هنا. فالكاهن يعيش من التقديمات الذبائحية ومن أفضل البواكير والمداخليل. وتكمل هذه المعلومات بلائحة موسعة في ٤٥:١٣ - ١٥. فللكهنة تعود حصة من الأرض المقدسة لكي يقيموا عليها بيوتهم (٤٥:٤٤؛ ٤٥:٥ من أجل حصة اللاويين). في النص حول اقتسام الأرض، هناك جزء مقدس يُحفظ للرب.

د - كهنوت بدون عظيم كهنة

هذه الاشارة الأخيرة تلفت انتباها: فتوراة حزقيال لا تذكر عظيم كهنة. وهي في ذلك أكثر تحفظاً من المراجع الملكية. والفرضية على الكهنة الصادوقيين (٤٤:٢٢)، تبدو قريبة من الفرضية التي تعني عظيم الكهنة في لا ٢١:١٤ (هناك جدال حول اللفظة)، لا تلك التي تعني الكهنة. فالحضور الموازي للرئيس والكهنة الصادوقيين، ليس بغريب عن هذا الوضع. ولكن الحالة ستبدل في النصوص الكهنوتية وفي تلك التي دونت بعد المنفى^(٨).

خاتمة

باء حزقيال بين التقليد الاشتراعي والتقليد الكهنوتي، فثبتت أموراً من الأول وهيأ الطريق للنصوص الكهنوتية. معه انحصر العمل الكهنوتي في جماعة صادق، وما عاد لللاويين من مركز في التنظيم الكهنوتي الجديد. صار الرئيس على مستوى الكهنة، بعد أن كان على رأسهم، بانتظار أن تُعطى كل السلطات لعظيم الكهنة في التقليد الكهنوتي. فلا يعود يُذكر «الرئيس». أما هذا الذي حدث في ذكريات الأولى ساعة غاب زربابل الذي هو من أصل داود وأخذ مكانه عظيم الكهنة يشوع الذي سمع الكلام الذي قاله رب لداود في بداية الملكية: «إن سرت في طرقى وعملت بأوامرِي . . .» (زك ٦:٣ - ١٠)?

J. BOWMAN, «Ezekiel and the Zadokite Priesthood» Transactions Glasgow University Oriental Society 16 (1955-1956) p. 1-14. (٨)

الفصل التاسع

الكهنوت في النصوص الكهنوتية

ميّزت توراة حزقيال بوضوح بين الكهنة واللاويين، واحتفظت بالكهنوت لأبناء صادوق. وثبتت النصوصُ الكهنوتية هذا التمييز، مع العلم أن الكهنوت صار في نظرها امتياز هارون وأبناءه. نشير هنا إلى أن النصوص الكهنوتية تعطي قسماً كبيراً من البتاتوكس الحالي. ونحن نميّز فيها «شريعة القدس» (لا ١٧ - ٢٦) والشرعية الكهنوتية (مع النصوص الملحقة).

هناك فرضية تعتبر الشرعة الكهنوتية حصيلة مدرسة ناشطة منذ زمن أحاز، واستطاعت أن تفرض نظرتها في أيام حزقيال. كان ذلك في زمن انهيار مملكة الشمال. حيث اصطدم كهنة المعابد المحلية الذين جاؤوا إلى الجنوب، بمطامح كهنوت هارون الذي ساندته الشريعة. فكان صراع تشير إليه ثورة قورح كما في عد ١٦. خلال حكم منسى، كاد هذا الاصلاح يموت. ولكنه «قام» مع توراة حزقيال التي استعادته ولكنها ناقضته. ولكن جاء من عارض هذه النظرة.

ومهما يكن من أمر، لا يكفي أن نتحدث عن تاريخ مجموعة أدبية لنحدّد في التاريخ، النظمَ التي تحدث عنها. فكتاب الطقوس هو محافظ على القديم. والنص المتطور قد يحفظ بتقالييد قديمة. هذا من جهة. ومن جهة ثانية، تلقت هذه التقالييد إضافات وملحقات. فالنقد الأدبي ودراسة التقالييد يدللان على أن كل نصّ هام يعالج الكهنوت، يعكس حقبة من تاريخه. نبدأ كلامنا مع شريعة

القداسة، ثم تعود مطولاً إلى الشريعة الكهنوتية آخذين بعين الاعتبار التطور الذي نكتشفه في النصوص.

١ - الكهنوت في شريعة القداسة

إن شريعة القداسة^(١) هي ردّ كهنة أورشليم على ثث^(٢) الذي كاد يُنسى لو لم يكتشفه حلقيا في عهد يوشايا. فانهيار أشورية جعل الناس ينظرون إلى توحيد البلاد حول السلالة الداودية وهيكلها. لهذا كانت شريعة القداسة تجمعياً لنصوص (كان لكل منها تاريخه) ضممت مواد قانونية وإرشادية. والنقد الأدبي يتيح لنا أن نكتشف عناصر كهنوتية متفرقة ستدخل فيما بعد في المجموعة الكبرى للنصوص الكهنوتية.

لا تتحدد شريعة القداسة عن اللاويين. وإذا جعلنا جانبًا المقدمة (١٧: ٢: ٢): قل لهارون وبنيه) ومقطعاً يُنسب إلى المرجع الكهنوتي (٢٤: ٣-٩)، فالشريعة لا تذكر هارون إلا حيث يكون الكلام مباشرة عن الكهنوت (٢١-٢٢). فلفظة «كـهـن» ترد سبع مرات خارج هذين الفصلين: في الذبائح يصبّ الكاهن الدم على مذبح الرب ويقترب البخور كرائحة رضي (٥-٦: ١٧). يدور الحديث على المذبح الذي هو على مدخل خيمة الاجتماع (أو اللقاء)، كما في المرجع الكهنوتي. في ١٩: ٢٢، يقدم الكاهن طقس التكبير. فإن ١٩: ١٠-٢٢ هو نتاج تدخل ثانوي^(٣). وفي طقس الحزمة الأولى (١١-١٠: ٢٣)، وفي طقس عيد الأسابيع (٢٣: ٢٠)، يقوم الكاهن بعمل التقدمة فيحرّك القربان ويرفعه.

(١) تمثل القسم الرابع من سفر اللاويين (ف ١٧-٢٦). بما أن الرب هو إله حي وقدوس، فالشعب الذي اختاره مقدس. وعليه أن يبحث عن كل ما يوحّده بالله، ويتجنب كل ما يعيق هذا الاتحاد. Loi de Sainteté

(٢) وبعد فشل سياسة حزقيا سنة ٧٠١، كاد ثث يُنسى.

K. ELLIGER. Leviticus, Anchor Bible p. 249. (٣)

ويُعالج موضوعُ الكهنوت في ذاته في ف ٢١-٢٢. فإن توجّهت خطبة الرب إلى موسى، فعلى موسى أن يكلّم هارون (١٧: ٢١)، هارون وأبناءه (١: ٢٢)، الكهنة أبناء هارون (١: ٢١). ويُضمّ إليهم بنو إسرائيل في ٢٢: ١٨. ولكن الأمر بالتكلّم إلى هارون وبنيه، غاب من ٢٦: ٢٢.

هذه الوحدات الصغيرة تتحدّث عن الكهنوت. ومفهوم القدس هو في أساس النظرة إلى الكهنوت. هذا ما يشدّد عليه التحريرض الأخير، ولا سيّما في ٢٢: ٣٢ (لا تدنسوا اسمي القدوس، فأبقي مقدساً فيما بين إسرائيل، أنا الرب الذي يقدّسكم). يجب أن لا ندنس اسم الرب القدس (٢٠: ٣؛ ٢٢: ٣؛ حز ٣٦: ٢٠). يجب أن يتقدّس يهوه في وسط بنى إسرائيل. أما حزقيال فتحدّث بالاحرى عن تقديس على عيون الأمم (حز ٤١: ٢٠؛ ٤١: ٢٨؛ ٢٥: ٢٢؛ ٢٩: ٢٧؛ ٢٥: ٤١؛ ٢٨: ٢٠؛ ٣٨: ٢٣؛ ١٦: ٣٦). وتحدّد الوثيقة الكهنوتيّة التقديس بالمجد (خر ٢٩: ٣٤)، وهو مدلول غائب من شريعة القدس. الرب هو الذي يقدّس. واسم الفاعل (مقدس) الذي يطبق على يهوه، يعود مراراً في ٢١-٢٢ فيتوزّع على مختلف المقاطع (٨: ٢١، ١٥، ٢٣؛ ٩: ٢٢، ١٥، ١٥). وإذا خرجنا من شريعة القدس، فلا نجده إلّا في حزقيال والمرجع الكهنوتي. يهوه قدّوس وهو يقدّس. وبما أن الكهنة يخدمون في المقدس، ولأنّهم يقتربون من التقادم المقدسة ويتصلّون بالأواني المقدسة، عليهم أن يكونوا في حالة من القدسية مقابلاً. يجب أن ينفصلوا عن الدنيوي ويتجنّبوا كل نجاسته. هذه المتطلّبة الأساسية في الكهنوت، تتيح لنا أن نفهم مختلف فرائض الشريعة.

إذا حلّلنا ف ٢١-٢٢، نكتشف بدون شكّ عدة طبقات تدوينية في هذا النصّ الذي يتحدّث بشكل خاص عن الكهنة، ولكتنا نكتفي بأن نلتفّ الانتباه إلى ثلاث نقاط.

أ - إن وظائف الشريعة تكشف الوظائف الخاصة بالكهنوت. فالكاهن يقرب (ق رب) طعام (ل ح م) الله (٨: ٢١). وزادوا على هذه اللفظة القديمة «وقائد» في ٢١: ٢٦ و ٢١: ٢١. هو يرتبط بالمذبح لأنّ عاهة تمنعه من الاقتراب. في هذه الحال، لا يستطيع أن يأتي أيضاً إلى الحجاب (٢٣: ٢١).

ب - تتحدد شريعة القدس بشكل واضح عن عظيم الكهنة. ولكنها تعرف «الكاهن الاعظم بين اخوته» (٢١: ١٠). ليس هذا لقب عظيم الكهنة في ما بعد المنفى. لأن عبارة «بين اخوته» تُضعف العبارة. صار واحداً منهم. صارت العبارة اذن تصويرية وما عادت لقباً. وأضيقت عبارة «على رأسه صُبَّ زيت المسحة». هي تفترض أن كتاب الطقوس حول «رسامة» عظيم الكهنة صار كاملاً (لا ٨).

ج - احترام قداسة الكهنوت هو ما يبرر الاجراءات الملحوظة التي اتخذها المشرع في مجالات الاتصال بميت والزواج والنظافة (ق حز ٤٤: ١٨ ي). إن المحافظة على قداسة الكهنة هي ثابتة في النصوص الكهنوتجية، ونلاحظ متطلبات أكبر للkahen الاعظم من اخوته». واللافت هو ظهور المowanع للكهنوت (١٢ مانعاً) (٢١: ١٨-٢٠). ستدخل في شروط الدخول إلى الكهنوت.

٢ - الكهنوت في الشريعة الكهنوتجية

ترك الشريعة الكهنوتجية^(٤) مشاكل الملكية التي انهارت، واهتمت بتنظيم حياة عبادية تأسس على حدث سيناء. منذ الآن تمر الوساطة بالكهنوتج الذي صار المؤسسة العظمى، وحدّد وضعه في تدوينات متلاحقة. وبما أن الكهنوت ارتبط بالمعبد، فالنظر إلى المعبد نقدم الأشخاص المقدسين. إذن ندرس (أ) المعبد والكهنوتج. (ب) هارون في الشريعة الكهنوتجية. (ج) الكهنة الهارونيون في الشريعة الكهنوتجية. (د) اللاويون في الشريعة الكهنوتجية.

أ - المعبد والكهنوتج

تعبر الشريعة الكهنوتجية تعبيراً قوياً عن العلاقة بين الكهنوتج والمعبد. فهناك طرق عديدة لابراز وظيفة تشيد المعبد في المرجع الكهنوتجي^(٥). اختفت الشريعة

(٤) الشريعة الكهنوتجية Code Sacerdotal

(٥) J. BLENKINSOPP, «The Structure of P», CBQ 38 (1976) p. 275-292

P.J. KEARNEY, «Creation and Liturgy: the P. Redaction of Ex 25-40»

ZAW 89 (1977) p. 375-387. E.CORTESE, «La teologia del documento Sacerdotale» R.Bi 28 (1977) p. 113-141.

الكهنوتية عن توراة حزقيال، فما تكلّمت عن الهيكل، بل عن المسكن أو خيمة اللقاء (الموعد). عبارتان متساويتان، وقد تحلّ الواحدة محلّ الأخرى. «خيمة اللقاء» كانت مؤسسة قديمة في الديانة اليهوية. نحن بالاحرى أمام لقاء من النمط التبويّ (رج حز ٣٣:٧-١١). توصل المرجع الكهنوتي فأدرجها في مشروعه مبدلاً وظيفتها الاولى. وتساءل الشراح إن كان الكتاب الكهنوتيون فكروا أن المعبد الذي يُحمل وحده يليق باليهوية، وبالتالي يعارض فكرة الهيكل^(٦). ومهما يكن من أمر، فعبر الملكية وهيكلها، أراد الكهنوتي أن يشدد على الأصل الموسوي للمؤسسات العبادية، وأن يجذّرها في وحي سيناء.

في نظر الكهنوتي، لا عبادة ولا كهنوت قبل تشييد المعبد. والرب هو الذي كشف عن المشروع^(٧) (كما في ديانات الشرق القديم). وتوسّعت الشريعة الكهنوتية في لاهوت حزقيال (حز ٤٣:٤-٥) حين رأى مجد يهوه يتجلّى في بناء يواافق مشروع الله (حز ٤٠:٣٤-٣٥)، وحيث يقوم كهنوت شرعيّ بالطقوس المفروضة (لا ٢٣-٦:٩). وهكذا ارتبط المعبد بسيناء (حز ٢٤:١٥ب-١١٨). فمجد يهوه هو الذي يشرع العبادة التي دُشّنت حديثاً. أجل، إن مجد يهوه يلعب دوراً كبيراً في العبادة وفي التاريخ.

حين نقرأ التصوير الطويل في الشريعة الكهنوتية، نظنّ للوهلة الأولى أن علاقتها ضعيفة بفكرة الكهنوت. ولكن هناك من بين تماسكه المؤسّس على فكرة القدسية التي يشاركون فيها بدرجات مختلفة. ويظهر هذا «التدريج» بأسكال متعددة. مثلاً، نظروا إلى تقنية النسيج في تدرّج تناصي: ح ش ب. رقم. أرج (حز ٣٥:٣٥). الوان مختلفة: البنفسجي والارجوانى والقرمزى. ومزيج الألوان يدلّ على قداسة أكبر^(٨).

T.E.FREITHEIM, The priestly document: anti-temple? VT 18 (1968) p (٦) 313-329.

DBS VII, 836-837. (٧)

A.BRENNER, Colour Terms in OT. Supplement to Journal for The Study (٨) of the OT 21 (1972).

وحين يرتفع «شيء» في سلم القدس، يجب على الإنسان أن يضاعف مجهوده ليحمله. مثل هذه التحليلات تتيح لنا أن نُبَرِّز دوائر من القدس متراكزة. يبقى أن نعرف كيف يدخل الهيكلُ في هذه القدس التي تظهر في درجات.

ب - هارون في الشرعة الكهنوتية

في تدرج قداسة الأشخاص، تعود المكانة الأولى لعظيم الكهنة. إن لقب «هـ كـ هـنـ هـرجـ دـولـ» لا توجد في البتاتوكس إلا في مقطع تأخر تدوينه (عد ٢٥:٣٥، ٢٨ وربما آ٣٢؛ رجًّا مقطعاً قريباً في يش ٦:٢٠). في الحقبة التي تلت إعادة البناء بعد المنفى، وحتى في الحقبة المكابية، لم يكن هناك (على ما يبدو) تسمية وحيدة محددة لـ«عظيم الكهنة»^(٩). فمن خلال شخص هارون الذي تتحدث عنه الشرعة الكهنوتية بشكل منتظم، نستشف صورة الذي سيُسمى عظيم الكهنة. وإن أضافت النصوص الكهنوتية «وابناءه»، فمع ذلك نطلق منه لندرك إدراكاً أفضل الطقوس والوظائف الخاصة بالكهنوت.

أولاً : تكريس هارون

أعطي الأمر بتكريس هارون وبنيه بالطقوس الخاصة في خر ٢٩ . ونقدّ الأمر في لا ٨ . ويصور الدخول في الوظيفة في لا ٩ . اختلف النقد الأدبي حول هذه الفصول . ومع ذلك اعتبروا أن لا ٨ هو الأقدم . ولكن أضيف إليه بعض الشيء فيما بعد . مثلاً آ١٠-١١ (مسح المسكن وتقديسه أو تكريسه)؛ آ٢٥ ب، آ٢٦ (ذكر «الكتف اليمنى»)؛ آ٣٣-٣٥ حول سبعة أيام الاحتفال ؛ وأآ٣٠ التي توصل إلى بني هارون مسحة أعدت في الأصل لهاaron^(١٠) . ولكن النقد الأدبي وحده لا يكفي . فلا بدّ والحالة هذه من دراسة الأشكال الوضعية والسردية للنصوص

De VAUX, Institutions II, 266-268; J.W. BAILEY, «The Usage in the (٩) post Restoration Period of terms descriptive of the Priest and High Priest» JBL 70 (1951) p. 217-225.
A.IBANEZ ARANA. El levítico, Vitoria, 1974. (١٠)

ومقابليتها. إن كان لا يُقدم من خر ٢٩، فإن في خر ٢٩ أخباراً طقوسية قديمة أعيد تفسيرها في خط طقوس الذبائح. ودخلت هاتان المجموعتان في رسمة يتحدث عن الأمر وتنفيذ الأمر.

يجري الاحتفال أمام الجماعة الملائمة عند مدخل خيمة اللقاء. وموسى هو الشخص الرئيسي. وتتضمن «الرسامة» ثلاثة طقوس: التطهير، ارتداء الملابس، المسح بالزيت. ثم تقدّم ذبائح: عجل كذبيحة عن الخطيئة. كبش كمحرقة. وكبش كذبيحة «الرسامة». توقف هنا عند ثلاثة عناصر: مفهوم التكريس والقداسة. ارتداء الملابس. وذبيحة الرسامة^(١١).

• التكريس والقداسة

مفهوم القدس مهم في توراة حزقيال وشريعة القدس، وقد ارتبط ارتباطاً مباشراً بممارسة الكهنوت. فنحن نجد مراراً لفظة توحّد الجنر «ق د ش» (قدس) مع فعل «ك ه ن» مارس الكهنوت ليهوه (لي). يتحدث خر ٣:٤٠ و١٣:٢٨ عن هارون. و٢٩:٣٠؛ ٢٤:٣٠ عن هارون وبني هارون. و٤١:٢٨؛ ٢٩:١ عن بنيه.

في الكهنوت البيلي، لم يعد مدلول الطهارة هو الأهم كما في كهنوت الشرق القديم. فالكهنوت هو أولاً تكريس، إقامة في نظام القدس^(١٢).

• ملابس هارون

إن ارتداء الملابس (يلبس هارون ولا يلبس هو نفسه) عمل مهم. فهو يرتبط ارتباطاً مباشراً بممارسة الكهنوت (خر ٢٨:٤؛ ٣١:١٠؛ ٣٥:٤؛ ٣٩:٤١). وقد جُعل بين التطهير والمسح بالزيت (خر ٣٩:٣٩؛ ٧-٤:٨؛ لا ٦:١٢؛ رج ١١:٣) كنصّ أضيف). فكيف تستطيع أن نسكب الزيت على رأس هارون بعد أن تكون

E. COTHENET, Onctions DBS VI, 701-732 . (١١)

H.CAZELLES, «Sainteté et pureté du Sacerdoce», Populus Dei, Mélanges (١٢)

A. Ottaviani I, Rome 1966 p. 169-174.

وضعت عليه العمامة. وانتقال سلطة هارون إلى ابنه العازر يتم بالارتداء وحده في عد ٢٠:٢٦ . وقال الأب كازيل حول حول عد ٢٠:٢٩-٢٢:٢٩ : «يجب أن تنسب إلى التاريخ الكهنوتي الانطلاق من قادش، موت هارون في هور الجبل، وانتقال سلطته حين ألبس العازر»^(١٣).

ارتدى هارون ثمانية ملابس. الأربع الأولى خاصة به. هي الأفود (يتميز عن أفود العرافة في أولى مراحل الكهنوت) والصدرية ورداء الأفود وتاج الذهب الذي يوضع على العمامة. يزاد عليها قميص الكتان، عمامة من كتان، حزام (خر ٢٨:٣٩) مع سراويل الكتان التي يرتديها هارون وبنوه.

لا ندخل في تفاصيل صنع هذه الملابس. ولكن نكتفي بملحوظتين. الأولى: إن صنع ملابس هارون يدخلها في تدرج القدسية الذي يميز المجموعة كلها. فالأفود مصنوع بالذهب ويتضمن ثلاثة الوان: البنفسجي والاحمر والقرمزي. وهو صنع «ح ش ب». الثانية: هذه الصورة تُلقي بعض الضوء على الوظيفة الرمزية التي تجعلها الشرعة الكهنوتية لهارون. ووظيفته كممثّل اسرائيل يشير إليها حجراً الأفود واثنا عشر حجر الصدرية التي عليها أسماء بنى اسرائيل. هذا من جهة، ومن جهة ثانية، تدل بعض التفاصيل على أن هارون يأخذ الميراث الملكي أو أقله جزءاً منه. فصدريته تذكّرنا بتلك التي كان يلبسها الفراعنة وملوك أنطاكية. أما قبعته فستعيد بعض العناصر الملكية: العمامة يلبسها الأمير في خر ٢١:٣١ . وأصل اللفظة يعود إلى مصر. وزهرة الذهب حلّت محلَّ الحية الذهبية التي كانت على جبين الفرعون.

• ذبيحة الرسامية

هذه الذبيحة هي شيء خاص بهذا الاحتفال. فاللفظة (م ل ا ي م) تتطبق على حجارة ترصع (خر ٢٥:٧؛ ٣٥:٩-٧؛ ٢٩:١٦). وهي تذكّرنا بعبارة

تقنية «ملاً اليد» قرأنها للمرة الأولى ساعة تولى الكاهن خدمة معبد ميخا (قض ١٧: ٥-١٢). هو كبس الرسامة يقدّم (خر ٢٦: ٢٩، ٢٧). الحركة الأولى هي وضع اليدي يقوم بها ذاك الذي يرسم^(١٤). والمسحة المميزة هي وضع الدم على شحمة الأذن اليمنى، على باهيم اليد اليمنى وباهيم الرجل اليمنى. هذا الطقس قديم جداً ولا مدلول تكفيرياً له. ويختلف المدلول في لا ١٤: ١٤ عند تطهير الأبرص. فالكاهن المكرّس ينال سلطة العمل داخل المكان المقدس (الحرم). يُوشّ جزء من الدم على المذبح. في طقوس العهد (خر ٢٤: ٣-٨) يرشّ نصف الدم على المذبح والنصف الثاني على الشعب.

ثانياً : وظائف هارون

إن هارون في تكريسه هو الشخص الذي يشارك القداسة في أعلى درجاتها. لقد صار جديراً بممارسة أسمى الوظائف المقدسة. في بداية خدمته، يبرز في الدرجة الأولى نشاطه النبائحي. إن هذه الطقوس تمثل بلا شك حالة أقدم مما نجد في لا ٧-١. وما نلاحظه هنا هو أن هارون ينحر الضحايا (لا ٩: ٨، ١٢، ١٨)، ثم نجد مشاركة الكاهن في الذبيحة وهذا أمر عادي. هو مكلف بشكل خاص بتحريك الدم ووضعه على قرون المذبح وقادته. كما أنه يقترب الشحم. ويشير النص بشكل عابر إلى نشاط الحق سريعاً بالكهنة، هو المباركة. ففي نهاية الاحتفال، بارك هارون الشعب (آ ٢٢). باركه مع موسى (آ ٢٣). وقبلَ يهوه هذه النبائح الأولى التي قدمها كهنوت حقيقي (٩: ٢٣-٢٤).

وصنع ملابس عظيم الكهنة ليس قضية زينة فقط. بل هو يعبر عن بعض وظائفه. فوظيفة العرافة (أقوال الله) والقضاء (في يد هارون) قد أدخلت في لباسه. يُضم إلى الصدرية الاوريم والتوميم (الذي أخذ من الكهنوت القديم). ويكون نص خر ٢٨: ٢٩-٣٠ أكثر وضوحاً حين يتحدث عن «صدرية القضاء».

R. PETER, «L'imposition des mains dans l'AT» VT 27 (1977) p 48-55 (١٤)

فحتى حين غاب الاستقلال السياسي، حافظ الكهنوت على وظيفة قضائية في الجماعة الدينية. وزهرة الذهب التقى على العمامة (مع عبارة: مكرّس للرب)، تشير إلى رضى الله عن إسرائيل. هارون هو عربون العلاقة المميزة بين يهوه وإسرائيل. وهكذا يتسلّم بعضاً من الوساطة الملكية.

وذكر الشراح ثلاثة أعمال رئيسية يقوم بها هارون داخل المعبد: يقتّر البخور المعطر (خر ٣٠:٧). يهتم بالمصابيح (خر ٣٠:٨؛ لا ٢٤:٤-١؛ عد ٨:٤-١؛ ٢٤:٢٧ فصيف «بنيه»). ويكلّف بترتيب خيز التقدمة على المائدة (لا ٧-٥:٧). ولكن لا ننسى عد ٤:٧). حصروا هذه الوظائف بهارون دون أن ينسوا الصعوبات. فالفعال هي في صيغة الجمع في خر ٢٨:٢٨؛ ٣٤:٣٠؛ ٣٠:٢٧. وتنوعت التقاليد بحيث امتدّت امتيازات هارون إلى سائر الكهنة. هذا يعني أن الشريعة تكيفت مع الزمن.

وهناك عمل يُحفظ لهارون دون جدال. ففي يوم التكfir، يدخل مرة واحدة في السنة خلف الحجاب ويضع البخور أمام يهوه (لا ١٦:١٢-١٣). حينئذ يلعب الكهنوت الدور الأساسي. أما طقوس هذا الاحتفال فهي متشعبّة، ولا ١٦ يتراكب من عناصر مختلفة.

ج - الكهنة الهارونيون في الشريعة الكهنوتية

جعلت الشريعة الكهنوتية في هارون وعائلته الحقّ الحصري بممارسة الكهنوت. وضمت إليه نصوص التكريس أبناءه الاربعة: ناداب وأبيهو، العازر وإيتامار (خر ٢٨:١؛ رج خر ٦:٢٣؛ عد ٣:١-٤). وتحدثت مراراً عن «بني هارون» (خر ٢٨:١، ٤٠، ٨:١٣، ٢٤) الذين يشاركون أيضاً في تقدمة الذبائح الأولى (لا ٩:٩، ١٢، ١٨). والطقس المميز هو طقس ارتداء الملابس. ينالون القميص والحزام والعمامة، كما أمر الربُّ موسى (لا ٨:١٣). ويقول خر ٢٩:٩: «الكهنوت يخصّهم بقرار أبيدي». أما النصوص التي تشير إلى المسحة لجميع الكهنة، فهي تنتهي إلى طبقة متاخرة في الوثيقة الكهنوتية. ويجعل لهم

كتاب الطقوس الدم على شحمة الأذن اليمنى وباهم اليد اليمنى وباهم الرجل اليمنى.

ويقدم لنا عد ١٨-٦٧ بشكل موجز سبب وجود الكهنوت: يقوم الكهنة بخدمة المعبد والمذبح. ويقال: «جميع ما للمذبح وما في داخل الحجاب». فالكهنوت بموقعه في درجات القدس، يكفل للشعب الاقتراب من الله ويبقى على قيد الحياة^(١٥).

وتظهر الوظائف الكهنوتية في أرفع مستواها في شخص هارون. أما سائر الكهنة فيشاركون فيها. بما أن النصوص الكهنوتية (عکس تث ٣٣:٨-١١) تشدد على الوظائف العبادية والذبائحية، وتهتمّ اهتماماً خاصاً بمقولات المقدس والدنيوي، الطاهر النجس، يجب أن نقدم بعض التفاصيل في هذا الاتجاه.

وظيفة الكهنة الرئيسية في الشرعة الكهنوتية، هي تقدمة الذبائح على المذبح الموجود في فناء الهيكل. فحركة تقديم القرابين أمام الرب هي جزء من ذبيحة الرسامة (لا ٢٥:٨-٢٧). وتقوم هذه الوظيفة الرئيسية بنضح الدم وحرق بعض أجزاء الذبيحة. ونأخذ مثلاً طقس محرقة البقر (لا ٣:١-٩). لا يبدأ كهنة هارون عملهم إلاً بعد أن ينحر مقدم الذبيحة ضحيته. حينئذ يقربون (ق رب) الدم ويرشونه على جوانب المذبح. ويحملون النار على المذبح. ويهيئون الحطب وأجزاء الضحية. والكافن هو الذي يقتّر (قت ر) كل هذا على المذبح. توسيع شريعة الذبائح في مثل هذه الفرائض (لا ١-٧)، وضمت عناصر قديمة وان انتمت في تدوينها الحالي إلى النصوص الملحوقة بالوثيقة الكهنوتية. فالذبائح العلنية لا يقوم بها بالضرورة عظيم الكهنة، وفي طقس عد ٢٨-٢٩ (هو متاخر) لا يُذكر اسم هارون ذكرًا. ولكن هارون هو الذي يقدم ذبائح اليوم الثامن في لا ٩. ويتدخل عظيم الكهنة أيضاً حين يجب أن يجلب الدم إلى داخل الهيكل (لا

J. de VAULX, Les Nombres (Sources Bibliques), Paris 1972, P. 203-204 (١٥)

٤: ٣-٢١، ١٦: ٢٥). ونلاحظ في مناسبة طقوس التكبير هذه، عبارة متأخرة تدلّ على عظيم الكهنة: «الكاهن المقدس بالمسحة» (لا ٤: ٣، ٥، ١٦؛ ١٦: ٣٢).

وي جانب هذه الوظائف الذبائحية يحتفظ الكهنة الهارونيون بوظائف التعليم. فعليهم أن يقدموا التوجيهات خصوصاً في ما يتعلق بالمقدس والدنيوي، بالظاهر والنجس. نجد العبارة واضحة في لا ١٠: ١٠ حيث يصور الفصل بين مجالين بفعل (ب د ل) الذي يكثر استعماله في النصوص الكهنوتية^(١٦). وأوكل الكهنة أيضاً بأن يجعلوا الناس يرون (ي ر ه) أحكام يهوه. فشرعية الطهارة تستعمل مئة مرة ومرتين لفظة «ك هن»، وهذا ما يدلّ على الدور الأولي الذي يلعبه الكاهن في هذا التشريع وفي كتاب الطقوس الذي يرافقه. ففي حالة البرص (لا ١٣)، الكاهن هو الذي يرى (راه، ٢٢ مرة) ويعلن النجس (ط م ١، ٨: ١٣، ١١، ٢٢، ٢٧، ٢٧، ٣٠) والظاهر (١٣: ١٣-١٧...). وقد يجبر الكاهن أن يحجز (١٣: ٤، ٥، ٢٦، ٣١، ٣٣) المريض بانتظار فحص لاحق. والدور الذي يلعبه الكاهن أيضاً في طقوس التطهير هو مهم جداً (٣٩ استعمالاً للفظة كاهن في لا ١٤).

د - اللاويون في الشريعة الكهنوتية

لا يتحدث سفر اللاويين عن اللاويين. ولا تتحدث عنهم النصوص الكهنوتية إلا في سفر العدد وبمناسبة الحديث عن تنظيم البرية. في نهاية الإحصاء، نقرأ في حاشية عامة لا نعرف تاريخها، أهمَّ وظائف اللاويين الذين لم يدخلوا في الإحصاء (عد ١: ٤٧-٥٤). وتحدد هذه المعطيات في عد ٤-٣ كما يميز الكهنة عن اللاويين. وفي عد ٨: ٢٢-٥ نجد طقوس تقديم اللاويين. ويعبرُ عن التمييز بين الكهنة واللاويين في النصوص الكهنوتية.

يتميز اللاويون تميّزاً واضحًا عن الكهنة بني هارون، في النصوص الكهنوتية. هم لا يتمون إلى ذات حلقة القدسية، وبالتالي لا يستطيعون أن يخدموا المذبح ولا وراء الحجاب. يقفون بين الكهنة والشعب، فيشكلون حلقة لا غنى عنها في الاتصال بالله. فالنصوص الكهنوتية تصل إلى النتيجة التي وصلت إليها توراة حرقايل، ولكن دون التبرة الهجومية. فاللاويون يؤمّنون خدمة مسكن الشهادة (عد ١:٥٣-٥)، المسكن (عد ٣:٩)، خيمة اللقاء (٨:١٥-٢٢)، أو الاجتماع)، الخيمة (١٨:٣). قد تتبدل الألفاظ، لأن الكتاب الكهنوتيين يضمون تقاليد تعود إلى عصور مختلفة. ولكن الواقع هو هو. خدمتهم لا تعني المذبح ولا ما وراء الحجاب (١٨:٥). والإشارة «كانوا مكلفين بالمعبد» هي عبارة في غير محلها (٢٨:٣). في عد ١٨:٦-٧ يوضع السبب لوجود الكهنة ولو وجود اللاويين، فيبدو الفصل بين الفتئتين واضحًا. إن اللاويين يهتمون بشكل خاص بنقل المسكن، بنصب الخيمة وفكّها.

تصوّر رتبة «رسامة» اللاويين في عد ٨:٥-٢٢. ليست احتفالية مثل رتبة الكهنة، ولا تتضمن ارتداء الملابس ولا المسح بالزيت. يُفرز اللاويون (يوضعون جانباً). يطهرون ويقدّمون مع التحريرك (١١-١٩؛ رج ١٥ بـ). أما وضع اليد بين الرتبتين فموضوع جدال. هناك من يميّز بين وضع يد يعبر في الطقس الذبائحى عن التماهي بين الضحية ومقدم الضحية (خر ٢٩:١٠، ١٥، ١٩)، ووضع اليدين الذي يعبر (ما عدا في الطقس الذبائحى) عن انتقال شيء من شخص إلى آخر. ولكن ما هو مدلول عد ٨:١٠؟ سيكون لهذا الجدال بعد كبير في العهد الجديد.

كيف يتم اختيار اللاويين؟ تستعمل لفظة «ن ت ن ي م» أي «المعطين» (رج ٦:٣٣). في فترة سابقة، أعطي اللاويون ليهوه. «فهم كمعطين يخصّون بهوه من أجل خدمة خيمة اللقاء» (عد ١٨:٦ بـ؛ رج ٨:١٦). وفي فترة لاحقة، قدّموا كمعطين لهارون وبنيه من أجل خدمتهم (عد ٣:٩، ٨:١٩). هذا يدل على سلطة الكهنة على اللاويين. في عد ٣-١١:١٣ يفسّر تكريسُ اللاويين على أنهم

يحلّون محلَّ الأباء. وليس من تلميع لخضوع اللاويين للكهنة (رج خر ١٣: ١؛ ٢: ١٦-١١؛ ٢٨: ٢٢؛ ١٩: ٣٤؛ ٢٠؛ عد ٣: ٥١-٤٠؛ ١٥: ٨؛ ١٩: ١٧-١٥؛ ثث ١٠: ٦-٩).

نقل سفر العدد أيضًا تقاليد تقدم معلومات أوسع عن خدمة اللاويين، ولكنها لا تتوافق دومًا. مثلاً تمتد خدمة اللاوي من ٢٥ إلى ٥٠ سنة في عد ٨ ٢٦-٢٣: ٨. ومن ٣٠ إلى ٥٠ سنة في عد ٤-٣: ٤. وغاب كل حديث عن الخلاف بين الكهاتيين والهاروبيين. أما في عد ٤، فقهات هو في رأس اللائحة، ويلقى اهتمامًا أكبر. غير أنه من الواضح أن الكهاتيين يتميّزون عن الهاروبيين. هؤلاء يغطّون الأشياء المقدسة. وأولئك يحملونها، ولكنهم لا يحملون ما هو مقدس مع التهديد بالموت (٤: ١٥-١٦).

إن عد ١٨: ٣٢-٨ هو نقطة انطلاق صالحة لدراسة مداخل الكهنة واللاويين (ق عد ١٣: ٣-١١؛ ثث ١٨: ٨-١؛ حز ٤٤: ٢٨-٣٠؛ نح ١٠: ١٦-٤٠). ونجد عناصر هامة في لا ٧-٦.

خاتمة

تلك كانت مسيرتنا في النصوص الكهنوتية. بدا التمييز واضحًا جدًا بين الكهنة واللاويين. وتبيّن أن الكهنة هم فقط أبناء هارون. وبرزت شخصية رئيس الكهنة وطريقة رسامته بشكل يشبه رسامة الملوك. تنظيم رائع. ولكن ماذا سيجيئ من كل هذا بعد دمار أورشليم وإحراق هيكلها، وانطلاق ملكها وأعيانها إلى المنفى؟ هذا ما نكتشفه في فصل لاحق.

الفصل العاشر

الكهنوت بعد منفى بابل

توقف هنا عند قسمين كبيرين: تجديد الكهنوت واحياؤه، بعد أن سقطت أورشليم وهيكلها وراح الكهنة إلى المنفى. ثم معارضته الفئات لكهنوت ظلّ محافظًا على أطروه ورفض أن يتغيّر.

١ - تجديد الكهنوت

حين سمح قرار كورش لليهود بالعودة إلى فلسطين، كان أمامهم برنامج تجديد. وإعادة بناء الهيكل (٥٢٠-٥١٥ ق.م)، بتشجيع من النبيين حجّاي وزكريا، ستساعد على إقامة الكهنوت من جديد. ولكن كانت هناك برامج مختلفة، وتصارعت العائلات الكهنوتية تصارعًا طالب ببرنامج تسوية. في ذلك الوقت، كانت تشتت المؤسسة الكهنوتية مستفيدة من أمّاء أمير يهودي على المستوى الزمني هو زربابيل.

أ - عودة الصادوقين

قدمت لنا لائحة عز ٢ (= نح ٧) الطريقة التي بها تكونت مجموعة المنفيين الذين عادوا مع زربابيل الذي قد يكون ششبيصر^(١). قدمت لنا فقط أربعة بيوت

K. GALLING, «The Gola-List» according to Ezra 2, Nehemiah 7» JBL (١)

70 (1951) p. 149-158.

(عائلات) كهنوتية: يدعيا من بيت يشوع . إمير، فشحور، حاريم . هم يرتبتون بالعائلات الكهنوتية الصادوقية الذين مارسوا الكهنوت في نهاية الملكية . يشوع هو حفيد سرايا . وإمير يُذكر في إر ١:٢٠ . كان الجلاء قد ضرب الصادوقين ضربة قاسية . وها هم يستفدون من عودة العائدين الاول، ليستعيدوا سلطتهم . كان عددهم ٤٢٨٩ (عز ٣٦:٢؛ نح ٧:٢٩).

أما عدد اللاويين فكان قليلاً جداً . كانوا ٧٤ شخصاً، توزعوا على ثلاث عيال (عز ٤٠:٢؛ نح ٤٣:٧؛ رج عز ٣:٩). لم يعد هناك سوى عائلة واحدة من المغنين هي عائلة آساف (١٢٨ شخصاً). وست عائلات من البوابين (١٣٩ شخصاً). في هذه اللائحة، يتميّز المغنوون والبابيون عن اللاويين . فالدمج لم يتم بحيث صار المغنوون والبابيون لاويين . وتورد اللائحة «ن ت ن ي م» أي «المعطين» بعد المغنين والبابيين . والذين ما استطاعوا أن يقدموا لائحة أنسابهم استبعدوا من الكهنوت على أنهم نجسون (عز ٥٩:٦٣-٦١؛ نح ٧:٦١-٦٥).

ب - حجّي وإعادة بناء الهيكل

وضعت توراة حزقيال أسمى إصلاح كهنوتي في هيكل الله الجديد . وساعة إعادة بناء الهيكل، استعاد المسألة حجّي وذكرها (زك ٨-١) بالنظر إلى تطور الوضع . ففي جماعة دينية فقدت استقلالها السياسي، اتّخذت المسائل العبادية المكانة الأولى . لا توقف هنا عند العلاقات بين الانبياء وشعائر العبادة، ولا عند مسألة الانبياء الذين ارتبطوا بالعبادة^(٢).

يسجل تدخل النبي حجّي بين نهاية آب ومتصرف كانون الاول سنة ٥٢٠ . أما في ما يتعلق بتاريخ الكهنوت، فشير إلى عنصرين رئيسين .

أولاً: سفر حجّي يدلّ على رضى على الكهنة الصادوقين الذين عادوا إلى أورشليم . ففي الإطار السردي للأقوال النبوية، يقف عظيم الكهنة يشوع بن

يوصادق مع الداودي زربابل بن شألتيل (١: ٢، ١٤، ٢: ٢-٤). يشوع هو صادوق لأن يوصادق هو ابن سرايا، آخر رئيس كهنة الهيكل في حقبة ما قبل المتنفي. فلقب «عظيم كهنة» فرض نفسه في محيط يشوع، وظلّ بعد ذلك. أما التقليد الكهنوتي فاهتم بالآخر بأن يكون عظيم الكهنة ابنَ هارون، وهذا ما لم يكن اهتمام حجاي ولا معاصره ذكريًا^(٣). وهكذا نال البرنامج الهيروفرططي (يجعل الكهنة يحكمون) مع حجاي وزكرياء الاقرار الشرعي على يد الانبياء.

ثانيًا : السؤال في ١٤-١٠ يبيّن اهتمام النبيّ بأمور الطهارة. كما يدلّ على أن الكهنة ما زالوا مستودع «توره» (يجعلون الناس يرون). فاللفظة التقنية التي تتحدث عن سؤال قول إلهي (ش أ ل) هي المستعملة هنا. وأن يكون حجاي قد أرسل لسؤال الكهنة، يعني أنه ليس بكافئ. نشير إلى أن ١٤: ٢ لا تنطبق فقط على السامريين، بل على الشعب كله .

ج - لا هوت ذكرياء

بما أن الكهنة يذكرون في ٧: ٣-٥ ، اعتبر بعضهم أن الوفد الذي أرسل إلى الكهنة «في بيت إيل»، أبرز أهمية كهنة بيت إيل خلال المتنفي. لهذا أجبر الصادوقيون على التعامل مع الهارونيين في بيت إيل^(٤). ولكن يبقى البرهان ضعيفاً، لا سيما وأنه يستند إلى نص السبعينية، لأن النص الماسوري غير واضح. ولكن مجموعة الرؤى والاضافات تقدم لنا معطيات مهمة من أجل دراستنا. ونحن نتوقف عند ثلاثة نصوص .

أولاً : المنارة والزيتونتان (ف ٤)

إن رؤية المنارة والزيتونتين (٤: ١٦-١٠، ١٤-١٦) تبدو بارزة في شكلها الأدبي ، وتقع في قلب مجموعة أصلية من الرؤى . زربابل ويشوع هما الزيتونتان .

(٣) بولس الفعال ، أقوال الله في شعبه أو الانبياء الاثنا عشر ، المكتبة البوليسية ، ١٩٩٣ ص ٢٥٣-٢٦٢

F.S. NORTH «Aaron's rise in Prestige» ZAW 66 (1954) p 191-199. (٤)

هم أبناء الزيت (الذى ينير المنارة). وقد يكونان نالا مسحة بالزيت. مما على مستوى واحد. هذا على مستوى المقام. وعلى المستوى التدويني، توخت هذه الروية أن تسجل الانتظار المسيحياني والملكي في إطار رجاء الأوساط الكهنوتية المغلقة حسراً على الهيكل وعلى شخص عظيم الكهنة.

ثانياً : الأكليل لزربابل (٦ : ٩-١٥)

أضاف الكاتب هذا العمل الرمزي على خبر الرؤى الليلية السبع. تحدث النص العبري عن أكاليل في الجمع. ولكن الفعل هو في المفرد. فالنسبة إلى العبري، الأكليل هو يشوع عظيم الكهنة. ولكن هناك صعوبة للحديث عن إكليل عظيم الكهنة. لهذا قرأ الشرّاح زربابل بدل يشوع. ورأى بعضهم القول الالهي يسير في مرحلتين. الأولى (آ ١٠-١٢) تعلن مجيء زربابل وتتويجه، لأنه الشخص الأهم في تجديد الشعب والأرض. ورسالة عظيم الكهنة تكون خاصة لرسالة الأمير الذي سيعيد البناء. في المرحلة الثانية تصبح السلطة برأسين^(٥). أما التطبيق على يشوع فهو تفسير قديم يسجل امحاء الملكية وارتفاع الكهنوت.

ثالثاً : تنصيب يشوع (٣ : ١-٧)

تنصيب يشوع أو ارتداؤه ملابس الكهنوت. تبدو هذه الرؤية في شكلها الأدبي وكأنها زيدت على رسمة الرؤى السبع. قد تعود إلى نهاية رسالة زكريا، أي قبل فصح ٥١٥. اختفى زربابل عن المسرح، وسمى يشوع عظيم الكهنة. لسنا إذن أمام تنصيب بالمعنى الحصري للكلمة. وقدارة ثيابه لا تعني نجاسة ما من قبله. هذه الرؤية تدل على أهمية يشوع الذي صار رئيس كهنوت متعدد، وورث بعض الامتيازات الملكية (آ ٦-٧).

A. PETITJEAN, *Les oracles du Proto-Zacharie, un programme de restauration pour la communauté juive après l'exil*, Paris, 1969, p. 268-303.

ومختصر الكلام أن تطور نصوص زكريا يقابل تطوراً في بُنى المجتمع، بعد أن ترك الداودي المكان كله لعظيم الكهنة. هذا من جهة. ومن جهة ثانية، قدم زكريا إمكانية أخرى ل برنامجه حرقايل فوضع الأسس اللاهوتية للتجديد وإعادة البناء^(٦).

د - جماعة يقودها الكهنة

إنَّ استمرارية السلطة الملكية وسلطة الكهنة اللاويين تجد ما يكفلها في مقطع متأخر أضيف إلى سفر إرميا (إرميا ٣٣:١٧). فآخر تدخلات زكريا تفهمنا أنَّ الجماعة التي ستعيش حول الهيكل الذي أعيد بناؤه، لن يوجهها إلاَّ الكهنة. ونجد هذا المدلول عينه في خر ١٩:٦ (نصٌّ موضوع جدال). فمعظم الشرائح يرون في عبارة «مملكة كهنة» امتداد الكهنوت إلى كل بني إسرائيل. وفهمها آخرون في المعنى الحضري. أما كازيل الذي رأى تقارباً بين هذه الآية والمرجع الكهنوتي، فقرأ في «م ل ك ت» مسألة تتعلق بالحكم والسلطة. فالكهنة يمارسون مهمة من أجل الأمة ومن أجل الحياة^(٧). واستخلص الكاتب: «بين حقبة الملكية مع الدولة في زمن داود والملكية المسيحانية لابن داود، هيأت هذه المقطوعةُ الكهنوتية الطريق أمام نظم المعبد والكهنوت الهاروني التي تحافظ على خاصية إسرائيل وسط الأمم. وهي تُختتم بالتزام الشعب بحفظ العهد في المحافظة على الوصايا. وسيكون دور السبعينية وتحقيقات العهد الجديد (بط ٢:٩) أن يُشرك جميعَ الشعب في المسحة الهارونية وفيض الروح^(٨).

D.L. PETERSEN, «Zechariah's visions: a Theological perspective» VT 34 (٦)
(1984) p. 195-206.

H. CAZELLES, «Royaume de prêtres et nation consacrée (Ex 19,6)» (٧)
Humanisme et foi chrétienne, Mélanges scientifiques du centenaire de
l'Institut Catholique de Paris, 1976, p. 541-545.

W.L. MORAN, «A Kingdom of Priests» Mélanges J. Gruenthaler, 1962, p. 7-20.
(٨) المرجع السابق ص ٥٤٥. راجع

في الفصول الأخيرة من كتاب أشعيا، نجد آيتين صعبتين تتضمنان الكهنوت في رؤية مستقبلية فتعطيانه وظيفة رمزية هامة. إن أش ٦١-٦٥ يطرح مسألة العلاقة بين بنى إسرائيل والغرباء. هناك من رأى في هاتين الآيتين إضافة (بعد أن درس الأسلوب والأفكار). لا يحتاج أن نفهم أن جميع بنى إسرائيل سيكونون كهنة بدون تمييز في الطبقات. فعبارة «كهنة يهوه» يمكن أن تفهم كاستعارة فتدل على وضع إسرائيل المميز بالنسبة إلى الأمم^(٩). أما الآية فتذهب أبعد من ذلك. نحن نقرأ أش ٦٦:٢١: «ومن هؤلاء اتخذ كهنة ولاويين يقول الرب». هناك تفسيران ممكنان بحسب الرباط مع الآية السابقة. إذا كان أمام إخوة أعيدوا من كل الأمم، فهذا يدل على أن يهوه يختار لنفسه خداماً من بين بنى إسرائيل دون أن يراعي قواعد القبول في الكهنوت واللاوية. وهكذا تكون الفكرة جريئة إذا عاد اسم الاشارة إلى جميع الأمم. فالغرباء يستطيعون أن يرثوا الكهنوت. ولكن النظرة هي اسكتاتولوجية. أي هذا لن يحدث في التاريخ، بل في نهاية الزمن.

هـ - مهمة عزرا والكهنة الهارونيين

حصلت مهمة عزرا سنة ٣٩٨. وأعطيت لائحة الناس الذين رافقوه في عز ٨. وقد أشير إلى الطابع الديني للمهمة بحضور الكهنة في رأس القافلة. كون الصادوقيون الفرقة الكهنوتية في القوافل الأولى. أما هؤلاء الكهنة فهم من عائلة فتحاس وإيتamar (عز ٨:٢). ارتبطت هاتان المجموعتان بهارون. اختار عزرا اثني عشر كهنة (٨:٢٤). هو رقم رمزي. فحسب الفرائض الكهنوتية (عد ٣١-٨؛ ٤:١٥-٧) هؤلاء الكهنة يهتمون بالأواني المقدسة (٨:٢٤، ٣٠، ٣٣، ٣٥). واهتم اللاويون بحملها. وكما في العودات الأولى، يصعب علينا إيجاد هذه الأواني (٨:١٥). فالنص أمين لتوجيهات الشريعة الكهنوتية التي تميز بين الكهنة واللاويين (٨:٢٤-٣٣). لهذا يطرح هذا النص سؤالين مهمين: الأول حول العلاقات المتشعبة بين مختلف العائلات الكهنوتية. الثاني حول تطبيق التشريع الكهنوتي.

R. N. WHYBRAY, Isaiah, NCB ed. 1981, p. 243. (٩)

و - صراعات وتسويات بين العائلات الكهنوتية

وهكذا تطرح مختلفُ لواح العائدين مسألة العلاقة بين الصادوقين والهارونيين، لا سيما وأن الوفاق بين مختلف البرامج غاب غالباً تماماً. فتوراة حزقيال لا تعرف إلا أبناء صادوق. والشريعة الكهنوتية لا تعرف إلا أبناء هارون.

لم تكن هذه التوترات جديدة. فالتزاحم بين العائلات الكهنوتية انفجر ساعة خفف مجهودُ تركيز العبادة في أورشليم، عددَ المعابد في البلاد. ونستطيع أن نستعرض وظيفة هذه الأخبار التي تعطينا صورة عن هذه الصراعات^(١٠) في خر ٣٢؛ عد ١٢: ٢٥؛ لا ١٠: ٧-١؛ عد ٦. ويستطيع ابنا هارون ناداب وأبيهه أن يمثلَا عائلتين كهنوتيتين زالتا من الوجود. ونحن نقرأ خبراً استبعادهما في لا ٣-١: ١٠.

وكما أن جذور صادوق غامضة، لا نعرف كيف فرض هارون نفسه كرئيس كهنوت وهو الذي لم يكن رئيس كهنوت في التقاليد القديمة. فلايحة المدن اللاوية تدلّ بالأحرى على أنه كان من الجنوب. بعد المنفى، وجب التطلع إلى تسوية بين الصادوقين والهارونيين. وكان اتفاق بين نسل صادوق وأبياتر اللذين ارتبطا ببني هارون، واحد بالعازر والآخر بaitamar. ووافق عزرا على الاتفاق المعقود في بابلونية، فأخذ معه ممثلي العائلتين. غير أن هذا لا يستبعد أن يكون حدث شيء مماثل في فلسطين. بعد عزرا، ترتّب الوضع، وتقاسمت العائلتان الكهنوت. غير أن الصادوقين احتفظوا باللاوية، لأن جدهم كان أرفع محتداً. وظلّ عظماء الكهنة يختارون منهم حتى زمن انطيوخس أبيفانيوس.

٢ - معارضه الكهنوت

بعد العودة من المنفى وإعادة البناء، وُجدت تسويات لحل الصراعات بين

F.M. CROSS, Canaanite Myth and Hebrew Epic, p. 189-206. (١٠)

مختلف المجموعات. فالتشريع الكهنوتي الذي تحدّد تدريجياً وتكمّل، دخل في الحياة اليومية بفضل مهمّة عزرا. وكتب كازيل: هذه «الأمة المقدّسة ومملكة الكهنة» لها ما يساعدها على تأمين حياتها مع إلهها، كهنوت هارون وبينه الذين حلوا محلّ الملكيّة التي سقطت. فبهذا الكهنوت تستطيع الأمة أن تتنقّى وتتال خيرات الله. لأنّ هذا الكهنوت مقدسٌ وهو يعيش حياة حميّة مع الله⁽¹¹⁾. فاللواح والاحصاءات في نح ١:١١، ١٢، ٢٦ تشهد أنّ الجماعة البعدمنفاوية عملت بطريقة عادلة فما نقصها كهنة ولا لاويون. وستقودنا لائحة عظماء الكهنة حتى نهاية الحقبة الفارسية⁽¹²⁾. تلك كانت الحقبة المثالية التي فيها جعل يهوذا فرحة في الكهنة واللاويين الذين يخدمونه، والتي كانوا فيها يؤدون المتوجّبات المقدّسة بأمانة. ولكن هذه الامانة لم تسلم من الصدّعات والعيوب. فالមراجع التي بين أيدينا تجعلنا نستشفّ ردات فعل معارضه، وقد جاءت من أوساط تتطلع إلى وجهات اسكتاتولوجية لا إلى هيروقراطية الهيكل، ومن محيطات ورقة انتقدت الكهنة باسم فكرة سامية عن الكهنوت. هناك وثائق عديدة تثير هذه الفترة من التاريخ: ١ و ٢ آخ. المزامير. زكريا الثاني وملاخي.

أ - الكهنة واللاويون في كتاب الأخبار

ضمّ كتاب الأخبار تقاليد مختلفة ولغة متّوّعة. فبدل عبارة «بني هارون» و«كهنة»، نجد بعض المرات العبارة الاستتراعية «الكهنة اللاويون»⁽¹³⁾ (أخ ٥:٥، ٣٠:٢٧، ٢٨:٣٠)، ساعة كان التمييز واضحًا بين الكهنة واللاويين. ثم إن خدمة (ع ب و د) المعبد ارتبطت باللاويين (أخ ٢٣:٢٨)، بالkehنة (أخ ١٨:١٣)، بالكهنة واللاويين (أخ ٢١:٢٨). ليس في هذا ما يدهشنا في وثيقة عملية لا تهتمّ بتحقيق برنامج، بل بسرد ما تحقق في الواقع. فالمسألة متشعبّة لأنّ عدداً من المسائل ما زالت مثار جدال: كاتب واحد أم كتاب عديدون. العلاقة بعزا نحنياً. متى دون الكتاب، وما هو محطيه الحياني؟ هناك من رأى «نشرة» أولى

لكتاب الاخبار بين تأسيس الهيكل والانتهاء منه (١٢) (٥٢٠-٥١٥). أما التدوين الأخير فلا يمكن أن يكون قبل سنة ٤٠٠. بل سنة ٣٠٠. وحتى الذين يعتبرون كتاب الاخبار قديماً، فهم يجعلون جانباً ما أقحم في زمن متأخر (١٣) (١٦-٩؛ ٢٢-٢٧). هي ملاحظة مهمة لأنها تشير إلى نصوص رئيسية تساعدنا على تحديد وضع الكهنة واللاويين. غير أنها نشير إلى أربع نقاط.

أولاً : لائحة الانساب

إن الفصول الأولى من آخ تقدم لواحة انساب لها أهميتها من أجل بناء التاريخ، وقد توخت أن تحافظ على حقوق الجميع داخل الجماعة. نستطيع أن ندرس الانساب اللاوية وكيف دخلت في التاريخ. وقد أخذ الكاتب بخط عالي، هارون، العازر، صادوق. هذا الخط يعطي عظماء الكهنة. واهتمّ الكاتب بين اللاويين بخط قهات (١٤).

ثانياً : خدام الهيكل

استعاد كتاب الاخبار التمييز بين الكهنة واللاويين كما في الوثيقة الكهنوتية. وأعطانا عن اللاويين بشكل خاص معلومات أصلية. ورغم تنوع التقليد، نستطيع أن نكتشف الخطوط الكبرى لتنظيم الهيكل.

يدير الهيكل عظيم كهنة يسمى «الكاهن» (هـ. كـ هـ) ١٣ مرة. ويسمى أيضاً رئيس (نـ جـ يـ دـ) بيت الله (١١:٩؛ ٢٨:٣١؛ ١٣:١١؛ نـ ١١:١١).

F.M. CROSS «A reconstruction of the Judean Restoration» JBL 94 (١٢) (1975) p. 4-18.

J. D. NEWSOME, «Toward a new Understanding of the Chronicler (١٣) and His Purposes» JBL 94 (1975) p. 201-217

R.R WILSON «The OT genealogies in recent research» JBL 94 (1975) (١٤) p. 169-189.

وهنالك ألقاب أخرى: الكاهن الرئيس (روش). الكاهن العظيم (ج دول) هو الذي يوجه الأمور الدينية كما يرتبط بالسلطات السياسية. لهذا كان دوره كبيراً في الأزمات.

وتحدّث كتاب الأخبار عن الكهنة بحماس أقلّ، ولكنه لم يحطّ من قدرهم. فقد حافظوا على وظائفهم التقليدية: كخدّام المعبود (٢ آخ ١٤:٥؛ ١٦:٢٩) كانوا يقدمون الذبائح على المذبح (٢ آخ ٢٩:٢٩). يرشّون الدم على الذبيحة الفصحية (٢ آخ ٣٠؛ ١٦:٣٥). يشعّلون البخور (٢ آخ ٣٦:١٨). ينفحون في الأبواق (١ آخ ١٦، ٦؛ ٢ آخ ٥:١٢). ومع اللاويين كانوا يعلمون التوراة (٢ آخ ١٥:٣؛ ١٧:٨).

وكما في التقليد الكهنوتي، ارتبط اللاويون بأبناء لاوي الثلاثة، جرشوم وقهات ومراري. في نظرية المؤرخ الاصيلة، يحمل اللاويون تابوت العهد في خطّ ثـ ١٠، مع أنهم في التقليد الكهنوتي ينقلون المسكن. في الإضافات على النصّ (١ آخ ٢٣-٢٦:٢٣) هم يحملون الخيمة وينفذون أوامربني هارون. بين الوظائف اللاوية، جعل المؤرخ المعنيّين في الدرجة الأولى. فصار منذ ذلك الوقت ثلاث عائلات (اساف، هيeman، يدوتون) تماهوا مع اللاويين (١ آخ ١٥:١). والبواّبون صاروا جزءاً من اللاويين. ويبلغ القورحيون إلى وظيفة المعنيّين. وكان اللاويون في خدمة هارون، وكانتوا يتّمّون الوظائف الإدارية والعبادية. يجمعون المال (٢ آخ ٢٤:٥؛ ٩:٣٤)، ينظّفون الهيكل (٢ آخ ٢٩). وخارج شعائر العبادة كلف اللاويون أيضاً بوظيفة التعليم (٢ آخ ٨:١٧؛ ٣:٣٥، ٩).

ثالثاً : الاتجاه اللاوي في كتاب الأخبار

في خط المرجع الكهنوتي، ترك كتاب الأخبار المكانة الأولى للكهنة، فصار اللاويون في الدرجة الثانية. غير أن الكاتب الذي استعاد هذه التقاليد، نظر إلى اللاويين نظرة رضى. فجعلهم وارثي التقاليد النبوية في الحقبة الملكية. ورأى

بعضهم^(١٥) أن الروح النبوية وجدت ملجأ لها لدى المغين اللاويين. واكتشف آخرون^(١٦) إشارات تدلّ على أن العهد لم يسر مسيرته بسبب الكهنة. فاللاويون كانوا أكثر اندفاعاً من الكهنة لكي يتقدّسوا (٢٩: ٣٤). وخيانات رؤساء الكهنة والشعب هي التي كانت السبب في دمار الهيكل (٣٦: ١٤).

رابعاً : الرد الموالٍ للكهنة

لا نستطيع أن نجد تناسقاً سهلاً بين النصوص. ولكننا أمام رد كهنوتي على هذا الاتجاه نكتشفه خاصة في الإضافة التي نقرأها في ١ أخ ٢٣-٢٧. جاء من اكتشف^(١٧) في هذه الفصول طبقتين أدبيتين. الثانية هي الأوسع وهي ثمرة إعادة نظر موالية للكهنة بتأثير مؤسسة نظام الفرق الاشتراكية عشرة. قد يعود أصل هذه المؤسسة إلى نهاية عهد الغرس. إن كاتب عز ٦-٦ الذي ليس كاتب ١ وأخ ٢، هو عضو في الحلقة التي أخذت كتاب الأخبار لمراجعة «موالية للكهنة». فإذا كانت هذه المراجعة قد تمت في نهاية الحقبة الفارسية، فهذا يعني أن عز ٦-٦ قد عمل في العقود الأولى التي تلت دخول الحكم الهلنستي إلى فلسطين. أما الهدف فهو تبرير شرعية هيكل أورشليم وعبادته، بعد تفتّت ممكّن في كهنته، وإقامة جماعة السامريين مع المحاولات الأولى لبناء هيكل على جبل جرزيم^(١٨). هذه الفرضية تجعلنا نستشف المشاكل الداخلية في الكهنوت. ولكن قبل أن نسمع تأنيب الآنياء له، نحدّد موضعه في مجموع مزامير الهيكل.

D.L. PETERSEN, Late israelite Prophecy. Studies in Deutero-Prophetic (١٥)
Literature and in Chronicles, SBLMS 23 (1977) p. 55-96.

H. CAZELLES, Le Messie de la Bible, Paris 1978, p. 186-187. (١٦)

H.G.M. WILLIAMSON, «The origins of the Twenty-four priestly courses. A Study of I chronicles 23-24», VT suppl 30 (1979) p.257-268. (١٧)

H.G.M. WILLIAMSON. «The composition of Ezra 1-6» JTKS 34 (١٨)
(1983) p.1-30.

ب - المزامير

لا تتكلّم المزامير كثيراً عن الكهنة. سقطوا بالسيف بعد أن تخلّوا عن الله، فتخلّى الله عنهم في شيلو (٦٤:٨٨). هناك عودة إلى ملكيصادق في مز ٤:١١٠ . ويشير مز ١٣٢ إشارة رمزية إلى لباس البر^(١٩) (آ٩) والخلاص (آ١٦) لدى الكاهن (أش ٦٦:١٠). ويضيف مز ٩٩:٦ لقب كاهن على موسى وهارون، ويدركهما مع صموئيل. وجاء من يفكـر^(٢٠) بوظائف وسيط العهد التي قام بها يوياذاع الكاهن متشفـعاً (٢١:١٧). في خلفية بعض أقوال أشعيا الثاني، هناك أقوال خلاص قدمها الكاهن جواباً على شكوى أو على رثاء.

كانت المزامير قريبة من اللاويين المشاركين في شعائر العبادة. فمعظم المزامير (٧٤ مزموراً) تُسبـت إلى داود. ولكن عدداً منها تُسبـت إلى اللاويين المذكورين في كتاب الأخبار، ولاسيما مزامير قورح (مز ٤٢-٤٩، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٨٨) ومزامير آساف (مز ٧٣-٨٣). وما يلفت انتباها هو مكانة الموسيقى خلال الاحتفالات، التي توجهـ إلى الله لا إلى الجماعة. فالموسيقى هي موهبة مقدسة يلهمها الله. تنطلق منه وتعود إليه. وعبر الطقوس الذبائحية يُتمـ المعنوـن اللاويـون وظيفة المدائـح بمكانتها الجوهرـية في حـيـةـ الجمـاعـةـ.

ج - الكهنوت الخائن وعهد لاوي

وتأتي الأصوات النبوـيةـ الأخيرةـ فتلقيـ مع تحفـظـاتـ كتابـ الأخـبارـ حولـ ممارـسةـ الكـهـنـوتـ وـمـاـ فـيـهـ مـنـ نـقـصـ. هـذـاـ مـاـ نـجـدـهـ فـيـ زـكـ ١٤ـ٩ـ وـمـلـاخـيـ.

أولاً : ذكرـياـ الثـانـيـ

اتفـقـ الشـرـاحـ عـلـىـ فـصـلـ زـكـ ١٤ـ٩ـ عـنـ زـكـ ٨ـ١ـ، وـلـكـنـهـمـ اـخـتـلـفـواـ حـولـ

(١٩) أو اللباس الموشـىـ بالعودـةـ إـلـىـ العـرـبـيـةـ.

(٢٠) H.J. KRAUS, Psalmen II, 1960, p.682-685.

التدوين وتاريخ الكتاب. ولكن عدداً كبيراً يعتبرون أن ذكريا الثاني دون في بداية الحقبة اليونانية^(٢١). هذا إذا كان الكتاب واحداً. أما إذا كان مجموعة أقوال، فمسألة تحديد زمن كتابته تصبح متشعبة.

لا يشير ذكريا الثاني بشكل مباشر إلى عظيم الكهنة ولا إلى الكهنة. ولا يتكلم إلا مرة واحدة عن عشيرة بيت لاوي بموازاة عشائر شمعي ودادود وناتان (١٢: ١٣). وهكذا نعود إلى التلميحات غير المباشرة التي يصعب التعامل معها. فتفاصيل استعارة الرعاة عديدة^(٢٢). وهناك من يرى في بائعي ١١: ٤ أشخاصاً يتمسون إلى الطبقة الكهنوتية العليا التي تتاجر بالشعب على مثال ما في نح ٥: ١ - ١١ ، ولكن يتميزون عن «الرعاة» أي عظماء الكهنة^(٢٣).

ثانياً : ملachi

يتحدد موقع النبي ملachi في منتصف القرن الخامس. أعيد بناء الهيكل. وببدأ النبي يهاجم الاهمال في شرائع العبادة. ذكر الكهنة في ١: ١؛ ٦: ٢؛ ٧: ٢. وذكر لاوي في ٢: ٤. وعهد لاوي في ٢: ٨. وأبناء لاوي في ٣: ٣. يبدو أن نصّه يستند إلى ثث لا إلى الشريعة الكهنوتية التي يعرف تطبيقاتها. سلسلتان من الاتهامات (٩: ١-٦؛ ١٠: ٢-٦) تحيطان بإعلان العقاب (٢: ٩-١٤).

تأخذ الاتهامات بلغة العهد، وتصيب بشكل خاص إهمالات الكهنة في شعائر العبادة. يقدمون ضحايا لا يمكن أن تُقبل كذبائح (رج لا ٢٢: ١٨-٢٥). والاتهام الثاني المهم يصيب الزواجات. وقد نجد في ١١: ٢ (نجس بهوذا المعبد العزيز للرب. تزوج ابنة إله غريب) تلميحاً إلى زواج الكاهن بأمرأة غريبة. وسيحارب نحرياً في مهمته الثانية انحرافات صارخة في الجماعة اليهودية (نح ١٣).

M. DELCOR, «Les allusions à Alexandre le Grand dans Zach 9, 1-8» (٢١)
VT 1 (1951) p. 110-124.

T. CHARY. Aggée-Zacharie-Malachie SB Paris
هذا يعني في بداية القرن الرابع 1969 p. 187-189.

(٢٢) حاشية ٣ ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

M. DELCOR, Pirot - Clamer VIII, 1 p. 592 (٢٣)

وبيّن هذه الاتهامات، يأتي إعلان العقاب. نجد فيه عبارة فريدة «عهد لاوي». ويعود الشرح إلى مقاطع عديدة ليشرحها. العهد مع فتحاس (عد ١٢-١٣). مباركة ثـ ٣٣:٨-١١. عهد الملـح الذي نجده في عـد ١٩:١٩. ونجـد في إـر ٣٣:٢٠-٢٦ ونـح ٢٩:١٣ عـهـداً مع اللاـويـن. تـدلـ هـذـه الآـيـات، لا على الدور الـذـيـائـحـيـ (رجـ ١:٦-١٤) لـلكـاهـنـ، بل على وظـيفـتهـ التعليمـيـةـ ومسـؤـولـيـتـهـ تـجـاهـ التـورـاـةـ. نـحنـ هناـ أمـامـ ثـابـتـةـ منـ ثـوابـتـ التـقـلـيدـ اللاـويـ.

خاتمة

مع هذا الفصل ننتهي من التعرّف إلى الكهنوت في العهد القديم. تطور الكهنوت وتطورت بُناه في المجتمع. بدا غير منظم في إطار القبائل، فتوزّع على مختلف المعابد المحلية. مع الملكية تبدل وضعه. وكان تركيز على معبد واحد، وصل بنا إلى تركيز على عائلة واحدة. توصلّ اللاويون إلى فرض نفوذهـمـ كـكـهـنـةـ حـقـيقـيـنـ خـلـالـ اـلـاصـلـاحـ الـاشـتـرـاعـيـ. ولـكـنـ الصـادـوقـيـنـ فيـ أـورـشـلـيمـ حـافـظـواـ رـغـمـ كلـ شـيـءـ عـلـىـ سـلـطـتـهـمـ. ولـكـنـ بـعـدـ المـنـفـيـ، أـجـبـرـواـ عـلـىـ المـشـارـكـةـ مـعـ الـهـارـوـنـيـنـ عـلـىـ أـسـاسـ التـسوـيـةـ.

كان الكهنة موظفي الملك في زمن الملكية، فوبخهم الانبياء. وورثوا بعض الامتيازات الملكية بعد المنفى، ساعة ارتبط الانبياء بالهيكل مع تحولات عميقة. وظهرت رفعة الكهنوت في النهاية في شخص عظيم الكهنة الذي تثبت سلطته في زمن ما بعد المنفى.

نعم الكهنوتُ بالتركيز الديني، وشدّدت النصوص على مشاركته السامية في قداسته الله التي يجب أن تصل إلى الشعب. إذن، كان الكهنة الوسطاء المؤهّلين ليجعلوا الشعب المختار يتحد بإلهه. ومع ذلك، سيدفع الكهنوت ثمن كرامته غالياً. فالناس ليسوا دوماً على مثل هذا المستوى. وقد أشار ملاхи إلى ضعف يقود الكهنوت إلى دماره.

ويُطرح سؤال: كيف سيواجه الكهنوت أزمة الهلينية؟ وكيف يستطيع أن يُشرك في قداسته شعب الله المتجدد؟

الفصل الحادي عشر

أزمة الكهنوت الهاaronي ودماره

ندخل هنا أولاً في حقبة تاريخية^(١) تبدأ مع السلوقيين وتصل إلى روما. أما الأزمة فكانت مع أنطيوخس أبيفانيوس (١٦٤-١٧٥) حين تدخل في سلسلة صادوق التي اعتبرها اليهود بلا انقطاع منذ هارون، فبدل عظماء الكهنة. نشير هنا إلى أن لائحة عظماء الكهنة التي تلي نوح ١٢:١١-١٢ (تصل إلى القرن الرابع) نجدها عند يوسيفوس في «العاديات اليهودية» (١١:١٢؛ ٣٤٧:١٢)، الذي يوصلنا إلى منلاوس (١٧١-١٦٣ ق.م). والكهنوت الذي لعب دوراً هاماً في قلب الأمة اليهودية، منذ المنفي، لن يقوم من عشرته هذه حتى دماره سنة ٧٠ ب.م.

١ - من أنطيوخس الثالث إلى الثورة المكابية

كانت سوريا ولبنان وفلسطين خاضعة للبطالسة وظللت كذلك حتى نهاية القرن الثالث ق.م. حاول أنطيوخس الثالث أن يدخل إليها، ولكنه لم يستطع أن يغلب بطليموس الرابع فيلوباتور في رافيا. سنة ٢٠٠ ق.م، هاجم أنطيوخس مصر وقهر القائد سكوباس في بانيون. استقبلت أورشليم الملك الظافر، فمنحها أنطيوخس وضعًا مميزًا نعرفه من يوسيفوس^(٢). اعترف باليهود كإثنية وشعب.

A. PAUL, Le monde des Juifs à l'heure de Jésus, Histoire politique, (1) Paris 1981; C. SAULNIER, La crise maccabéenne, Paris 1982; Rome et la Bible, DBS X, 863-1008.

(٢) العادات اليهودية ١٢: ١٢٨-١٤٤.

راعى شرائدهم. سمح بالعمل العادي في الهيكل، كما شجّع على إكمال بنائه. وجاءت إعفاءات هامة من الضرائب أثاحت للسكان استعادة أنفاسهم بعد الحرب. وهكذا أعاد قرار أنطيوخس بشكل عملي الوضع الذي منحه ارتاحستا الفارسيّ لليهود. فمحا أثر الادارة اللاجية المصرية التي دلت على طمعها وجعلها.

أ - فساد الوضع

كان حدث هليودورس (٢٣ مك) أول علامة لفساد جو السلام الذي حل في البلاد بعد ذاك القرار. فالمسائل المالية وتقديرات ما في خزانة الهيكل من مال، كانت في قلب هذا الحدث الذي سيجعل وجهًا لوجه عظيم الكهنة أونيا الثالث ابن سمعان الثاني، سلوقيس الرابع الملك السلوقي. وبعد هزيمة أنطيوخس الثالث في مغنيزية سنة ١٨٩، فرض الرومان على السلوقيين جزية باهظة. فوجب عليهم أن يجدوا المال الضروري. فأرسل سلوقيس الرابع (١٨٧-١٧٥)، خلف أنطيوخس الثالث، هليودورس إلى أورشليم، ليرى ماذا يستطيع أن يأخذ من الهيكل. مهمما يكن من أمر، خسر أونيا رئاسة الكهنوت على أثر هذا الحادث. دُعي إلى أنطاكية فذهب وما عاد منها. وبعد أن قتل هليودورس سلوقيس الرابع، رفع أنطيوخس الرابع ياسون (أي يشع في العبرية)، شقيق أونيا، إلى رئاسة الكهنوت. وحسب ٢ مك، نال ياسون الوظيفة بعد أن وعد أنطيوخس بأربعين وعشرين وزنة. وبدأ العمل المشترك بين ياسون وأنطيوخس «اليوناني» (٢٤ مك: ٤٧). أما أونيا فلجلأ إلى معبد دفنة قرب أنطاكية.

ب - أسباب الأزمة

هي أسباب هامة، ونحن نشير إلى ثلاثة ووجهات فيها.

أولاً : شرعية الكهنوت الصادوقية

خسرت السلالة الصادوقية في هذه الأزمة رئاسة الكهنوت والدور الرفيع

الذى كانت لعبته حتى الآن في المجتمع اليهودي. وحين قبل ياسون بأن يعينه ملك غريب، دشن مسيرة خضوع الكهنوت للسلطة، وهذا ما لم يحدث منذ المنفى، ولن يستطيع الكهنة بعده أن يتخلّصوا منه. كان شقيقَ أونيا، ولهذا استطاع الناس أن يصدّقوا بعدُ أنهم ما زالوا في الشرعية الصادوقيّة. ولكن الجميع فهموا أنّ وظيفته مغتصبة. وفي أي حال لم ينعم بها طويلاً لأنّ أنطيوخس أحلَ محلَه منلاوس (سنة ١٧١) بعد ثلث سنوات من الكهنوت. كان منلاوس من فرقه بلجه، وكان اسمه أونيا (حسب يوسيفوس) وكان شقيقَ أونيا الثالث^(٣). ولكن لا يعقل أن يكون لسمعان الثاني ولدان يحملان الاسم الواحد. لهذا يبدو أنّ يوسيفوس أراد أن يطمس لشرعية منلاوس فربطه بالأننياويين.

عزل ياسون ولكنه ظلَّ حاضرًا في الساحة. سنة ١٦٩ انتشر الخبر بأنّ أنطيوخس مات في مصر خلال حملة قام بها هناك. فتوصلَ ياسون إلى احتلال أورشليم وطرد منلاوس الذي أجبر على اللجوء إلى القلعة (أكرا). حسب ٢ مك ٥، ظنَّ أنطيوخس في الأمر ثورة فعاد من مصر ليهاقب بقسوة هذا الانقلاب. ويقول يوسيفوس^(٤) إن الطوبائيين ساندوا منلاوس في دفاعه عن أنطيوخس، ساعة راح ياسون في خطَّ اللاجئين (أو بطالسة مصر). فُعمت ثورة ياسون فذهب إلى مصر (٢ مك ٨: ٥).

أما منلاوس فقدَم لانطيوخس الرابع ٣٠٠ وزنة زيادة عن ياسون (٢ مك ٤: ٢٣-٢٤)، وهكذا سارت رئاسة الكهنوت من انحطاط إلى انحطاط. ففي عهده تعرض وضع اليهود لخطر كبير: قام الملك باضطهاد حقيقي. فأوقف في خريف سنة ١٦٧ شعائر العبادة (ستعود سنة ١٦٤) وبنى مذابح في مدن يهودا. ومنع الختان والسبت تحت طائلة الموت. وعلى المستوى السياسي لم يعد لمنلاوس من سلطة. كان سقراط، الوالي اليوناني، يقيم في أورشليم ويقدم له

(٣) المرجع السابق ١٢: ٢٣٨-٢٣٩، ١٥، ٢٣٩-٢٣٥: ٢٠، ٤٢٩٨: ١٩، ٤٤١: ١٥.

(٤) المرجع السابق ١٢: ٢٣٧-٢٤٧.

كل يوم طلبات جديدة حول الضرائب. كان يقيم في «الاكراء» وهي قلعة بُنيت تجاه الهيكل، فرمزت إلى نهاية كل استقلال سياسي (مك ٤: ٢٧-٢٨).

أعدم مثلاوس سنة ١٦٣ بأمر من انطيوخس الرابع أوبوتار الذي سمع نصيحة مربيه لسياس. فحورة الكاهن متينا التي ما استطاع أن يتجنّبها، فقدته كل ثقة لدى السلوقيين. فخلفه باكيد (الكيمس) سنة ١٦٣ واعتبر بحسب مك ٧: ١٤ «akahna من نسل هارون». وسمّاه يوسيفوس من نسل هارون (العاديات ٢٠: ٢٣٥). وقال: لم يكن من عائلة عظماء الكهنة (العاديات ١٢: ٣٨٤). وضع الناس فيه آمالهم ولكنه لم يفعل شيئاً. أغوى الحسينيين (جماعة الانقياء) وقتل ستين واحداً منهم في يوم واحد. وحارب لكي يجعل الناس يعترفون برئاسته كهنوته التي منحه إياها ديمتريوس الاول (مك ٧). أما تصرفه تجاه يهودا المكابي فكان مشيناً (مك ١٤). مات سنة ١٥٩. وظلّت البلاد بدون عظيم كهنة حتى سنة ١٥٢.

ثانيًا : انشقاق أونيا الرابع

نفذ عملاء مثلاوس حكم الاعدام بأونيا الثالث سنة ١٧٠. فلجاً ابنه أونيا الرابع إلى مصر حيث سمح له بطليموس الرابع فيلوميتور، بناء هيكل في ليونتوبوليس، في مقاطعة هيلوبوليس، على ثمانين غلواة من ممفيس. قال عنه يوسيفوس: أسس مدينة صغيرة على غرار أورشليم، وهيكلاً يشبه الهيكل الآخر^(٥). وما ساعد هذه المحاولة هو بعض بطليموس لانطيوخس. قال يوسيفوس: «قدم له (= أونيا) الملك مقاطعة مع مداخيل بحيث لا ينقص الكهنة شيء وتومن بسخاء حاجات العبادة» (الحرب ٧: ٤٣). فتوجه عدد من اليهود المصريين إلى ليونتوبوليس، وهم مقتنعون، شأنهم شأن أونيا الرابع، أن الهيكل الشرعي هو في مصر^(٦). ولما نجس أنطيوخس الهيكل، وجد هؤلاء برهاناً آخر

(٥) يوسيفوس ، الحرب اليهودية ١: ٣٤.

(٦) H. CAZELLES, Naissance de l'Eglise, secte juive rejetée, Paris 1968, p.28.

في خط أونيا الرابع: الهيكل الحقيقي هو حيث ممثل الكهنوت الهاروني ولو في أرض وثنية. ظلّ هذا الهيكل قائماً حتى سنة 73 ب. م. أغلقه لوبيوس، حاكم الاسكندرية. وهكذا يكون قد دام هيكل ليونتبوليس 243 سنة^(٧).

ثالثاً : «المسألة اليونانية»

في أيام ياسون ومنلاوس، أخذ بعض اليهود يتعاملون مع السلطة السلوقية. انجدبوا إلى شكل حياة «يوناني» على مستوى اللغة واللباس... وهكذا انقسم المجتمع اليهودي. «فالأنبياء المتتجاوزون للشريعة» دعوا إخوتهم ليتعاقدوا مع الأمم، «لأننا منذ انفصلنا عنهم أصابتنا شرور كثيرة» (أمك 11: 1). هذه السياسة بما فيها من تقارب ثقافي، نادى بها بعضُ الذين عارضوا متيا (تبعه الحسidiم) الذي قام بثورته. ولكن بعد الثورة، ستعود «المسألة اليونانية» إلى الواجهة مع السلالة الحشمونية وعظماء كهنتها.

٢ - الثورة المكابية (١٦٧-١٤٣)

ارتبطت بداية الانقلاب بثورة الكاهن متيا من فرقه يوياريپ والمقيم في مو狄ن (أمك ٢). رفض أن يذبح بحسب «الطقس اليوناني»، فهرب مع أبنائه إلى الجبال، بعد أن ذبح يهودياً، وقتل موعد الملك، ودمّر المذبح. حسب ١مك، عملٌ متيا هذا يجعله في تقليد «الغيرة على الشريعة» على صورة الكاهن فتحناس (ابن آزار ابن هارون، عد ٢٥: ٧). وانضم الحسidiم (= الاتقياء) إلى المتمردين. ولما مات متيا، خلفه ابنه يهودا على رأس التمرد.

انتصرت فرق يهودا انتصارات سهلة بسبب انشغال انطيوخس في موضع آخر (أمك ٣: ٢٧). وقادت هذه الانتصارات إلى احتلال الهيكل. بنى يهودا ورجاله مذبح محرقات جديداً، ودُشنَّ وسط فرح شعبيّ عارم في ٢٥ كسلو (أك ١٤، ١٦٤). وأورد ٢مك ١١ رسالتين انطيوخس الرابع ومربيه ليسيات،

M. DELCOR, «Le Temple d'Onias en Egypte» RB 75 (1968) p.188-203. (٧)

اللتين قادتا إلى الاتفاق التالي: يمنع انطيوخس الامان للذين يتخلّون عن اسلحتهم قبل الثلاثين من شهر كسانتيك (شباط - آذار ١٦٤). ويسمح أيضًا لليهود بأن يمارسوا شرائعهم ويرسل ملاوس الذي رأى في هذا الارسال مناسبة التدخل من أجل التهدئة (مك ٣٢: ١١). وكانت رسالة ليسايس هي أيضًا في خط التهدئة. ومجمل القول، اعترف الملك السلوقي بحرية العبادة، وبالحق بشرائع خاصة محافظة على السلطة السياسية. أعاد الهيكل ولكنه احتفظ بالقلعة (أكرا).

هذا الفصل بين السلطة الدينية والسلطة السياسية كان كافيًا بالنسبة إلى الحسديم. أما يهودا فرفضه، وذهب إلى أدومية، ثم إلى الجليل، ليدافع عن الأقليات اليهودية المهددة في وجودها. في أورشليم هاجم القلعة. وبعد معركة بيت زكريا (سنة ١٦٣) وما تلاها، لم يقطع انطيوخس الخامس العلاقات مع اليهود. بل اعترف بخصائصهم (مك ٦: ٥٥ ي؛ مك ٢: ١٣ ي). بل قدم ذبيحة في الهيكل (مك ٢: ١٣ ي). أما يهودا فظل يحارب حتى موته سنة ١٦٠، ساعة كان ديمتريوس الاول ملكًا في انطاكية.

فخلفه أخوه يوناتان (١٤٣-١٦٠) الذي نال من اسكندر بالاس لقب عظيم كهنة (سنة ١٥٢). وما نال يهودا هذا اللقب، لأن عظماء الكهنة ظلوا يتعاقبون حتى موته. وأخرهم الكيمس الذي توفي سنة ١٥٩، وما حل أحد محله، وهذا يعني أن النظم الدينية لم تكن مهمة في نظر الملك. حين أخذ يوناتان رئاسة الكهنوت (مك ١٠: ١٧-٢١)، لم يتخلى عن وظائفه السياسية. بل استفاد من الخلاف بين ديمتريوس الاول والمعتصب اسكندر بالاس ليوسع أرضه ويوطّد سلطانه. ونال أيضًا من بالاس لقب القائد والحاكم. سُجل بين «أول أصدقاء الملك» (مك ١٠: ٦٥). وهكذا وُضعت أسس السلالة الحشمونية التي ستجمع السلطان السياسي إلى الكهنوت.

هنا نشير إلى أن جماعة قمران انطلقت ساعة عين بالاس يوناتان رئيس كهنة. في ذلك الوقت دُون «نظام الجماعة» تدويناً أول، وترك الكلندر (= الروزنامة) الليتورجي التقليدي في أورشليم، على حساب الكلندر الشمسي والقمري كما في العالم الهلنستي.

مهما يكن من أمر الزمان الذي فيه تكونت أول مجموعة قمرانية، تود أن نشدد على الرباط بين جماعة قمران (أو: الإسانيين) والحسيديم الذين نعرف تعلقهم بأونيا الثالث والشرعية الصادوفية. وقال بعضهم إن الحركة القمرانية استندت إلى منظمات قديمة من الحسيديم. لا شك في أن معلم البر كان من سلالة كهنوتية رفيعة. لهذا، فالعلاقات بين جماعته والسلالة الحشمونية لا يمكن إلا أن تكون نزاعاً حتى الموت.

٣ - السلالة الحشمونية (١٤٣-٦٣ ق م)

أ - سمعان (١٤٣-١٣٤)

مع سمعان تحررت البلاد من النير السلوقي. فالذى جمع في شخصه ألقاب «عظم الكهنة، القائد، ورئيس اليهود» (١مك:٣-٤٢)، أكمل العمل الذى بدأ به أخوه يوناتان. فالخلافات داخل العائلة الحاكمة والضعف العام في المملكة السلوقيّة، ساعدت على العودة إلى استقلال سياسي وديني في اليهودية (يهودا). أما القوة الرومانية فحافظت على حياد الرضى، بعد أن سمّت اليهود «الأصدقاء، والحلفاء والاخوة» (١مك:٤٠-١٤). مع سمعان صارت السلطان السياسية والدينية في يد شخص واحد. وأقر له اليهود والكهنة بمسؤولية المعبد، والأشغال العامة، والإدارة والجيش. لم يُلفظ اسم «ملك» (سيكون ذلك مع أرسطوبولس)، ولكن بداية سلالة ملكية كانت هنا، لأن حداً زمنياً لم يفرض على ممارسة هذه السلطات، وأن سمعان اعترف به «رئيساً وعظيماً كهنة إلى الأبد، حتى يقوم نبي أمين» (١مك:٤١-١٤).

ب - من يوحنا هركانس إلى أرسطوبولس الثاني (١٤٣-٦٣ ق م)

إن سياسة التوسيع التي أخذ بها يوحنا هركانس، ساعدت على توسيع السلطة الحشمونية، فكان ملكه من هذا القبيل حاسماً. ولكن ظهرت الصعوبات الداخلية، مثل الأزمة التي انتهت بالقطيعة مع الفريسيين. نلاحظ، حسب

يوسيفوس، هجوم العازر الفريسي على تصرف هركانس كعظميم كهنة. طلب منه أن يترك رئاسة الكهنوت ويكتفي بالحكم. لن نتكلّم عن السبب (كانت أمّه سبيّة عند انطيوخس إيفانيوس) الذي كان خاطئاً، ولكن نقول إن القطعية تمت^(٨). عند ذاك ترك هركانس الفريسيين وتحالف مع الصادوقين (العاديات ١٣: ٢٨٩ - ٢٩٦).

لما مات هركانس ترك لارسطوبولس الأول (١٠٤-١٠٣) مهمّة رئاسة الكهنوت، واحتفظ بالسلطة الزمنية لامرأته. ولكن الفصل بين السلطتين لم يدم طويلاً. كان أرسطوبولس متغطشاً إلى السلطة، فقتل أمّه ثم شقيقه أنطيغونيس، وأخذ لقب ملك (العاديات ١٣: ٣١٩-٣٠١؛ الحرب اليهودية ١: ٧٠-٨٤). يبدو أن أرسطوبولس صكَّ نقوذاً ليدلّ على سلطته: «يهودا (= الاسم اليهودي لأرسطوبولس) عظيم الكهنة (ح ب ر) ومجتمع اليهود».

في أيام الاسكندر بنا (٧٦-١٠٣) كان الاضطهاد ضدّ الفريسيين عنيفاً. فيما الذي اعتبره يوسيفوس صادقياً، شأنه شأن هركانس، وجد أمامه حزباً فريسيّاً منظماً ينمو نفوذه شيئاً فشيئاً لدى الشعب. فكانت الحرب الأهلية. ولكن بنا نصح امرأته عند فراش الموت بالصالحة مع الفريسيين. نشير إلى أن بنا صكَّ نقوذاً تحمل اسمه ولقبه كملك في العبرية وفي اليونانية. «يوناتان (الاسم العربيلينا) عظيم الكهنة ومجتمع اليهود».

لم يكن للملكة اسكندرة صالومة لقب عظيم كهنة (لأنها امرأة)، فكان يكرهها هركانس الثاني عظيم الكهنة. تميّز حكم اسكندرة بتأثير متزايد للفرسيين الذين عرفوا أن يحكموا عنها، واستفادوا من نفوذهم ليخفّقوا من نفوذ الكهنة لدى الشعب. غير أن الكهنة احتفظوا بدور هام في مجال القضاء. في الواقع، جاء الخطر على اسكندرة من الصادوقين. فارسطوبولس، ابن الملكة، قام على

A. CAQUOT, «Le messianisme qumranien» dans Qumran. Sa piété. Sa (٨)
Théologie et son milieu. M. Delcor éd, Paris-Gembloux 1978 p. 231-247.

رأسمهم وبدأ تمرداً في نهاية حياة أمّه. حين توّفيت طلب لنفسه لقب الملك وعظيم الكهنة اللذين يعودان إلى أخيه هرقلانس الثاني الذي كان عظيم كهنة منذ موت والده اسكندرينا سنة ٧٦، وصار ملكاً حين ماتت أمّه اسكندرة سنة ٦٧ ق.م.

٤ - الحقبة الرومانية : من سقوط أورشليم (٧٣ ق.م) حتى سقوط الهيكل (٧٠ ب.م)

كان أرسطوبولس آخر الحشمونيين الذين كانوا عظماء كهنة وملوكاً. فدخول الرومان على مسرح الشرق، دلَّ على نهاية السلالة الحشمونية. احتل بومبيوس الروماني أورشليم سنة ٦٣. دخل إلى قدس الأقداس ولكنه لم يسلب الهيكل. بل عمل على إعادة الليتورجيا إلى ما كانت عليه. أما على المستوى السياسي فكانت نهاية الاستقلال الذي وصل إليه الحشمونيون في حربهم مع السلوقيين. حين استعاد هرقلانس الثاني السلطة التي عارضه فيها أخوه، لم يبق له سوى مملكة مبتورة. خسر لقب ملك، وصار «اتنارخوس» (والياً) وعظيم كهنة. ما عاد يستطيع أن يمارس سلطته إلا في الخضوع لروما. أما أرسطوبولس، آخر ملك حشموني ورئيس كهنة، فقد كان أسيراً في موكب بومبيوس الداخلي إلى روما.

بواسطة هرقلانس الثاني الذي كان شخصاً ضعيفاً، وبفضل مستشاره القوي انتيبياتر المتعاطف مع روما، رأى الرومان أن مصالحهم توطدت في الشرق. وكانت حرب بين قيسرو بومبيوس، خرج فيها قيسرو متصرفاً. فترك له هرقلانس الثاني لقب اتنارخوس وعظيم كهنة. أما انتيبياتر فصار رئيس مقاطعة اليهودية، وواصل عمله مهيناً الطريق لابنيه فسائل وهيرودس.

أ - هيرودس والكهنوت

اعترفت روما (مجلس الشيوخ) بهيرودس ملكاً سنة ٤٠. ولكنه احتاج ثلاثة سنوات ليحتل مملكته. في أورشليم كان الملك انطيغونيس بمساندة الفراتين. شوّه هرقلانس الثاني (أسيره) ليجعله غير جدير بالكهنوت. ساعدت روما هيرودس فاحتل أورشليم سنة ٣٧ ق.م. وأعدم انطيغونيس.

بما أن هيرودس كان ادومياً، فما كان له أن يطمح إلى رئاسة الكهنوت. وإذا لم ير فائدة من أن يعيد إلى السلالة الحشمونية قوتها، سمي عظيم كهنة حنائيل وهو يهودي من بابل. وفي الوقت عينه تزوج مريمـة الحشمونية، فضمـ إلـيه محازبي السلالة. سـمي سـبـعة كـهـنة، ولـم يكن مـنـهـم إـلا حـشـمـونـيـ واحد هو أـرسـطـوبـولـسـ الثـالـثـ، شـقـيقـ مـريـمـةـ (الـعـادـيـاتـ ٢٠: ٢٤٩)ـ الـذـي حلـ محلـ حـنـائـيلـ فيـ بـداـيـةـ سـنـةـ ٣٥ـ. وـكـانـ اـسـكـنـدـارـةـ، أـمـ مـريـمـةـ وـاـرـسـطـوبـولـسـ، هيـ سـبـبـ هـذـهـ التـسـمـيـةـ. فـقـدـ رـبـحـتـ وـدـ كـلـيـوبـتـرـةـ السـابـعـةـ (اشـهـرـتـ بـعـلـاقـتـهاـ مـعـ يـوـلـيوـسـ قـيـصـرـ)، فـرـأـتـ هـنـاـ مـنـاسـبـةـ لـإـعادـةـ بـعـضـ الـوـهـجـ إـلـىـ الـحـشـمـونـيـنـ. كـانـ اـرـسـطـوبـولـسـ فـتـيـ اـبـنـ ١٧ـ سـنـةـ فـكـانـ ضـحـيـةـ الـصـرـاعـاتـ بـيـنـ هـيـرـودـسـ، وـالـسـلـالـةـ الـحـشـمـونـيـةـ. كـانـ الـمـلـكـ قدـ هـتـفـ لـهـ فـيـ عـيـدـ الـمـظـالـ، وـلـكـنـهـ مـاتـ غـرـقاـ بـأـمـرـ الـمـلـكـ فـيـ حـوضـ مـاءـ فـيـ أـرـيـحاـ (الـعـادـيـاتـ ١٥: ٤٣٧ـ٤٣٥ـ؛ ٢٤٨: ٢٠ـ؛ الـحـربـ ٦١ـ٥٠ـ). فـكـانـ هـذـاـ الغـرـقـ للـسـلـالـةـ الـحـشـمـونـيـةـ بـدـاـيـةـ تـصـفـيـةـ سـتـقـوـدـ الـمـلـكـ لـلـاستـغـنـاءـ عـنـ اـمـرـأـتـهـ مـريـمـةـ سـنـةـ ٢٩ـ وـحـمـاتـهـ اـسـكـنـدـارـهـ سـنـةـ ٢٨ـ. وـبـيـنـ ضـحـيـاهـ كـانـ هـرـكـانـسـ الثـانـيـ (سـنـةـ ٣٠ـ)ـ جـدـ مـريـمـةـ الـذـيـ قـطـعـ لـهـ أـنـطـيـغـونـيـسـ أـذـيـهـ لـيـجـعـلـهـ غـيرـ جـديـرـ بـالـكـهـنـوتـ.

وـإـلـيـكـ لـائـحةـ بـعـظـمـاءـ الـكـهـنـةـ الـذـيـنـ سـمـاـهـمـ هـيـرـودـسـ فـيـ أـيـامـهـ: حـنـائـيلـ (٣٧ـ)، ثـمـ ٣٤ـ بـعـدـ مـوـتـ اـرـسـطـوبـولـسـ). اـرـسـطـوبـولـسـ الثـالـثـ (٣٥ـ). يـشـوعـ بـنـ فـيـابـيـ (؟ـ٢٣ـ). سـمعـانـ بـنـ بـوـئـيـتوـسـ (٦ـ٢٣ـ). مـتـيـاـ بـنـ تـيـوـفـيلـوـسـ (٥ـ٦ـ). يـوسـفـ بـنـ إـلـآـمـ (يـوـمـاـ وـاحـدـاـ). يـوـعـازـرـ بـنـ بـوـئـيـتوـسـ (٤ـ٥ـ قـمـ).

إنـ العـدـدـ الـكـبـيرـ مـنـ عـظـمـاءـ الـكـهـنـةـ الـذـيـنـ سـمـاـهـمـ هـيـرـودـسـ (نـشـيرـ إـلـىـ أـنـهـ خـلالـ الـحـقـيـقـةـ الـحـشـمـونـيـةـ الـتـيـ اـمـتـدـتـ بـ ١١٥ـ سـنـةـ، كـانـ هـنـاكـ فـقـطـ ثـمـانـيـةـ كـهـنـةـ)، يـكـشـفـ عنـ عـواـطـفـ هـيـرـودـسـ تـجـاهـ رـئـاسـةـ الـكـهـنـوتـ. أـرـادـ لـهـذـهـ الـوـظـيـفـةـ أـنـ لـاـ تـهـدـدـ الـعـرـشـ. وـاتـخـذـ كـلـ الـاجـرـاءـاتـ مـنـ أـجـلـ ذـلـكـ. فـلـاـ الصـادـوـقـيـونـ الـذـيـنـ كـانـوـاـ فـيـ لـيـونـتـوبـولـسـ، وـلـاـ الـحـشـمـونـيـونـ (مـاعـدـاـ اـرـسـطـوبـولـسـ الثـالـثـ)ـ الـذـيـنـ مـارـسـوـاـ هـذـهـ الـوـظـيـفـةـ تـمـثـلـوـاـ بـيـنـ الـذـيـنـ سـمـاـهـمـ عـظـمـاءـ كـهـنـةـ). بـيـنـ هـؤـلـاءـ الـكـهـنـةـ، وـحـدـهـ سـمعـانـ بـنـ بـوـئـيـتوـسـ ظـلـ مـدـةـ طـوـيـلةـ فـيـ مـهـمـتـهـ. كـانـ وـالـدـ مـريـمـةـ (وـهـيـ غـيرـ الـأـمـرـةـ الـحـشـمـونـيـةـ الـتـيـ تـزـوـجـهـاـ)ـ مـنـ عـائـلـةـ جـاءـتـ مـنـ اـسـكـنـدـرـيـةـ. وـصـارـ مـنـهـاـ ثـمـانـيـ

رؤساء كهنة فيما بعد. حين جُعل سمعان رئيس كهنة لم يرض الفريسيون، كما لم يرض الصادوقيون الذين ظلوا أمناء للحشمونيين. استأروا من صعود عائلة تجعلها ثقافتها الهيلينية قرية من الملك. ولكن هيرودس كان من القوّة بحيث فرض نظرته على الكهنوت. وجعل من السندررين، أو المجلس الأعلى، وسيلة لا قوام لها في يده.

ب - أمراة هيروديون وولاة رومان

وتواصلت سياسة وضع اليد على رئاسة الكهنوت مع خلفاء هيرودس ومع الولاة الرومانين. كانوا يحفظون لباس عظيم الكهنة في قلعة أنطونيا، عالمة على خضوع السلطة الدينية للسلطة المدنية، ولا يعطونه إلا في وقت العيد. وصدر قرار عن الامبراطور كلوديوس بعد وساطة من أغريبا الثاني، فوضع حداً لهذه الممارسة سنة ٤٥ ب م (العاديات ١٧: ٩٤ ي؛ ٢٠: ٦٢ ي). وإذا وضعنا جانبًا أغريبا الأول الذي كان ملكًا، فالامراء الهيروديون لا يمثلون حقًا الشعب اليهودي. لهذا حاولوا كل مرة استطاعوا، أن يضعوا يدهم على شعائر العبادة. فقد طلب هيرودس الخلقيسي (أي من عنجر في لبنان) من كلوديوس السلطة على الهيكل بشكل حق ورأيي. فنال أغريبا الثاني سنة ٤٨ هذه السلطة. ومن سنة ٥٩ إلى سنة ٦٧، بدَّل ستة رؤساء كهنة في ثمانية سنين.

أما الولاة الذين حكموا اليهودية من سنة ٦ إلى سنة ٤١ ، والذين حكموا مقاطعة أوسع من سنة ٤٤ إلى سنة ٦٦ ، فتدخلوا ماراً في الأمور السياسية والدينية. بعضهم أجبز على تبرير موقفه فنال عقوبات صارمة. وكانت علاقاتهم علاقات صراع مع عظماء الكهنة، وما ترددوا في عزلهم.

توسَّع يوسيفوس في اختيار فاني في كتابه الحرب اليهودية (٤: ١٤٧-١٦٠). فالذين سُمِّوا نفوسهم «الغيورين» عزموا على تسمية رئيس الكهنة بالقرعة، راجعين إلى عادة قديمة، ومعتبرين أن الأمر كان هكذا في الماضي. وهكذا سحبوا كل سلطة من العائلات التي كان رؤساء الكهنة يختارون منها، وجاؤوا

بقبيلة كهنوتية اسمها انياحيم لتلقي القرعة. فاختير فاني ابن صموئيل من قرية افتيا. كان رجلاً أمياً، وما كان يعلم ما تعني هذه الوظيفة التي تلقاها. هذه القبيلة الكهنوتية التي اختارها الغيورون، خرجت من عائلة صادوقية شرعية أعطت عظاماء كهنة في أورشليم حتى سنة ١٧٢، ثم في ليونتوبوليس بعد ذلك^(٩). وهكذا عارض يرامياس العائلات الكهنوتية الشرعية (الصادوقية) والعائلات اللاشرعية. حُرمت الأولى من أي تأثير سياسيّ حقيقيّ، وما نالت من يمثلها بين سنة ٣٧ ق م وسنة ٧٠ ب م سوى شخصين: حنائيل وفاني. ولكن الوجдан الشعبي جعلها فوق العائلات الكهنوتية اللاشرعية صاحبة التأثير الواسع. فهذه نالت ٢٥ رئيس كهنة من أصل ٢٨ في تلك الحقبة عينها (نجعل جانباً حنائيل وفاني والخشموني اسطوبولس). فالعائلات التي جاءت من الخارج أو من الريف، فكانت طبقة جديدة وقوية، تميّزت منها أربع عائلات: بوئيتوس (٨) رؤساء كهنة. فيابي (ثلاثة)، كَمِيت (ثلاثة)، حنان (ثمانية).

ج - الكهنة عند منعطف المسيحية

كانت هناك ثالث فئات في كهنة هيكل أورشليم: عظيم الكهنة ومعاونوه، الكهنة، اللاويون.

أولاً : عظيم الكهنة ومعاونوه

نعمَ عظيمُ الكهنة منذ المنفى بكرامة سياسية ودينية، رفعت الحشمونيين إلى الذروة ففرضوا نفوسهم كأمراء أو ملوك وعظماء كهنة. ولما جاء هيرودس والولاة الرومان، حدّوا من المطامح السياسية لعظيم الكهنة الذي ظلَّ رغم كل شيء ممثلاً للأمة تجاه روما.

J. JEREMIAS, *Jérusalem au temps de Jésus*, tr Frse, Paris 1967, p.263- (٩)
264.

• حقوق عظيم الكهنة

أقرّ لعظيم الكهنة بـ «قداسة» أبديّة تؤهله لخدمة الأمة في أسمى معانيها. كان يقوم بطقوس تقدمة الذبيحة في عيد التكفير (يوم كيبور، مرّة كل سنة). وما يمنحه هذه القدسية الابدية التنصيب (أو الرسامة). هنا نفهم أن تتحدّث النصوص مراراً عن ملابسه (سي ٤٥: ٦-١٣؛ حك ١٨: ٢٤). كل قطعة من ملابسه كانت تکفر خطايا محددة.

كان يحقّ لرئيس الكهنة وحده أن يدخل إلى قدس الأقدس، وذلك في يوم التكفير. كما كان يقدر أن يشارك في تقدمة الذبيحة في اليوم الذي يرغب فيه . وكان يرأس السندررين (= المجلس الاعلى)، وهكذا كان له نفوذ قاطع في المجالات الادارية والقضائية داخل هذا المجلس.

• واجبات عظيم الكهنة

حتى وإن كانت الشريعة لا تفرض على عظيم الكهنة أن يخدم إلا في يوم كيبور، فقد كان يمارس عادة كهنوته مرات عديدة في السنة ولاسيما في أعياد الحج الثلاثة. كان عليه أن يؤدي مختلف المصاريف: يدفع ثمن الثور يوم التكفير. ويدفع أيضاً ثمن تقدمة الدقيق اليومية التي تُمزج بالزيت وتخزى .

إن الطابع الخاص للوظيفة الكهنوتيّة، ركّزت حول عظيم الكهنة واجبات الطهارة الشرعية. ما كان يتزوج إلا فتاة عذراء. ولا يتزوج أبداً أرملة. تكون الزوجة ابنة اثنين عشرة سنة ويكون أبوها كاهناً أو لاويَا أو أقليه إسرائيلياً. تذكر هنا أن هر كانس طلب منه أن يستقيل، لأن أمّه كانت سبية حرب، فلا يكون أبوه يهودياً.

• معاونو عظيم الكهنة

قائد الهيكل (س ج ن) يحتلّ المكان الثاني في التراتبية الكهنوتيّة. حين كان عظيم الكهنة يلقي القرعة للتنيس في يوم التكفير، يقف قائد الهيكل عن يمينه

ورئيس فرقه الكهنة عن يساره . وحين يقرأ عظيم الكهنة التوراة قبل أن يبارك ، ينقل رئيس المجمع الدرج إلى قائد الهيكل الذي يقدمه بدوره إلى رئيس الكهنة . وهناك من قال إنه يحل محل عظيم الكهنة في حال نجاسة هذا في يوم التكبير . ثم إن هذا القائد كان يهتم بالنظام داخل الهيكل وخارجه مع عدد المساعدين .

وظيفة الخازن (ج ز ب ر) كانت مهمة جداً ، لأنه وإن كان هيكل أورشليم لا يملك الاراضي (عكس هيكل ليونتوبوليس) ، فهو يحتوي عدداً من الأشياء الثمينة : الاواني من أجل الخدمة ، ملابس الكهنة . وكانت هناك الخزنة التي توضع فيها الوداع الخاصة . لهذا احتاج الخازن إلى عدد من الموظفين .

وهناك رؤساء الفرق الأربع والعشرين الاسبوعية . كان لهم دور خاص ساعة تكون فرقتهم في الخدمة . يكونون مسؤولين عن شعائر العبادة العادية مثل تطهير المنجسين عند باب نكانور . اما المسؤولون عن الأقسام اليومية ، فكانوا يساعدون كل يوم في الذبيحة ، فيقفون عن شمال عظيم الكهنة عندما يقوم هو بالخدمة .

• عبارة «عظماء الكهنة»

قد تتحدث النصوص عن عظماء الكهنة^(١٠) فتلدّ على أشخاص لا ترد اسماؤهم في لائحة الثمانية والعشرين الذين ذكرناهم . فسفر الأعمال يتحدث عن حنان عظيم الكهنة وقيافا ويوحنا (يوناتان) والاسكندر وكل أعضاء عائلات عظماء الكهنة (أع ٦:٤). ويدرك أع ١٤:١٩ أيضاً سبعة أبناء لعظيم الكهنة سكاوا . ويقول يوسيفوس إن يشوع بن سافيا كان ابن عظماء الكهنة . إن الانتفاء إلى العائلات التي أخذ منها عظماء الكهنة الثمانية والعشرون ، كان يمنح الانسان امتيازاً خاصاً . وكان أفراد هذه العائلات ينعمون بعض نفوذ ولا سيما في المجلس الأعلى .

Archiereis. (١٠)

ثانيًا : الكهنة

انقسم الكهنة أربعًا وعشرين فرقة، وكانت كل فرقة تؤمن بدورها خدمة الهيكل خلال أسبوع. وهكذا يعود الدور مرتين لكل فرقة. في الأعياد الكبرى الثلاثة التي يرافقها الحجّ، كانت كل الفرق حاضرة. وكانوا يلقون القرعة من أجل مختلف الخدم العادلة في الهيكل (لو ٩: ٩). أما بالنسبة إلى المحرقات والذبائح عن الخطيئة وذبائح التكبير والسلامة، فحضور الكهنة ضروري.

كان الكهنوت وراثيًّا، ويُخضع الذين «يرسمون» لقواعد محددة حول صحة الجسد، والزواج، والطهارة. ولكي يتنتقل الكهنوت، يجب أن تكون زوجة الكاهن يهودية، وأن لا يكون في الولد عاهة جسدية أو عقلية. ويخضع الكهنة لقواعد قاسية على مستوى الطهارة، ولا سيما لمس الميت (عد ١٩). وحدد لا ٢١-١٠: أن الكاهن لا يكشف رأسه ولا يمزق ثيابه حدادًا، وعلى ميت لا يدخل ولو كان أبوه وأمه لثلاً يتتجس. في بداية القرن الأول المسيحي انتطبقت هذه الفرائض بشكل حصري على عظيم الكهنة. وانتطبقت أيضًا على الكهنة مع جدال حول امكانية الكاهن بأن يسر في جنازة امرأته.

كان الكهنة يقيمون في بيوتهم معظم أيام السنة، لأن ما يُعطى لهم من الذبائح والتقادم لم يكن يكفيهم. لا شك في أن ما يُجمع من عشرة كان يجمع بدقة (مت ٢٧: ٢٣؛ لو ١١: ٤٢؛ ١٨: ١٢). ولكن الشعب لم يكن يستطيع أن يدفع ما عليه بسبب الضرائب المتعددة. هذا يعني أن عددًا كبيرًا من الكهنة كانوا فقراء، فوجب عليهم أن يعملوا بأيديهم. لم يكن مستواهم العلمي رفيعًا. وما كانوا كلهم يستطيعون أن يتلوا القراءات في الجمع.

ثالثًا : اللاويون

انقسموا هم أيضًا أربعًا وعشرين فرقة تتعاقب على الخدمة أسبوعًا بعد أسبوع. تحدّروا من لاوي، لا من هارون، فاعتبروا من الدرجة الدنيا وشكّلوا الكهنوت الأدنى. كان عددهم أكثر من عدد الكهنة بقليل: عشرة آلاف لاوي تقريبًا.

ما كان اللاويون يشاركون في خدمة المذبح . ما كانوا يدخلون رواق الكهنة (إلا في الذبيحة) ولا يصعدون المذبح . فدورهم كان في جوهره حراسة الامكنة والأشياء وتنظيفها . قال يوسفوس : احتاج الهيكل إلى مئتي رجل لإغلاق أبوابه . ثم إن اللاويين كانوا شرطة الهيكل بإمرة قائد الهيكل .

ما كان اللاويون ينعمون بما ينعم به الكهنة . كانوا بأكثريتهم فقراء وأميين ، ولكن يجب أن نضع جانباً أهل الموسيقى الذين كانوا فئة رفيعة . أما اللاويون المغتلون فطلبوا بأن يلبسو الكتان الأبيض ، شأنهم شأن الكهنة . والخدّام الحارسون طلبوا بأن يحفظوا المزامير .

خاتمة

ما انتهى تاريخ الكهنوت اليهودي بسقوط الهيكل سنة ٧٠ ب. م. لا شكّ بأن وضعه تأثيراً تأثيراً قوياً بدمار المعبد الذي كان أساس شعائر العبادة ، وسيتأثر فيما بعد على أثر الثورة الكبرى مع ابن الكوكب سنة ١٣٢-١٣٥ . فهاجر الكهنة الذين كانوا في اليهودية . أما الفرقـة الثامنة عشرة (فرقة حفيصاص) فأقامـت في الناصرة^(١١) . ومـهما يكنـ من أمر فقد زـال الكـهـنـوتـ منـ الشـعـبـ اليـهـودـيـ بـزوـانـ الهـيـكـلـ والـذـبـائـحـ ، وضـاعتـ كلـ الفـئـاتـ الـديـنـيـةـ التيـ ذـكـرـهاـ الانـجـيلـ ، فـماـ بـقـيـ سـوىـ الفـريـسـيـيـنـ الـذـيـنـ سـيـحاـولـونـ الـقـيـامـ بـعـمـلـ تـبـشـيرـيـ وـتـنـظـيمـيـ بـنـيـ عـلـىـ التـورـةـ الـتـيـ هـيـ الـواـسـطـةـ بـيـنـ اللهـ وـالـمـؤـمنـ .

(١١) هذا ما تقوله مدونة وُجدت سنة ١٩٦٢ في قيصرية البحريـةـ ، وهي تعود إلى القرن ٤-٣ ب. م.

الفصل الثاني عشر

الكهنوت في الكتب البابلية المتأخرة

النصوص عديدة بين القرن الثاني ق م والقرن الأول ب م. ونحن بعد أن نقرأ تاريخ الكهنوت في هذه الحقبة، نتوقف أولاً عند النصوص القانونية المتأخرة، بانتظار العودة إلى أدب اليعهددين^(١) في وجهه العربي واليوناني. ترك جانبًا ١ و ٢ مك اللذين استفادنا منهما في الفصل السابق، ونحصر انتباها في حكمة ابن سيراخ ونبوءة دانيال.

١ - يشوع بن سيراخ

يقف سي في الخط بعد المنفاوي الذي يجعل من الكهنوت مركز الأمة. فالعهد مع الكاهن فنحاس يلعب دوراً مركزيّاً. وطابعه في ابن سيراخ طابع أبيديّ، وقد حل محلَّ عهد الله مع داود.

أ - ابن سيراخ والكهنوت

أولاً : س٤٥

تكرسَ هذا الفصلُ لمديح موسى وهارون وفنحاس. مع موسى يبرز موضوع الشريعة الذي هو مهمٌ جداً في نظر ابن سيراخ. قيل مرتين (١، ٣، ٥) أن الله أعطاه

(١) الذين بين العهدين، العهد القديم والعهد الجديد.

الوصايا. وهذه الوصايا هي «شريعة الحياة والمعرفة، ليعلم بنى يعقوب العهد، وأحكامه لبني اسرائيل» (آ ٥). نال موسى الوصايا «وجهاً لوجهه»، فأعطاه الله مجدًا «يساوي مجد الملائكة» (آ ٢).

بعد أن ثبت ابن سيراخ دور موسى وأهمية الشريعة في خمس آيات فقط، عاد إلى هارون فجاء تصويره له طويلاً جداً (٢٢ آية). هذا يعني اهتمام ابن سيراخ الكبير بالكهنوت. وحده سمعان، الكاهن الأعظم، سيحقق له توسيع مثل التوسيع الذي أعطي لهارون (ف ١). هارون هو «قديس شبيه بموسى» (آ ٦). أعطاه الله «عهد مؤبد، كهنوت الشعب» (آ ٧). نصبه موسى الذي مسحه بالزيت، فنان عهداً أبداً، هو نسله ما دامت السماء (آ ١٥). والوظائف المعترف بها لشقيق موسى هي على المستوى الليتورجي: يقدم المحرقة للرب، يمارس طقس الحل للشعب (آ ١٦). واعترف أيضاً له بسلطان حول فرائض الشريعة لكي يعلم يعقوب متطلباتها، وينير إسرائيل بشريعة الله (آ ١٧). فالشريعة في نظر ابن سيراخ هي العنصر الذي يتبع لبني إسرائيل لأن يتبنّوا ضياع هويتهم، وأن يقاوموا التلفيق الديني. وحين يعلم الكهنة الشريعة يكونون الموجهين. وذكر الغرباء (آ ١٨) الذين يقفون بوجه هارون، يدلّ على أن ابن سيراخ واع للأخطار التي كانت تلقي بثقلها على الكهنوت، ساعة كتب كتابه.

فنحاس ابن العازر هو «الثالث في المجد» (آ ٢٣). ينشد ابن سيراخ مخافته للرب، وغيرها، وثباته أمام الشعب الثائر. من أجله جعل «عهد السلام». هو رئيس المعبد والشعب. له رئاسة الكهنوت إلى الأبد. له نسله. أما آ ٢٥ التي تقابل إرث داود بإرث هارون فهي مهمة جداً وسنعود إليها.

ثانياً : سٍ ٥٠

إن الكاهن الأعظم سمعان، سمعان بن أونيا (هو سمعان الثاني ابن أونيا الثاني) يصور وهو يمارس وظائفه الليتورجية. هذه الصورة الحماسية الموسعة مثل صورة هارون، تدلّ على أهمية الكهنوت الحياتية للشعب. وتلفت انتباها آ ٢٤. في العبري، نحن أمام صلاة من أجل سمعان: «تتأكد أمانة (الله) لسمعان وثبتت عهدُ فنحاس. لا تُنزع منه ولا من نسله ما دامت السماء». أن تكون هذه

الآية كُتبت ساعة كان سمعان حيًا أم لا ، فهذا يدلّ على قلق بالنسبة إلى مصير السلالة الكهنوتية التي تمرّ بفخاخ ويتمنى إليها سمعان. أما النص اليوناني فمحاب اسم سمعان باسم فنخاس: «لتبقَ رحمته بأمانة معنا ، ولتنقذنا في أيامنا». هذه الترجمة (من العبرانية إلى اليونانية) تدلّ على أنه في الوقت الذي تحققت فيه هذه الآية ، صارت رئاسة الكهنوت في يد سلالة غير سلالة فنخاس. فالعهد مع فنخاس قد حُطّم ، فحصل عزل أونيا الثالث وجعل مكانه متلاوس.

ب - مسيحانية كهنوتية

إن تعلق ابن سيراخ بالكهنوت لا يصل إلى مجمل الكهنة، بل إلى سلالة فنخاس ابن العازر ابن هارون. فالعهد مع هذه السلالة هو أبدىًّ (عد ٢٥: ١٣-١٢). لهذا يجب أن نفسّر س٢٥:٤٥ بـ٤٥ في معنى حصرى: «إن عهد هارون يصل إلى جميع نسله». هذا لا يعني إلى جميع الكهنة، بل إلى «سلالة عظاماء الكهنة المتعاقبين والذين إليهم يتمنى سمعان^(٢)». ساعة كتب ابن سيراخ تحققت هذه الخلافة. بل هي هنا، وليس لنا أن ننتظراها. وبعبارة أخرى، لا مسيحانية كهنوتية في س٢٥. وإن ظن بعضهم^(٣) عكس ذلك فعلى أساس تحديد واسع لل المسيح هو: «كل رئيس يعمل عمل خلاص ، وإن كان سبق له ومارس وظيفته». في الواقع ، ما زال بيت فنخاس في السلطة. ويرجو ابن سيراخ أن تمتد سلطته إلى الأبد. إذن، هو لا يرجو أن تعود لأنها حاضرة.

ج - مكانة داود

طرح على ابن سيراخ كما على كل الكتابات التي تمنع الكهنوت مكانة مركزية ، سؤال أهمية وجه داود. نتوقف هنا عند ثلاثة نصوص .
س٢٥-٣٦. يطرح هذان الفصلان مسائل حول النقد الأدبي . مما يشبهان

A. CAQUOT, «Ben Sira et le messianisme», *Semitica* 16 (1966) p. 43-68 (٢)
ici p. 62.

P. ZERAFA, «Priest messianism in the OT», *Angelicum* 41 (1965) p. (٣)
318-341

سي ٥١ والمبارات الثمانية عشرة. لهما رتبة اسكتاتولوجية ووطنية. ولكن يجب أن نلاحظ أن ف ٣٦ لا يلمح أبداً إلى المسيح الداودي، وذلك على خلاف سي ٥١ والمبارات الثمانية عشرة.

سي ٤٧: ١٠-٤٧ . نحن هنا أمام مدح الملك داود. إن أهمية هذا الملك لا تُنكر. ولكنها تُوضع في الإطار التاريخي. تتحدث آ ١١ عن «القرن» فلا تدلّ على رجاء مسيحياني خاص. تدلّ اللفظة على القوة والنفوذ كما في سي ٤٧: ٤٧-٥٧.

سي ٤٥: ٢٥ . تحدّد هذه الآية بوضوح عهد داود فتقابله بعهد هارون. وهي لا تصح إلا لابن واحد هو سليمان. إذن هي لا تقدم وعداً مطلقاً بامتداد للسلالة لا ينقطع. إن عمل داود الذي أتمّه سليمان هو تشييد الهيكل وإقامة العبادة اللذين هما في قلب الحياة اليهودية بالنسبة إلى ابن سيراخ كما إلى المؤرخ الكهنوتي. ليس هناك إلا عائلة واحدة يرى ابن سيراخ أن الأبدية أعطيت لها، هي عائلة عظماء الكهنة وعائلات سمعان.

د - سي ١٢: ٥١

يشكّ الشرّاح في صحة هذا النشيد المدائحي (ف ٥١). فلا نجده إلا في مخطوط مخبأ القاهرة. هناك جزء من آ ١٢ يقع في قلب الجدال: «إمدووا ذاك الذي جعل قرن بيت داود يزهر، لأن محبّته أبدية». امدووا ذاك الذي اختاربني صادوق كهنة، لأن محبّته أبدية». فالذين يقولون بصحة هذه الآية يستندون شرحهم بالقول إن سلالة صادوق هي على رأس الكهنوت. ما أخذ ياسون بعد محلّ أونيا الثالث. ثم جاء محازبو الحشمونيين وأمرّوا على المديح «مقصّ الرقابة». لهذا لم نجد هذه الآية في معظم المخطوطات العبرية ولا في الترجمات. فلم يحتفظ بها إلا متّشيعون ظلّوا أمناء للخط الصادوفي. ولكن هناك حلاً آخر معقولاً: إن آ ١٢ قد أضافها متّشيعون أمناء لصادوق.

أ - وضع الكتاب

إن الحسديم الذين كونوا مجموعة^(٤) (تنظمت بشكل أخوة)، تبنّوا قضية متيا في ثورته. كانوا أناساً أنقياء ومتعلقين كل التعلق بنظم أمتهم الدينية، فما ارتسوا أن يروها مداشة. حملوا السلاح لبوا عث دينية فقط. ولما اعتبروا أنهم حصلوا على إعادة الحرية الدينية التي قاتلوا من أجلها، «وَعَوْرَا» على السلام (Mk ٦: ٥٩-٦٠)، وانفصلوا عن يهودا المكابيّ تاركين له متابعة القتال. فالكيمس الذي صار عظيم كهنة بفضل رضى ديمتريوس الأول (Mk ٧: ٩)، ضللهم في رغبتهم بالسلام. قالوا: «هو كاهن من نسل هارون. لن يسيء إلينا» (Mk ٧: ١٤).

في هذا الإطار يأتي سفر دانيال، وصاحبـه هو كاهن يجعل مكانة مركبة لشعائر العبادة في كتابـه. ولكن البرهان ليس بمحاسـم. فقد يكون الكاتـب من العـوام المتعلـقين بالنـظم الدينـية والـشرعـية الـكهـنوتـية. ولكن يجب مع ذلك أن نـشدد على أهمـية الهـيكل والـعبـادة. رفض دانيـال العـبـادات الدـنسـة (ف ٣ و ٥). وأكـد تـعلـقه بالـكلـنـدار وبالـشـرـيعـة (٧: ٢٥). أما تـاريـخ شـعب الله والمـديـنة المـقدـسـة، فيـرى أنه تـوزـعـها أحـدـاث تـخصـ المعـبد وعـظـماء الـكـهـنـة (الـرـئـيس المـمـسـوح، ٩: ٢٥؛ المـمـسـوح الـذـي أـزـيل ٩: ٢٦؛ إـبطـال الـذـيـحة وـتـدـنـيسـ الـهـيـكل، ٩: ٢٧؛ ١١: ٣١) (٥).

ب - دا ٣٧: ٤٠-٤٣ (حسب تيودوسـيون)

إن صلاة عزريا (دا ٣: ٢٦-٤٥) التي نقرأها في نسختين يونانيتين (السبعينية وتيودوسـيون) قد أدرجـت في الجـزـء الأـرامـي من الـكتـاب. قال بعضـهم^(٦) إنـها

. رج ١ مل ٢: ٤٣. Synagogé (٤)

P. GRELOT, L'espérance juive à l'heure de Jésus, Paris, 1978, p 37. (٥)

M. GILBERT, «La prière d'Azarias», NRT 96 (1974) p. 579. (٦)

وُجِدَتْ فِي النصَّ الَّذِي نَقَلَهُ السَّبْعِينَيَّةُ ثُمَّ تَيُودُسِيُونَ . وَلَكِنْ قَدْ تَكُونْ دُونَتْ فِي الْعَرَبِيَّةِ لَا فِي الْأَرَامِيَّةِ . وَيُمْكِنْ أَنْ تَكُونْ فِي الْأَصْلِ صَلَاةً لِيَتُورْجِيَّةَ .

لا تتحدد هذه الصلاة بشكل مباشر عن الكهنوت. إلا أن آ٤٣٧ تلفت الانتباه لأنها تنقل موضوع الذبيحة إلى المستوى الشخصي. (٣٧) «صرنا يا رب أهل الشعوب عدداً وذللتني اليوم في كل الأرض بسبب خطايانا. (٣٨) وفي هذا الزمان لا رئيس لنا ولا نبيّ ولا قائد، لا محروقة ولا ذبيحة ولا تقدمة ولا بخور، ولا موضع لنا لنقرب أمامك البواكيْر لتنال رضاك. (٣٩) جتناك بقلب منسحق وروح متواضعة. فاقبلنا كمحرقات الكباش والشيران (٤٠) وكآلاف الخراف السمان. هكذا فلتكن ذبيحتنا اليوم أمامك حتى ترضيك فأنت لا تخيب أمل المتكلمين، عليك». ١٢

تتيح لنا آية ٣٧ أن نحدد زمن الصلاة، لأنها تشير إلى توقيف الذبائح في أيام أسطيوخس الرابع. هي كتبت بين سنة ١٦٧ وسنة ١٦٤، أو حلاً بعد قرار أسطيوخس. وغياب «الرئيس والنبي والقائد» (آية ٣٨) يعني أيضاً غياب عظيم الكهنة وغياب أي موجه للأمة. وتشير آية ٣٩-٤٠ إلى مقاطع آخر في العهد القديم: في آية ٦:٦-٨؛ مز ٤٠:٩-٧؛ مز ٥١:١٨-١٩. إن روحانية هاتين الآيتين تذكرانا بروحانية ملك ولاهوت الاستشهاد عنده، تقود المؤمن إلى أن يقدم نفسه ذبيحة أي أن يعمل مشيئة الله. هذا ما يقابل تقوى الحسينيين. لهذا أدرجت هذه الصلاة في سفر دانيال.

ج - دا ۹

هناك بعض الآيات في ف ٩ تلامس موضوع الكهنوت .

أولاً: مسح قدس الأقدس (٩ : ٢٤)

إن تدخل الله الأخير الذي يحصل في النهاية المحددة بسبعين أسبوعاً من السنين، هو مسحة قدس الأقدس. نحن هنا أمام تكريس معبد. لهذا ترك القول: قديس القديسين كما في الشعبية اللاتينية. ولكن لا ننسى التقابل بين الهيكل والشعب. فظهور هيكل أورشليم يعيد الشعب - المعبد إلى كنهونه الكامل.

ثانيًا : المسيح الرئيس (٩ : ٢٥)

إن لفظة «مسيح» ولنقطة «ن ج ي د» (رئيس) غامضتان . فهما تتطبقان على أشخاص عديدين . قد تدلان على كورش الذي أمر بإعادة بناء الهيكل . وقد تعنيان يشوع ، عظيم الكهنة ، الذي أعاد بناء الشعب وكرس المعبد . أو زربابيل الذي أعطيت له ألقاب مسيحانية في حج ٢١:٢ ، ٢٣-٢٤؛ زك ٤:٦-٧ ، سب ١١:٤٩ .

ثالثًا : المسيح المقتول (٩ : ٢٦)

المسيح المقتول (الذي أزيح) الذي ليس شخص المسيح الرئيس في ٩: ٢٥ ، هو أونيا الثالث الذي فقد رئاسة الكهنوت لصالح أخيه ياسون . هو ذات الشخص الذي يتحدث عنه ١١: ١٢ ك «رئيس العهد». دلّ دانيال هنا على أمانة لجماعة أونيا كممثل للسلالة الكهنوتية الشرعية . وهو يرجو عودة هذه السلالة من أجل عبادة تعود إلى الهيكل .

د - كهنوت في رجاء دانيال

في رجاء شعب جديد ومجدّد ، يحتلّ المعبد والعبادة المكانة الأولى . وكهنوت جدير بهيكل مطهر ، يُقدّم ذبائح ترضي الله . والموضع العبادي مهمٌ إلى درجة تعتبره وحده . فكأن دانيال تطلع في المستقبل ، إلى شعب أبناء قدّيسى العليّ الذي ليس على رأسه سوى المؤسسة الكهنوتية . ولكن الوضع ليس هذا . فبناء المستقبل سيتم بحسب الماضي وبحسب الكتب المقدّسة التي تحفظ به^(٧) . إذن ، سيتمّ هذا البناء عبر النظم السياسية التي لا يتوسّع فيها دانيال . ومع هذه النظم يدخل الهيكل والكهنوت وتكون لهما حصة كبيرة في تكوين شعب أبناء قدّيسى العليّ .

P. GRELOT, «Histoire et eschatologie dans le livre de Daniel», dans (v) Apocalypses et théologie de l'espérance (LD 95) Paris 1977, p. 63-109.

القِسْمُ الثَّالِثُ
الْكَهْنُوتُ
فِي
أَدْبَرِ مَا بَيْنَ الْعَهْدَيْنِ

يتضمن هذا القسم الفصول التالية :

- ١- الكهنوت في وصية لاوي واليوبيلات
- ٢- الكهنوت في أدب قمران ونصوص أخرى
- ٣- الكهنوت في العالم اليهودي الهلنستي
- ٤- الكهنوت في الترجميم وأدب الرابيين.

الفصل الثالث عشر

الكهنوت في وصية لاوي واليوبيلات

عني بالكتب اللاطينية وأسفاراً لم تدخل في لائحة الأسفار القانونية فظلت على هامش الكتاب. سميت الأسفار المنحولة لأنها انتحلت (نسبت إلى نفسها) صفة الالهام. سميت أيضاً اسفار ما بين العهدين، لأنها تقع بين العهد القديم والعهد الجديد. أدب واسع جداً. لكننا اخترنا بعضًا منه وبدأنا بوصية لاوي واليوبيلات.

١ - وصية لاوي

في وصيات الآباء الثاني عشر، أي كلام الآباء الأخير قبل موتهم لأولادهم، نتوقف بشكل خاص عند وصية لاوي التي وصلت إلينا في اليونانية. ولكن قبل ذلك نعود إلى الأصل الأرامي.

أ - وصية لاوي الaramية أو منحول لاوي

أولاً : الوصية مؤلف أرامي يعود إلى القرن الثالث ق. م. وُجدت منه أجزاء في «كتز» (مخباً) القاهرة. كما وُجدت نصوص في المغارتين الأولى والرابعة من معاور قمران. ما هي علاقته مع وصية لاوي اليونانية وكتاب اليوبيلات؟ هناك من يتحدث عن أصل واحد للوصية اليونانية والوصية الaramية. وهذا الأصل الواحد

يعود إلى اليوبيلاط أو إلى أخبار (هاغاده) استعملتها اليوبيلاط أيضًا. ويرى الأب غرالو^(١) وراء اليوبيلاط والوصية الaramémie مرجعاً (قد يكون) عبرياً، مرجعاً بشكل مدراش^(٢) التكوين يترك على شخص لاوي. أما الوصية اليونانية فهي عمل كاتب مسيحي انطلق من النص العبري^(؟) وأعطاه وجهاً مسيحياً. ورأى آخرون في الوصية الaramémie والوصية اليونانية واليوبيلاط، ثلاثة تقاليد متوازية. الواحد مستقل عن الآخر، ولكن الثلاثة تعود إلى تقليد شفهي مشترك^(٣).

ثانياً : ما هو الموضع الحيادي لوصية لاوي الaramémie؟ هي تتجذر في الأوساط الكهنوتية المرتبطة ارتباطاً عميقاً بهيكل أورشليم. بعض عناصرها تعود إلى القرن الثالث. أما الوجه النهائي فيعود إلى النصف الأول من القرن الثاني. والتقليل الورعي في الوسط الكهنوتي الذي حمل هذا الكتاب يتواصل في اليوبيلاط.

في الوصية الaramémie، يبرز شخص لاوي ونسله. هم يبررون التطور الذي حصل بعد المنفى، والذي جعل الكهنوت، وخصوصاً عظيم الكهنة، محور الأمة اليهودية. وتهتم هذه الوصية اهتماماً خاصاً بقواعد الطهارة التي تحيط بالذبائح في الهيكل. والسلوك (أو: هلكه) الذي يتعلق بالذبائح، يدلّ كلّه على وسط كهنوتي جاء يردّ على كهنة بدأوا يتأثرون بالهلينية.

هذه الوصية تؤيد التمييز التقليدي بين الكهنة واللاويين. ولكننا لا نجد أية عداوة من الكهنة تجاه اللاويين. فالكهنة واللاويون يؤلفون معًا في تنوع وظائفهم، مجموعة مهمة جداً من أجل حياة الجماعة.

(١) P. GRELOT, «Notes sur le Testament du Lévi» dans RB 63 (1956) p. 391- 406; «Le Testament araméen de Lévi est - il traduit le l'hébreu?»

REJ 4 (1955) p. 91-99.

(٢) المدراش. رج درس في العربية. تأمل في النصوص الكتابية وتطبّيقها على الزمن الذي فيه يعيش الكاتب.

(٣) A. HULTGARD. L'eschatologie des Testaments des douze patriarches, I. Interprétation des textes, Uppsala 1977. II. Composition de l'ouvrage. textes et traduction, Uppsala 1982.

وصية لاوي الaramية ليست كتاباً أسيانياً. لا نجد فيها أي فكرة تدلّ على الانفصال عن الهيكل. والكهنوت يُعاش في وسط الأمة لا على هامشها. نحن بالآخرى أمام كتاب صادوقى خرج من محيط كهنوتي شرعىٰ وعلى أهمية الكهنوت الحقيقىٰ لحياة الأمة. من هذا المحيط خرج الصادوقيون الذين هم في أصل جماعة قمران الآسيانية.

ثالثاً: من هو لاوي في الوصية الaramية؟ هو كاهن ويشكل أخصّ كاهن إيل عليون. لا يقوم بالوظائف التي ستكون فيما بعد وظائف اللاويين، بل بتلك التي لن يتحقق للاويين القيام بها بعد المنفى. في آ١٠-٩: لاوي يقدم القرابان (رج ٥٢-٥١). في آ١٩: يدخل إلى المعبد ويرتدي الملابس الكهنوتية من أجل الذبيحة. في آ٢١-٢٠: يقوم بالاغتسال المفروض. في آ٢٣: يقترب (يحرق) البخور. في آ٢٥: يرش الدم على المذبح. في آ٢٦-٣٩: يضع على المذبح أجزاء الضحية المذبوحة.

بالاضافة إلى هذه الوظائف العبادية، أقرّ له تعليمُ الحكمة التي ترتبط بالشرعية المكتوبة (آ٩٥-٨٢) وممارسة القضاء. وهكذا يبدو أن لاوي تسلّم مهمّة الكاهن، بل مهمّة عظيم الكهنة وقد أعلن الملائكةُ الستة (آ٦): «عَظَمْنَاكِ فِي كُلِّ شَيْءٍ».

و حول الدور العبادي الذي نُسب إلى لاوي، توسيّع مناخ من الطهارة والقداسة. لاوي هو قديس ونسله يكون قديساً (آ١٧). والمحرمات والفرائض الخاصة بالطهارة تتولّى الحفاظ على هذه القدسية وحمايتها: مثلاً الاغتسالات والملابس العبادية (آ٢١-١٩). والوسط الكهنوتيّ الذي هو وراء وصية لاوي الaramية، اهتمّ اهتماماً خاصاً بالطهارة في مجال حديثه عن الكهنوت. شدّد على فصل لاوي (عن الناس). حرّضه على أن يحفظ نفسه من كل خطيئة ومن كل نجاسة (آ١٨-١٣)، ولا سيما النجاسة الجنسية (آ١٦). يسهر هذا الكتاب سهراً كبيراً على طهارة الكاهن العباديّ، ويشدّد بشكل يفوق التقاليد اليهيلية، على الفصل بين الكهنة والعموم.

ونجد قطعة عن الوصيّة الأراميّة في اليونانية تقول: «أنت ونسلك ، تكونون مكرّسين لخدمة العلي في وسط الأرض . وأنت تكفر خطايا الأرض ». إن فكرة التكفير تقرّب لاوي من عظيم الكهنة المكرّس لخدمة العلي . ولكن في وص لاوي ٣:٥ ، خدمة الكهنة يؤمّنها الملائكة . إذن يبدو الكهنوت وكأنّه يقوم في وسط الأرض (أي في الهيكل) بالخدمة التي يقوم بها الملائكة لدى الله .

ب - وصيّة لاوي اليونانية

نقل النسّاخ المسيحيون وصيّات الآباء الاثني عشر ومنها وصيّة لاوي ، فطرح هذا الوضع مسائل نقدية كبيرة . إلى أي حدّ فتح هذا الكتاب اليهودي وصحح؟ لا شك في وجود عدة حواش مسيحية . ولكن شدّد هولتغارد على الطابع اليهودي العميق لبعض مقاطع^(٤) اعتبارها الشراح متأثرة بالmessianic .

أولاً : ما هي علاقة الوصيّة اليونانية بالوصيّة الأراميّة؟ إن اليوناني يبدو مستقلّاً عن مرجعه الارامي . لا شك في أننا نجد ذات التزعّة اللاوية الورعية التي تهتم بالطهارة . فكما في الوصيّة الأراميّة ، أخذ لاوي على عاته مختلف وظائف الكهنوت : قدّم الذبائح (وص لاوي ٩:٧ ، ١١-١٤). وتنصيبه المذكور في ٥:٢ (٨:٩ ، ٣:٣) يصور في ١٨:١٠ . ومشهد التنصيب هذا يجعلنا نلاحظ أن لاوي كرس عظيم كهنة ، وانتقلت الاوصاف الملكية الاساسية إلى عظيم الكهنة حسب التطور الذي حصل بعد المنفى .

وتقرّ الوصيّة أيضاً للاوي بدور حربي ، يرتبط كما في الوصيّة الأراميّة ، بقتل الشكيّمين (٥:٣) . وتقرّ له ولأبنائه بوظيفة تعليميّة (٦:١٣) ووظيفة نبوية (بشكل أقوى مما في الوصيّة الاراميّة) . في الرؤية الثانية المتعلقة بالتنصيب ، ينال لاوي من الملائكة السبعة «أفود النبوة» (٨:٣) .

(٤) وص يهوذا ٢٤؛ وص لاوي ١٨.

ثانيًا : دونت الوصيّة اليونانية في وقت متأخر . بين سنة ١٠٠ و ٧٥ ق . م . فدلّت على الايديولوجيا اللاوية ، وفي هذه الايديولوجيا تسجلت ، تطورت ، تحولت . وقد أوجز هولتغارد^(٥) في سبع نقاط التحولات التي نجدها في الوصيّة اليونانية بالنسبة إلى الوصيّة الaramية . الأولى : السلوكيات (هلكه) المفصلة في آ١٣-١٦ من النص الaramي حول العبادة الذبائحيّة ، قد صارت موجزة جدًا في اليونانية . الثانية : لم يعد يسمّى لاوي كاهن إيل عليون . الثالثة : التشديد على قداسة لاوي ونسله ، المرتبط بالوظيفة العباديّة وتقديمة الذبائح ، لا يعود في النص اليونياني الذي لا يشدّد كثيراً على وظيفة الكهنوّت الذبائحيّة . ذلك هو اتجاه جميع الوصيّات : تراعي الهيكل ولا تهتمّ به كثيراً . الرابعة : يشدّد اليونياني (٨:٩؛ ٢:١٣) على وظيفة لاوي ونسله التعليميّة . وهي تتركز على التوراة التي منها تتبع الحكمة . الخامسة : قام اليونياني بعض التصحیحات حول أبناء لاوي الثلاثة ، فخفق من معنى المقطع المقابل في الaramي . السادسة : في الوصيّة الaramية نجد يقين الوسط الكهنوتي بأن يحافظ على طهارة العبادة ضد كهنة يهددونها بسبب اتجاههم الهليني . أما في الوصيّة اليونانية فبدا النقد واضحًا وثقيلاً (١٠:٢-٣؛ ١٤:١؛ ١٦:١-٣؛ ١٧:٨؛ ١٧:١١؛ ١٧:٤) . والإشارة إلى الخطايا التي افترفها نسل لاوي تصيب بالدرجة الأولى رئاسة الكهنوّت . السابعة : أصبحت صورة لاوي مثالياً فساعدت على القول بأن الكهنوّت المعاصر ابتعد عمّا يجب أن يكون .

ثالثًا : تتيح لنا هذه الاعتبارات أن نتصوّر المحيط الكهنوتي الذي خرجت منه وصيّة لاوي اليونانية . هو محيط لا يهتمّ اهتماماً كبيراً بالهيكل ، بل يتعدّ عنـه . هو محيط يُبرّز ولادة مجموعة «الحكماء» المرتكّزين على الشريعة وتعليمها . ولكنهم ظلّوا مع ذلك أبناء لاوي . ولما رأوا كيف يقوم الحشمونيون بالوظيفة الكهنوّية ، أعطوا لاوي وجهاً مثالياً ، فأكّدوا في الوقت عينه كرامة الكهنوّت وندّدوا بالطريقة التي بها كان عظماء الكهنة يمارسون مهمّتهم ساعة عاش الكاتب .

(٥) حاشية ٣ ، الجزء الاول ص ٤٧-٤٨ .

رابعاً : يهودا ولاوي في وصيات الآباء . يتميز هذان الأبوان عن سائر الآباء ويحتلان مكانة مميزة . ففي رؤية نفتالي (٥:١). يأخذ لاوي الشمس ويهودا القمر . يمثل لاوي الكهنوت اللاوي ، هذا ما لا شك فيه . فماذا يمثل يهودا؟ هنا تختلف الآراء . بعضهم يتسع في مسيحيانيتين مؤسستين على فصل واضح ، تم بعد المنفى ، بين الوظيفة الكهنوتية والوظيفة السياسية . والبعض الآخر ، وإن لم يشدد على المسيحيانيتين ، يرى أن الفصل بين الوظيفتين (تم بعد المنفى) هو الموضوع الذي يتسعون فيه خلال الحديث عن لاوي ويهودا . ورأى هولتغارد أن يهودا يمثل الشرعية الداودية . ويرى وجهي لاوي ويهودا في إطار ردة فعل على الحشمونيين الذين اغتصبوا السلطتين معاً .

خامساً : صورة الكاهن المخلص في وصية لاوي اليونانية . نقرأ المقطع الجوهرى في ف ١٨؛ رج وص يهودا ٢٤؛ وص دان ٥:١٠-١٣؛ ٦:١-٧؛ ٨:١٤-١٥؛ وص رأوبين ٦:٨؛ وص نفتالي ٤:٥ . يرى الشراح عادة أن صورة الكاهن المخلص قد أدرجت في زمن متاخر في وصيات الآباء . ربما حوالي سنة ٦٣ ق م . أو في بداية القرن الأول المسيحي .

أما أهم السمات في وجه الكاهن المخلص فهي . (١) الكاهن المخلص يدشن العالم الاسكاتولوجي ، عالم الفردوس (وص لاوي ١٨:١٠-١١؛ وص دان ٥:١٢). (٢) يقاتل القوى الشيطانية (وص لاوي ٤:١٨، ١٢؛ وص دان ٥:١٢). يقيّد حتى بليعار (لا ١٢:١٨). (٣) دوره المسكوني واضح : يردد الوثنين إلى الشريعة وإلى إله إسرائيل (وص لاوي ٩:٣-١٨؛ وص دان ٥:١١) . وهكذا يختفي تقريراً موضوع النصر على الأمم . (٤) ينال النصر النهائي على الشر . إنه سيد العالم ومخلصه ، وهو ينشر نور المعرفة على الكون (وص لاوي ١٨:٩-٣) . ويفتح الفردوس لجميع الورعين (وص لاوي ١٨:١٠) .

ج - خاتمة

وهكذا اكتشفنا أهمية وصيات الآباء الاثني عشر وتأثيرها . لم يتم التوافق بعد

حول إعادة التفسير المسيحي لهذه النصوص. ولكن يبدو أن التصححات كثيرة. مثلاً، النصوص المسيحانية في وصي يهودا ٢٤ ووصي لاوي ١٨ قد نقحت بأكثر من يد مسيحية. يرى غرالو أن وصي لاوي ١٨:٦-١٠، ١٢:١٣-١٤ هي إضافة مسيحية^(٦).

٢ - كتاب اليوبيلات

أ - كتاب اليوبيلات ، وصيّة لاوي الaramية ، وصيّة لاوي اليونانية

يسمى كتاب اليوبيلات إلى التيار اللاوي الورعى^(٧) الذي قدم وصيّة لاوي الaramية وصيّة لاوي اليونانية. إذا كان من الصعب أن نصوغ نظرية تدلّ على التأثيرات والارتباطات الأدبية بين هذه الكتب الثلاثة، إلاّ أنها نلاحظ أن صورة كهنوت لاوي (في هذه الكتب الثلاثة) تتبع ذات الرسمة السردية. نجد هذا في سبع نقاط في كتاب «اسكاتولوجية وصيّات الآباء الاثني عشر»^(٨). حدث الشكيميين (لاوي أرامي آ-١؛ يوب ١:٣٠ ي؛ لاوي يوناني ٦:٣ ي). وصول يعقوب وأبنائه إلى بيت إيل (لا شيء في الaramي؛ يوب ١:٣١-٣ ي؛ لاوي يوناني ٤:٧). ذهاب يعقوب إلى اسحاق برفقة لاوي ويهودا (أرامي ٨؛ يوب ٥:٩ ي؛ يوناني ١:٩). باركهما اسحاق (أرامي ٨؛ يوب ١٢:٣١ ي؛ يوناني ٢:٩). عاد يعقوب وابناته إلى بيت إيل وظلّ اسحاق في البيت (ألغي في الaramي ولكن يفترض في آ-٩؛ يوب ٣١:٢٧-٣٠؛ يوناني ٩:٢ ي). أعطى يعقوب العشر في بيت إيل (aramي ٩؛ يوب ٢:٣٢، ٨ ي؛ يوناني ٩:٤). ترك يعقوب وأبناؤه بيت إيل وذهبوا إلى اسحاق في برج ابراهيم (أرامي ١١؛ يوب ١:٣٣؛ يوناني ٩:٥).

P. GRELOT, L'espérance juive à l'heure de Jésus, Paris p. 80-83. (٦)

Piétiste. (٧)

(٨) رج حاشية ٣، الجزء الأول ص ٢٤.

ب - ايديولوجية كتاب اليوبيات

إن الايديولوجيا اللاوية تجد في يوب رئة جديدة. هي أقل صياغة مما في وصية لاوي الaramية، ولكنها حاضرة بقوة في الكتابين. فلاوي نال قبل يهودا بركة اسحاق (١٣:٣١). سُمي قبله (٢٧:١٧؛ ٣١:٥، ١٢، ١٣). في الحلم الذي رأه لاوي في بيت ايل (كما في وصية لاوي الaramية)، صار كاهن إيل علیون، وصار الكهنوت له ونسله إلى الأبد (١:٣٢).

وتحليل مباركة اسحاق (٣١:١٣-١٧) تدل على الوظائف المعترف بها للاوي. أولاً، الوظيفة العبادية التي تقوم بخدمة الله في مقدسه. وهي ترتبط ارتباطاً واضحاً بخدمة الملائكة (٣١:١٤). ثم ١٨:٣٠؛ رج وصية لاوي الaramية). واعترف له أيضاً بوظيفة التعليم والقضاء. وينسب دور حربي، له ولأولاده، وهذا ما يدهشنا. يقول ١٥:٣١: «يكونون قضاة وأمراء ورؤساء في كل نسل يعقوب». في الحرب ضد أهل شكيم، قيل عن لاوي أنه أظهر غيرة من أجل العدل والقضاء، فانتقم من كل الذين وقفوا في وجه اسرائيل (١٨:٣٠).

يبقى أن نحدد المجموعات التي تقف وراء اسم لاوي ونسله. يسمّيها ١٨:٣٠ بوضوح: الكهنة واللاويين. وينضم إليهم عظيم الكهنة. فلقب «كاهن العلي» (إيل علیون) يجعلنا نسير في هذا الاتجاه.

ج - الموقع الحيائي لكتاب اليوبيات

نحن مع يوب في محيط يحب الكهنوت. فالعودة إلى لاوي ونسله تبرر وتشريع التطور الذي تم بعد المنفى فجعل من عظيم الكهنة بشكل خاص، ومن الكهنة بشكل عام، أساس الأمة اليهودية. وقد دخل اللاويون في هذه النظرة إلى الأمور. بجانب الكهنة، لا في موضعهم. والمحيط الكهنوتي الذي أنتج يوب يدل على بغض عميق لكل ما يجعل اليهودي مع الغريب: قد تكون هنا أمام حكم على الهلينية وعلى الكهنة الذين اجتذبهم إليها. وفي ردّ فعل ضد هؤلاء الكهنة، قدم يوب وجه لاوي المثالي، وعبره وجه الكهنوت الذي صار خادم الشريعة وناشر الحكمة الالهية.

بما أن يوب لا يقول بفضل عن الهيكل، بل يحدد موقع الكهنة في وسط أمّة يكونون فيها الرئيس والمربيّ، فقد اعتبره الشرّاح مؤلّفاً صادوقاً لا أسبانياً. ولكن وحدة الكهنة والشعب في هيكل مستعاد هو مثال قمران. والكلندر الذي نجده في قمران هو الذي نجده في يوب .

د - وجه يهودا في كتاب اليوبيلات

ما الذي يمثله وجه يهودا في يوب؟ هو يمرّ بعد لاوي، وهذا أمر عاديّ في المحيط الكهنوتي الذي دون يوب. ظنّ بعضهم أن يهودا يمثل إسرائيل. وقال آخرون: يمثل تارة الملك داود، وطوراً الأمة اليهودية أو الاثنين معًا. في مباركة يهودا التي تلي لاوي (٢٠-٣١)، نجد المعنيين حين يقول اسحاق ليهودا: «الله يعطيك القوّة والجبروت لتذوس برجليك او لتك الذين يبغضونك». فيهودا يمثل في الوقت عينه الملك الداودي والأمة. وحين يقول: «اسمك واسم بنيك يجتازان الأرض والبلاد»، فيهودا يمثل فقط الأمة اليهودية. مقابل هذا، وفي نهاية المباركة، سيكون التشديد واضحًا على الداودي الم قبل: «حين تجلس على عرش المجد، يكون برّك سلامًا عظيمًا لكل نسل أبناء المحبوب».

في يوب، يُسمى كل من يهودا ولاوي أميراً (١٨-١٥:٣١). ولكن الدور المنسوب إلى كل منهما يختلف. يُنتظر من لاوي أن يمارس شعائر العبادة، أن يعلم الشريعة والحكمة. أي أن يمارس المهام الضرورية لحياة الأمة. ويُنتظر من يهودا أن يحرر إسرائيل ويقود اليهود ليتسلّطاً على الأمم. ولكن هذا الرجاء لا يقف في المقام الأول.

ولا ندشّن حين نرى انتظار مسيح داودي في محيط يتميّز إلى كهنوّت صادوقيّ قويّ. فهذا ما يذكرنا ببعض نصوص قمران التي تنسب إلى يهودا الدور الذي ينسبة يوب إليه في نجاة إسرائيل والظفر على الأعداء. ولقبُ أمير الجماعة المعطى للداودي في قمران (وث ٧: ٢٠) يجعلنا نفكّر بلقب الأمير الذي أعطي ليهودا في يوب .

ونلاحظ أخيراً أن إسرائيل يحدّد في يوب ٣٣: ٢٠ ، كـ «أمة مقدّسة للرب الأله ، كأمة ميراث ، وكأمة كهنوتية وملوكيّة» (رج حز ١٩: ٦). يكون الشعب كهنوتيّا حين يكون مقدساً وباراً ، وملوكيّاً حين يسود الأمم . مهمّتان متلاصقتان ومختلفتان على مثال وجهي لاوي ويهودا الملتصقين وال مختلفين معًا .

الفصل الرابع عشر

الكهنوت في أدب قمران ونصوص أخرى

١ - قمران

إن تاريخ جماعة قمران يرتبط بتاريخ الكهنوت. فسواء تحدثنا عن أصل حزب «أبناء صادوق» أو عن تنظيمه أو عن فكره، تواجهنا مسألة الكهنوت.

أ - أصل جماعة قمران والكهنوت

ما زال الخلاف قائماً حول التاريخ الذي فيه تأسّس الحزب الديني الذي جاء يقيم في قمران^(١). ما هو معروف هو أن الإقامة على شاطئ البحر الميت لم تتم قبل النصف الثاني من القرن الثاني ق.م. ولكن لا شيء يبرهن على أن القطيعة التي قادت إلى تكوين الحزب، لم تتم قبل ذلك الوقت. في أي حال، لا نستطيع أن نعود إلى ما قبل يوناتان، وإن عاد بعضهم إلى منلاوس، وألكيميس. سمي يوناتان عظيم كهنة سنة ١٥٢ بضم الاسكندر بالاس، فأخذ بالكلنдар القمري الشمسي كما في العالم الهلنستي، وتخلّى عن الكلنдар الليتورجي التقليدي. وجمع ألقاب عظيم الكهنة والقائد والحاكم. وهذا ما كان سبب استياء في بعض الأوساط الكهنوتية. هل كان هو الكاهن المنافق (أو الشرير) الذي وقف بوجهه

(١) Qumran, DBS IX, 789-798. رج بولس الفغالي، كتابات قمران، جزءان، الرابطة الكتابية ١٩٩٧، ١٩٩٨.

معلم البر؟ ولكن سمعان ويوحنا هر كانس يمكن أن يكونا أفضل منه ذاك الكاهن المنافق. ومهما يكن من أمر، نلاحظ أهمية وجه الكاهن المنافق ومعلم البر بدأية هذا الحزب وتكونيه. وهكذا تغزو الجماعة جذورها في أزمة أثرت تأثيراً عميقاً في المحيط الكهنوتي ساعة كانت البلاد تدخل في الحضارة الهلينية.

هناك فرضية^(٢) تقول بأن كتاب نظام الجماعة هو نتيجة إضافات متلاحقة على نواة أولى. فنحن نجد في هذه النواة آثار سيطرة الكهنة تكوبن المجتمع. فإن ١:٨ يعلن أنه «حسب برنامج الجماعة يكون اثنا عشر رجلاً وثلاثة كهنة، كاملون في كل وحي...». في الأصل، هناك مجموعة بأكثرية كهنوتية مع دور مركزي للكهنة: «ووحدهم أبناء هارون بحكمون على مستوى الحق والخير، وببحسب رأيهم تخرج القرعة لكل ترتيب يخص أهل الجماعة والخيرات» ٩:٧-٧. في الأصل، صور الحزب كجماعة طاهرة، كجماعة هيكل حيث يحتفل بشعائر العبادة التي ترضي الله، ساعة كان الكاهن المنافق يواصل في أورشليم عبادته اللاشرعية. وانتظروا «مجيء النبي ومسيحي هارون واسرائيل» ٩:١٠. هاتان المessianيتان تدلان على مقاومة عنيدة لتجميع السلطتين الدينية والسياسية في يد الكاهن الأعظم.

وعرفت الجماعة القمرانية على مدّ تاريخها تطويراً في نظمها. شارك في تدبير الجماعة أشخاص غير الكهنة (ف ٥). ويدعو «النظام» أعضاء الجماعة لأن يسلموا نفوسهم «إلى قرار أبناء صادوق، الكهنة الحارسين للعهد، وإلى قرار مجلس رجال الجماعة» ٥:٢-٣. ولكن يبقى أن الجماعة كلها ظلت تعيش من أصولها المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بأزمة الكهنة. وأن الكهنة الموجودين فيها نعموا دوماً بسلطة اعترف بها الجميع.

J. MURPHY- O'CONNOR, cf Qumran DBS IX, 853; J. POUILLY, La (٢) Règle de la Communauté de Qumran. Son évolution littéraire. Paris 1976.

ب - نصوص حول الكهنوت

أولاً : منحولات العهد القديم

هناك وصية لاوي الaramية أو منحول لاوي. وُجد النص في المغارتين الأولى والرابعة من معاور قمران، وقد درس في الفصل السابق. هو يتجذر في الاوساط اللاوية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالهيكل. وقد يعود إلى سنة ٢٠٠ أو ١٥٠ ق.م.

ووُجد في قمران كتاب اليوبيلات في أجزاء نقرأها في اثنى عشر مخطوطاً. هذا ما يدل على علاقة بين هذا الكتاب وجماعة قمران. ومهما يكن من الأصل القمراني لهذا الكتاب، نستطيع القول إنه شاهد (جاء بعد وصية لاوي الaramية) على تيار كهنوتي ورعٍي ترکّز بشدة على طهارة الكهنوت وعظمته، فكان من ثمار هذا التركيز تكوين حزب ديني في قمران. والكلندار (٣٦٤ يوماً) الذي نجده في يوب، هو الذي أقرّ به قمران كالذى يستطيع وحده أن ينظم حياة ليتورجية ودينية ترضي الله.

والنصوص حول ملكيصادق (ومنها «رؤى عمرام») تدلّ على أن ملكيصادق احتلّ مكانة هامة في اللاهوت القمراني. فقد صوّر مثل كائن سماوي ومخلص اسكتاتولوجي بعيد عن الصورة الكهنوتية التي نجدها في تك ١٤:١٨-٢٠ (ما عدا منحول التكوين حيث يقال عنه في ٢٢:١٥ «كاهن الله العليّ»). هذه النصوص عن ملكيصادق تساعدنا على التعرّف إلى التوسّعات التي عرفها هذا الوجه في الحقبة السابقة لمجيء المسيحية. وللاحظ أن صاحب الرسالة إلى العبرانيين لم يواصل الحديث عن الوجه «الملائكي» لملكيصادق، بل بحث عن مدلول سر وجهه الكهنوتي كما في تك ١٤.

ثانياً : الأدب الآسياني

توقف بشكل خاص عند النصوص المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بموضوع الكهنوت.

• وثيقة صادوق أو وثيقة دمشق

يحتل فيها معلم البر مكانة كبيرة. كان منظّمَ هذا الحزب الديني، فمات ساعة دوّنت وثص. قال عنه أدوار كوتنيه^(٣): كاهن «ابن صادوق»، هذا ما يفترض الأهمية المعطاة «لبيت هارون» «ولأبناء صادوق» في وثص. يشّرّ بالعودة إلى شريعة موسى (١٥: ٩؛ ١٦: ٥-١)، وكوّن تلاميذه في الممارسة الدقيقة (٤: ٨). وهكذا أقام «العهد الجديد». تلقّى ألقاباً لها معناها: «المعلم» (م ح و ق ق). «دارس الشريعة» (دورش. هـت و ره، ٦: ٧). به حضرت «بئر المياه الحية» حياة الشريعة (١٦: ٣؛ ٦: ٦). فقد كشف «الخفّيات» حيث ضلّ إسرائيل كله: السبوت، الأعياد المجيدة... طرق الله الحقيقة» (٣: ٣). عارض بشكل خاص تبديل الكلندر، وفرض على أخصائه الأمانة للكلندر التقليدي، الذي هو الشرط الذي لا غنى له لشرعية الكهنوت (٦: ١٨-١٩؛ ١٦: ٤-٢؛ ١١: ٢٢-٢). رج نج ١٠: ٨). كان رجل العناية (٦: ٨)، فاستحقّ لقب «معلم البر» (١١: ١)، «معلم الجماعة» (٢٠: ١-١٤). بني الله بواسطته «بيتاً زمنياً» في إسرائيل» (٣: ١٩)». لقد تمت القطيعة مع كهنوت أورشليم الذي لم يعرف أن يميز الطاهر من التجسس، الذي ترك المعبد ينجس (٤: ١٧-١٨؛ ٦: ١٥-١٧؛ ٨: ٥؛ ٩: ١٧-١٨؛ ١١: ٢١-١٨؛ ١٢: ١٩-٢٠). ولكن هذا الحزب لم يتخلّ عن مبدأ الذبائح.

في القوانين التي تشكّل القسم الثاني من وثص، يحدّد دورُ الكهنة وصلاحياتهم. نلاحظ اولاً: اختيار قضاة الجماعة («أربعة من قبيلة لاوي وهارون، وستة من إسرائيل»، ١٠: ٤-١٠). ثانياً: دور الكهنة في الجماعة المحلية (١٣: ٢-٧). ثالثاً: الوظائف في الجماعة المقسومة أربع فرق، ولاسيما «الكافن الموكّل على رأس الكثرين» (١٤: ١٣-١٢).

E. COTHENET, *I es textes de Qumran traduits et annotés II*, Paris 1963, (٣)
p.138-139.

لا توقف عند طبيعة المسيحانية في وثص. بل نشدد على القول بأن هذه الوثيقة لم تجعل من معلم البر «شخصاً مسيحيانياً» بل اعتبرته «النبي» السابق (٢٠: ١١؛ ق نج ٩: ١١).

• ملحق نظام الجماعة

اهتمَ الكاتب بأن يحافظ في كل شيء على أولوية الكهنة، ولا سيما الذين يتمون إلى السلالة الصادوقية. وفي المقطع حول اللاويين (٢٢: ٢٥-٢٥) نلاحظ أن «بني لاوي يقفون. كل في مكانه، بإمرة أبناء هارون ليلعبوا دوراً ثانوياً». وإذا توقينا عند التراتبية، نلاحظ أن «الكاهن يأتي على رؤساء كل جماعة إسرائيل، ثم إخوته كهنة هارون» (٢: ١٢-١٣). وبعد ذلك، يأتي ممسوح إسرائيل ورؤساء قبائل إسرائيل. وأخيراً، في الوليمة الاسكتولوجية التي تختتم منح نقرأ: «لَا أحد يمدّ يده إلى بواعير الخبز والخمر قبل الكاهن». فممسموح إسرائيل لا يمد يده إلى الخبز إلا بعد الكاهن (٢: ١٨-٢٠).

• مجموعة المباركات

تلفَ المخطوطُ فضاع جزء من مضمونه. هو يفترض مباركة لعظيم الكهنة (١: ٢١-٣: ٢١). يبدو أننا نستطيع أن نميز عدة مباركات. الأولى تتوجه إلى المؤمنين. تلك التي تصل إلى ٣: ٢١ تتوجه إلى القائد الأول للكهنة. والتي تبدأ في ٣: ٢٢ تتوجه إلى الكهنة الصادوقيين. والتي نقرأها في ٥: ٥-٢٠ تتوجه إلى أمير الجماعة، مكرّس إسرائيل. لا نعرف إن كانت هناك مباركات أخرى للكهنة غير الصادوقيين، للاويين... . مهما يكن من أمر، هذه المباركات تعكس رؤية «تراتبية» داخل الكهنوت، وتعلقاً أكيداً بسلالة صادوق.

• الزهيرات والشواهد

تلفت «الزهيرات» انتباها إلى المكانة المعطاة لأصل داود. ينطلق النص من ٧: ١١-١٤ (المغارة الرابعة، زهيرات ١: ١٠-١٣) فينبئ بأن أصل داود يقوم مع «دارس الشريعة». هذا الأخير هو عظيم الكهنة الذي كان محرراً سياسياً

وموجّهًا دينيًّا. ونستطيع أن نذكر في هذا المجال المغاربة الرابعة (١٦١: ١٧-٢٤) حيث المسيح الملكي يحيط به الكهنة فيستشيرهم ليتّخذ قراراته. أما «الشواهد» فتنطلق من سلسلة من الإيرادات الكتابية التي تضم مقاطع من ثث إلى مقاطع من عد (ثث ٣٣: ٨-١١؛ عد ٢٤: ١٥-١٩؛ عد ٢٩: ٥؛ ثث ١٨: ١٨-١٩؛ ثث ٢٤: ٥) لتعبر عن الرجاء بمجيء نبي يأتي بعد موسى، بمسيح ملك ومسيح كاهن.

• نظام الحرب

ما يميّز هذا الكتاب هو أنه يتضمن إيرادات عديدة من الكتاب وتلميحات إلى النصوص. فما يقال فيه عن الكهنوت والطهارة ودورها، يستقيه الكاتب من التوراة ويورد نصوصها بشكل واضح.

في حرب أبناء التور ضد حرب أبناء الظلمة، يأخذ الكهنة المواقع المحددة لهم. وخلال الأعداد للحرب يكون «قواد الكهنة اثني عشر بعد عظيم الكهنة وثنائيه، في خدمة دائمة أمام الله» (٢: ١-٢). هناك ٢٦ رئيس فرق لا ٢٤ كما في آخر ٣-١٩: ٢٤. واللاويون أيضاً لهم ١٢ رئيساً، ويقسمون فرقاً مع رئيس لكل فرقة.

ويصور بالتفصيل دور الكهنة في قيادة العمليات العسكرية (٧: ٩-٧). لباسهم المصور على أساس تك ٤١: ٤٢، لا ٤: ١٦؛ خر ٣٩: ٢٨-٢٩؛ أو ١: ٢٦ (أو ٨: ٣٦) هو لباس حرب لا يسمح لهم بالدخول إلى المعبد. يشارك الكهنة واللاويون في القتال، وينفذون العمليات المتصورة بدقة والمنظمة على النفع بالأبواق. يُلقي الكاهنُ الرئيس خطباً ليحثّهم على البطولة (١٠: ١-١)، ويقرأ صلاة زمن الحرب يحيط بها أخوته الكهنة واللاويون وجميع أناس النظام (١٤: ١-١٥). وفي ساعة الشكر بعد القتال، يتولى الكاهن الرئيس والكهنة واللاويون وأناس النظام وأمير الحرب وقواد صفوف المجندين (١٩: ١١-١٢). إذن نرى أن دور الكهنة أساسي في هذا الكتاب. وقالت أني جوير^(٤): «تسير كل

A. JAUBERT, La notion d'alliance p.147. (٤)

الحرب حسب ليتورجيا حقيقة حددت مسبقاً... هذه النظرة الكهنوتية إلى الحرب المقدسة تمثل تضخيمًا كبيراً بالنسبة إلى النصوص البيبلية التي تُبرز دور الكهنة في القتال: تحرير يوحنا الكاهن في ث ٢:٢٠؛ أبواب الكهنة في ٢ أخ ١٢:١٣ أو يش ٦ (إضافات كهنوتية على الاستيلاء على أريحا).

ونشير أخيراً إلى أن مجمل نظام الحرب يشدد كثيراً على مسائل الطهارة والنجاة بحسب الشريعة (٧:٦-٩؛ ٨:١٠-١٤؛ ٢:١٤-٣) مع استناد إلى الكتاب المقدس.

• درج الهيكل

في مجمل السلوكيات (هلکوت) المعروضة، في التصوير الدقيق للاعياد والذبائح، يلامس «الدرج» مسألة الكهنوت، وقواعد الطهارة، والوظائف والمهامات والحقوق. من المعلوم أن هذا الكتاب يبدل تدليلاً جوهرياً في نصوص البتاتوكس (= الأسفار الخمسة) فيضيق أو يلغى أو ينسق. أما في ما يخص موضوعنا فهو يمنع اللاويين وضععاً أرفع من العادة (٢١:٢٢-١٢:٢٣؛ ٢٣:٩-٩؛ ١٢:٢٢-١٢:١١؛ ٤٠:٤٤؛ ٣:٤٤-١٢؛ ٢٩:١٢-١٦). فاللاويون هم الذين يصنعون الذبيحة في العبادة العادية: «يذبح بنو لاوي الضحايا، ويرش الكهنة بنو هارون الدم على المذبح من كل جهة» (٤:٢٣). ففي نهاية حقبة الهيكل الثاني، كان الكهنة هم الذين ينحررون الضحايا للذبيحة^(٥). واز عين «الدرج» للاويين وظيفة كهنوتية، جدد. وجدّد أيضاً حين منحهم كتف الضحية المذبوحة. الكهنة يقطّعون من الكباش والحملان ليهوه: الفخذ اليمين، صدر الاقتطاع كحصة أولى، الرجل الامامية والوجه والكرش. هذا يكون حصة الكهنة حسب القاعدة. يُعطى للاويين الكتف» (١١:٧؛ رج ١٠-٨:٢٢). راح «الدرج» هنا أبعد من التوراة التي تفرض حصة للاويين ولا تحدّد (ث ١٨:١؛ ٢١:٤؛ ٤:٣١؛ نح ١٢:٤٤). في درج الهيكل رفع اللاويون إلى مرتبة تفصلهم عن العوام بعد أن عينت لهم واجبات عبادية كان يقوم بها الكهنة حسراً حتى ذلك الوقت^(٦).

(٥) المشنة يوماً ٣؛ تلمود بابل كتوبوت ٦:١٠.

(٦) J. MILGROM, «Studies in the temple Scroll», JBL 97 (1978) p 501-523.

٢ - مزامير سليمان

يعود هذا الكتاب إلى سنة ٤٠-٨٠ ق.م، وهو يرتبط بأحداث طبعت بطبعها نهاية الحقبة الحشمونية مع وصول الرومان إلى فلسطين. يتفق الشراح على القول بأنه ولد في محيط فريسي.

أما في ما يخص الكهنوت، فنلاحظ الاهتمام الحار بالهيكل وشعائر العبادة. فالكاتب (أو الكتاب) يدل على عداء كبير تجاه السلالة الحشمونية لأنها قادت البلاد إلى انحطاط ديني وأخلاقي، كما إلى خسارة الاستقلال بسبب تدخل الرومان. في هذا الأطار نحدد الانجداب العميق بالقدسيات والهيكل. فيلاحظ من سل ٢٠:٢٠ أن الأمة المقدسة قد داستها الأمم الوثنية، وأن الهيكل نجس وديس بالتعال. طالب بنهاية كل كفر وكل تهامل مع الشريعة على أرض إسرائيل، وذلك من قبل اليهود كما من قبل الغرباء، فافتراض في نظرته ضرورة كهنوت مقدس ومعبد ظاهر.

وتتركز الرجاء المسيحياني كله على الوجه الملكي. انتظروا من المسيح أن يطهر أرض إسرائيل من الأشرار (١٧:٢٧). يصير رئيس الأمم التي تخدم تحت نيره (١٧:٣٩-٣٢). لا يذكر في هذا الكتاب وجه مسيحياني من الخط الكهنوتي. وهكذا تكون على طرف نقىض مع الأدب القمراني^(٧).

٣ - وصيّة موسى

النسخة اللاتينية التي بقيت لنا من وصيّة موسى رجعت إلى ترجمة يونانية لأصل عبراني أو أرامي. هي أجزاء، لا نص كامل. فلا تعطينا إلا لمحّة عن مجلّم الكتاب. تبدو بشكل خطبة (بشكل وصيّة) موسى الذي كلف يشوع

M. DELCOR, Psaumes de Salomon, DBS IX 214-245. (٧)

بالشعب، وتبأ له بالتاريخ كله. يتوقف أفق الكاتب التاريخي مع تدخل فاروس (٤ ق م) الذي يسميه «ذاك الذي يحرق، جزءاً من الهيكل ويصلب عدداً كبيراً منهم» (٦:٩). ويتبأ الكاتب عن أبناء هيرودس «الذين يكون حكمهم أقصر من حكم أبيهم» (٦:٧). ولكن الواقع ستكذب هذه النبوة، لأن فيليس حكم ٣٨ سنة وانتياس ٢٣ سنة. إذن، يبدو أن الكاتب لم يصل إلى نهاية حكمهما. لهذا، يحدّ زمن تدوين هذا الكتاب في السنوات التي تلت عزل أرخيلاوس (٦ ب م).

كان الكهنوتُ صاحبُ الاتجاه الهليني الذي سيطر في العقبة السلوقية، موضع انتقاد عنيف. سيقترب اليهود الإثم، ويستسلمون إلى عبادة الأوثان، ويدنس مسكنُ رب. «لن يكون كهتهم كهنة، بل عبيداً أبناء عبيد» (٥:٥). ولم يوفر الكاتب السلالة الحشمونية: سيخرج ملوك يسمون نفوسهم «كهنة الله العلي» ويقترونون الكفر في قدس الأقداس. «والملك الواقع الذي يخلفهم والذي لا يكون من نسل كهنوتي» هو هيرودس. ويحدّد النص في موقع آخر طول حكمه: ٣٤ سنة (٦:٦). أما حريق «قسم من الهيكل وصلب العديدين» فيرتبط بتدخل فاروس بعد موت هيرودس، سنة ٤ ق م.

هناك من ظنَّ أن ف ٩-٨ نُقلَا من موضوعهما. ولكن ليس الامر بواضح، وإن عادا إلى العقبة المكابية. فقد يكون الكاتب استند إلى نبوءات حول الشؤم المقبل، إلى مواد تصويرية أخذها من الأدب المكابي. ومهما يكن من أمر، نلاحظ في ما يخصَّ موضوعنا، أن «تاكسو» الذي يدفع أبناءه إلى «الموت على أن يتجاوزوا وصايا ربَّ الارباب» هو رجل من قبيلة لاوي (٩:١-٧).

٤ - فيلون المزعوم والعاديات البيبلية

لا يتفق الشرّاح على الاهميّة التي يعطيها فيلون المزعوم^(٨) للهيكل وشعائر العبادة. لخصَّ شارل بيرو^(٩) مختلف المواقف. بعضهم يشدد على عدم اهتمام

(٨) Pseudo-Philon, Antiquités bibliques.

(٩) المرجع السابق الجزء الثاني ص ٤٠-٣٩.

هذا الكتاب بالهيكل والذبائح، وهذا يتيح لهم أن ينسبوه إلى وسط اسياني. ولاحظ آخرون غياب طقس العمل الفصحي^(١٠). وقالت فضة ثلاثة باهتمام العadiات البيلية بالكهنة والعبادة والهيكل. وقالت آني جوبيير^(١١): «إن اكتشافات قمران تبرز السمة الكهنوتية التي نجدها في العadiات البيلية وذلك مع وفرة لائحة الانساب والمكانة المحفوظة لكهنتوت فتحاس. فالدور المعطى لصموئيل بأن يوزع النور لشعبه وللامم (٥١: ٤-٧) يدلّ على موضوع الكاهن النور في قمران وفي وصية لاوي. وإن كان كتاب «العاديات» توقف عند شاول، فهذا يدلّ على الاهتمام بال المسيح الداودي، ساعة كان صموئيل يستطيع أن يلعب دور السابق والكاهن والنبي». ولكن تسائلت جوبيير نفسها: «كيف أن هذا الكتاب ذات الاتجاه اللاوي لا يهتم إلا قليلاً بالهيكل؟»؟ ورأى آخرون دور الكهنة فاعتبروا الكتاب اسيانياً.

يجب أن نلاحظ أن هذا الكتاب يهتم بأواني العبادة والملابس الكهنوتية، ويبيّن أن موسى صنعها بأمر من الله. «اهتم بكل لباس الكهنة، وبالحزام أيضاً والقميص، وبالتأرج وصفحة الذهب ثم بالاكيل المقدس. وقدسَ الزيت لمسحة الكهنة كما قدسَ الكهنة أنفسهم» (١٣: ٢١). لا نجد في «العاديات» انتقاداً للهيكل ولا للذبائح وقيمتها. لكنه يندد بالكهنة العاجزين «الذى نجسوا المعبد» (٥٣: ٩) على مثال «ابني عالي اللذين لم يسلكا طرق أيهما» (١: ٥٢)، وهو الذي قال لهم: «إذا سلكتما الطريق المعاكس وما توافقتما عن أعمالكم الشريرة، فأنتما تخسران: يصبح كهنتوكما كلا شيء، ويُحسب تقديسكما وكأنه ما كان». ويقال حينئذ: «هل أفرخت عصا هارون باطلًا؟» أو : «ما إن ولدت زهرتها حتى نزلت إلى العدم» (٥٢: ٢)؟

ويُذكر هارون في ٩: ٩؛ ١٢: ٣-٢؛ ١٧: ٢؛ ٢٠: ٨؛ ٢٢: ٩؛ ٥١: ٧؛ ٥٣: ٦١؛ ٩: ٥٣

R. LE DEAUT, La nuit pascale, Rome 1963, p.189, n. 147. (١٠)

A. JAUBERT, La notion d'alliance p. 285. (١١)

ويشدد الكاتب على أهمية معبد شيلو مع حضور العازر بن هارون الكاهن (١٧: ٨-٩). ففنحاس بن العازر الذي سُمح كاهناً في شيلو، كان له هو أيضاً موضع مختار (٥١: ٢). ويتحدث النص طويلاً عنه. وسيهِيَّءُ الرب له مكاناً في «دَنَابَنْ عَلَى الْجَبَلِ»: «أَسْكُنْ فِيهِ عَدْدًا كَبِيرًا مِنَ السَّنِينِ وَأَنَا أَعْطِيُ أَمْرًا لِنَسْرِي فِي طَعْمِكَ حَيْثُ أَنْتَ: لَنْ تَنْزَلْ إِلَى الْبَشَرِ إِلَيْ أَنْ يَأْتِيَ الزَّمْنُ الَّذِي فِيهِ تَحْتَمِلُ الْمَحْنَةَ فِي الزَّمْنِ الْمَحْدُودِ». حِينَئِذٍ تُغلق السَّمَاءُ. وبكلمة من فمي تُفتح. ثم ترتفع أنت إلى الموضع الذي إليه ارتفع أبياؤك. وتبقى هناك إلى أن تذَكَّرُ العالم. حينئذ آتني بك وتدوّق ما هو من أمر الموت» (٤٨: ١). عرف فنحاس قنَازُ والأنباء كذلك الذي له سلطان الكلام. «تَكَلَّمْ يَا فَنْحَاسْ. فَهُلْ لِأَحدٍ أَسْبِقَيْهِ الْكَلْمَةَ عَلَى الْكَاهِنِ الَّذِي يَحْفَظُ وَصَابِيَ الرَّبِّ إِلَهَنَا، وَلَا سِيمَّا حِينَ تَخْرُجُ مِنْ فِيمَهُ الْحَقِيقَةُ وَمِنْ قَلْبِهِ نُورُ سَاطِعٍ» (١٨: ٣)؟

تُذَكَّرُ الْخِيمَةُ، وَيُذَكَّرُ بِشَكْلِ خَاصٍ مَعْبُدُ شِيلُو، «الْمَرْكَزُ الْوَحِيدُ الَّذِي فِيهِ سُمْحٌ بِالْعِبَادَةِ قَبْلِ بَنَاءِ الْهِيَكْلِ» (كما قال شارل بيرو). ولكن هيكل أورشليم الذي لم يكن يُبني بعد حين توقف الخبر، ليس موضوع اهتمام. لا تُستعمل لفظة هيكل سوى مرتين: مرة عن هيكل عالي (٥٣: ٢). ومرة عن هيكل داجون (٥٥: ٣). هذا لا يعني بالضرورة أن «العاديات» دوّت بعد سنة ٧٠ ب. م. فلو أن الهيكل كان مدمرًا، لكان ذُكر كثيراً، لأن الناس يتكلّمون أكثر ما يتكلّمون عن الغائب. وهذا الامر صحيح بالنسبة إلى رؤيا عزرا ورؤيا باروك مع العلم بأن ٢ باروك يرخي الضباب على الهيكل المُقبل والعبادة الاسكتاتولوجية، وأن ٤ عزرا لا يهتمُ كثيراً بإعادة شعائر العبادة في نهاية الأزمنة. في الواقع، لا يلفت الهيكل وشعائر العبادة، اهتمام المصليين في المجتمع. إذن نستطيع القول إن الذين يؤمّون المجتمع لا يكتون بغضّاً خاصاً لكهنة الهيكل. ولكن الانتباه يتوجّه نحو الشريعة لا نحو الطريقة التي بها تقدّم الذبائح.

ويتفق الشراح بشكل عام على القول بأن الاسكتاتولوجيا عند فيليون المزعوم تترَكَّز على الله. فلا مسيح بشريّاً. لا شكّ في أن سمات من النمط المسيحي تظهر في وجه قنَاز (٢١: ٥)، وداود في علاقته مع مسيح الرب (٤: ٥٣)، وصوموئيل

الكاهن والنبيّ الذي يهْجِي نور الأمم: «موسى وهارون هما بين كهنته وصموئيل في وسطهم. ها قد تمت الكلمة، والنبوة حصلت، ويكون الأمر هكذا إلى أن يُعطى القرنُ لمسيحه، وتنتضمّ القوة إلى عروش ملكه. ليقف ابني هنا ليخدمه إلى أن يأتي نور هذه الأمة» (٦:٥١). هي حنة (أم صموئيل) تتكلّم، ونور الأمم يعني داود. ولكن يبقى أن صموئيل ليس المسيح، لا هو ولا سائر الوجوه التي يذكرها الكتاب ف والله وحده هو الذي يعطي خلاصه.

٥ – رؤيا باروك ورؤيا عزرا

يعود هذان الكتابان إلى ما بعد سنة ٧٠، لأنهما يعنيان دمار الهيكل والمدينة المقدسة. ماذا يجب أن يفعل الشعب بعد أن زال الهيكل الذي كان بشعائر عبادته في قلب الديانة اليهودية؟ وتعامل الكتابان مع الأزمة كل بطريقته. فالالم الذي سببه دمار أورشليم، قد أحس به صاحب باروك وصاحب عزرا. فإن عز لا يتحدث إلا قليلاً عن الهيكل والعبادة مع أن أورشليم المشخصة في سمات امرأة فقدت ابنها الوحيد، تحتل فيها مكاناً هاماً في الكتاب (٩:٣٨-١٠). في ٢ با كانت نهاية الهيكل سنداً للبرهان ودفعاً. أما في عز فهي واقع لا يضع له حدّاً إلا الدهرُ المسيحياني^(١٢). ففي نظر رؤيا باروك، سبب سقوط أورشليم ليس الاعداء بل الله الذي يوجه التاريخ. نزل الملائكة وأشعلوا النار، ونزل واحد منهم على قدس القدس ليحمل «الحجاج والآفود المقدس والتکفير ولوحي الوصايا وملابس الكاهن وكل أواني الخيمة المقدسة» (٦:٥؛ رج ٨٠:٢). كل هذه الأواني سوف تُحفظ إلى نهاية الأزمة، وهكذا يحلّ تدبير إرادة الله مرکزاً على الشريعة، محل تدبير مرکزاً على الهيكل والذبائح . وهذا التبدل في التدبير يرتبط بخطيئة

P. BOGAERT, Apocalypse de Baruch, 2 vol Paris 1969. Ici vol I p 390. (١٢)

البشر، ولا سيما الكهنة منهم . ويعلن الرثاءُ العظيم: «وَأَمَّا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْكَهْنَةُ، فَخَذُوا مَفَاتِيحَ الْمَعْبُدِ وَارْمُوهَا نَحْوَ أَعْلَى السَّمَاءِ وَسَلَّمُوهَا إِلَى الْرَّبِّ وَقُولُوا: حَمِّ أَنْتَ عَنْ مَسْكُنِكَ، فَقَدْ وَجَدْنَا وَكْلَاءَ كَذْبَةً» (١٨: ١٠).

اهتمت هذه الرؤيا بالتشديد على أهمية الشريعة. أما إعلان الأزمة المسيحانية فلا تشكل نقطة جوهرية، وإن احتلت حيزاً هاماً. اسكتاتولوجية هذه الرؤيا هي من الخط الفريسي. ومسيحيتها لا تحمل شيئاً من الخط الكهنوتي. في هذا الإطار، ماذا يكون من أمر أورشليم والهيكل؟ لا شك في أن المدينة المقدسة تتجاوز تحقيقها الملهم والارضي. هي توجد كنمط أولي (٤: ١-٦) وتحمل مستقبلاً اسكتاتولوجياً. ولكننا لا نعرف شيئاً عن الهيكل وتقادمه ومحرقاته. لا يقال شيء عن دوره في المستقبل.

أما في رؤيا عزرا فلا يذكر الهيكل مراراً. كان باروك في أورشليم. أما عزرا ففي بابلونية (٣: ١). ودمار المدينة والهيكل هو حدث من الماضي. هكذا يعتبره الكاتب. فالمقاطع قليلة التي تتحدث عن دمار الهيكل (٣: ٢٤؛ ٧: ٨١؛ ٢١: ١٠؛ ٤٥: ٤٦-٤٧؛ ٤٨: ١٢). واهتمت رؤيا عزرا بإعادة بناء أورشليم الجديدة . سيكون موضعًا مباركاً وجهازاً أساسياً في الملكوت المسيحياني . ولكن الكاتب لا يهتم بعودة شعائر العبادة. ومسيحيانية عزرا ليست مسيحيانية كهنوتية . وما زال الجدال حول تفسير «المسيح المائت» (٧: ٢٩) الذي يمكن أن يكون عمل يد مسيحية . ولكن هناك خلافاً. يبقى أن هذه المسيحانية ظلت في خط مسيحيانية من النمط الفريسي والوطني المتطرف ، وأنها تستعمل صورة المسيح الملكي وابن داود (١٢: ٣٢؛ ١٢: ١٣ رج ٣٦-١٢). والتعليم الذي نجده هنا يشدد على تحرر نهائي يكون نعمة من الله . ولكنه يبقى مرتبطاً بروح دينية وطنية متطرفة وذلك بنظرته إلى المسيح الملكي أو بالدور المعطى لأورشليم والأرض المقدسة ، أو بالتشديد على جمع القبائل الاثنين عشرة . وهكذا يتلقى بتعليم مزاهير سليمان .

الفصل الخامس عشر

الكهنوت في العالم اليهودي الهلنستي

ما درُس بعدُ الكهنوت في السبعينية اليونانية إلا قليلاً. لهذا نترك عالم الكتاب المقدس، ونحصر موضوعنا في رسالة أرستيس ومؤلفات فيلون الاسكندراني.

١ - رسالة أرستيس

أ - نظرة عامة

اختلاف الشرّاح على تحديد الزمن الذي دونت فيه هذه الرسالة. قد يكون بين حكم بطليموس الثاني فيلدلفوس (٢٨٥-٢٤٧ ق م) ويوسيفوس الذي عاش في القرن الأول ذكر مقطعاً من هذه الرسالة في «العاديات اليهودية» (١٢: ٧-١١٨). ولكن يبدو أننا نستطيع أن نتكلّم عن القرن الثاني ق م. تشير هذه الرسالة إلى حقبة عاشت فيها جماعة اليهود في الإسكندرية حياة سلام مع سائر سكان المدينة. فالصعوبات والتوترات التي يعرفها فيلون غير مذكورة في الرسالة التي توصلت إلى وحدة شاملة بين انتماء إلى الجماعة اليهودية (لا ينكر له صاحب الرسالة) وانتماء إلى الحضارة اليونانية (لا يريد الكاتب أن يرذله)^(١).

A. TCHERIKOVER, «The Ideology of the Letter of Aristeas» HThR 51 (1) (1958) p. 59-58.

إلى من وجهت الرسالة؟ إلى اليهود أم إلى اليونانيين؟ بل إلى الاثنين معاً. حاولت هذه الرسالة أن تحوز ثقة اليهود الذين ما زالوا يرفضون إدخال اليونانية إلى المجتمع، وتجعل هذا الترجمة اليوناني (السبعينية) هو الذي يؤخذ به في المجتمع دون غيره. وفي الوقت عينه، شكلت هذه الرسالة نص دعاية من الطراز الأول: يدعو اليونانيين المثقفين إلى تحسّن جمال الكتب المقدّسة، واكتشاف مضمونها الذي يصاهي أكبر الفلسفات في العالم. وبما أن الكهنوت يحتلّ في رسالة ارستيس مكاناً مرموقاً، نشير إلى النقاط الهامة في هذا الموضوع

ب - الدور السياسي لعظيم الكهنة

جاء الطلب من أجل ترجمة الكتب المقدّسة من محيط الملك (حافظ مكتبة الاسكندرية). ولكن هذا الطلب لا يليّ إلا إذا قبل عظيم الكهنة بذلك. ففي أورشليم سلطةأخيرة تنعم بسلطان القرار الذي يؤهّلها لكي تحاور بطليموس في كل هذه القضية. وهذا ما يدلّ عليه تبادل الرسائل بين عظيم الكهنة والملك -٣٤-٥١). وهكذا لعب العازر دوراً كبيراً في القسم الأول من الرسالة. ردّ على بطليموس. أشرف على اختيار المترجمين (٤٦). قام بالخدمة في الهيكل -٩٦)، قدم عن بلاده شروحاً لمرسلي الملك (١١٠). ودعا المترجمين (١٢٠-١٢٧) وشرح الشريعة في أبو لوجيا (دفاع) طويلة (١٧١-١٢٨). إنه الرئيس الحقيقي للأمة اليهودية، والملك بطليموس أكرمه بالهدايا (٣٢٠-٣٢١).

ج - أهمية الهيكل والتورجا

نجد مقطعاً طويلاً يصور الهدايا التي بها كرم الهيكل ملك الاسكندرية -٥١-٨٣). وبشكل خاص طاولة تحلّ محلّ طاولة المعبد (٥٢). وما نسي بطليموس أن يقدم فضة من أجل الذبائح (٣٣). وبعد هذا التصوير المستضاف للهدايا، نقرأ وصفاً حماسياً للهيكل (٨٤-٨٧) ومستودعاته (٨٨-٩١) وكهنته وخدمته (٩٢-٩٥) وملابس عظيم الكهنة (٩٦-٩٩). نشير هنا إلى الروح الشعرية في هذا المقطع، كما اعتاد الاقدون أن يفعلوا في وضع خطير وعظيم. ونشير

أيضاً إلى الوجه الغامض للمقاطع حول الهيكل والليتورجيا. فكتاب «الرسالة» لم يكن على اتصال مباشر بأورشليم. هو يستند إلى تقاليد كهنوتية ويتبع أخبار الحج إلى أورشليم.

إن الوسط الاسكندراني الذي عاش فيه كاتب «رسالة ارستيس»، يدلّ على علاقات واضحة مع الهيكل. فيهود الشتات هؤلاء لم يكونوا على علاقات «مباشرة» مع أورشليم. ولكن تقواهم المستندة بقوّة إلى التقاليد الكهنوتية، تعتبر الهيكل أكبر اعتبار، وتعطي عنه صورة مثالية، وتجعل عليه كل جمالات الماضي وجمالات المستقبل. فاليهودية الاسكندرانية تتوجّه طوعاً في تقواها إلى كهنوت أورشليم حسب أكثر التقاليد المعروفة.

د - أهمية عظيم الكهنة في شرح الشريعة

ويعود إلى عظيم الكهنة شرحُ شريعة اليهود، امتداحها والدفاع عنها. هذه الشريعة التي سوف يترجمها الشيخ الذين أرسلهم العازر، يشرحها عظيم الكهنة أمام مرسلِي الملك وحاملي طلبه. عندما ندرك رمزية الفرائض، نتذكر تفاسير فيلون وما فيها من استعارات. فالتأويل الذي جعل على شفتي العازر يدلّ على المواضيع الكبرى في الدفاع الاسكندراني الذي يتخيّل أن يجعل الوثنين يقبلون بعظامة المثال الديني لدى اليهود. هذا الدفاع الذي يسير بهدوء وسلام، يحافظ على حقّ كل إنسان بأن يكون له خصائصه، مع تأمين مجال التفكير والمناقشة مع الوثنين. وإحدى النقاط المهمة في البراهين، هي عبادة الله الواحد التي يحتفظ بها إسرائيل وحده، والتي يُدعى إليها كلُّ وثنٍ. واسم هذا الله الوحيد مكتوب «على صفيحة من ذهب وبحروف مقدّسة» وسط جبين عظيم الكهنة (٩٨).

٢ - فيلون الاسكندراني

الكهنوت حاضر جداً في مؤلفات فيلون الذي كرس المقاطع العديدة للكهنة والهيكل وشعائر العبادة، للأواني والأشخاص، وللأعياد والذبائح. إن التفسير

الاستعاري للفيلسوف الاسكتلندي يجد هنا مواضيع مفيدة ينقلها إلى المستوى الخلقي والسيكولوجي والمستيكي (أو الروحي)، بحيث نستطيع القول إن الروحانية الفيلونية هي روحانية كهنوتية^(٢).

أ- الكهنوت اليهودي

في التأويل الفيلوني، مع ما فيه من روحانية، نحافظ على واقع الطقوس والفرائض والمؤسسات. إذا كانت النفس هي المسيطرة، فهي لا تلغى الجسد. لهذا نجد عند فيلون توسعات عن أورشليم وأعيادها الدينية تأخذ بمجامع القلوب^(٣). وبين التوسعات المخصصة للكهنوت تتوقف عند مقطعين نجدهما في «الشائع الخاصة» و«حياة موسى».

أولاً : الشائع الخاصة

إن الكتاب الأول (٧٨-٦٦) يتحدث عن الهيكل. بين فيه فيلون أن الهيكل الحقيقي هو العالم. ولكن على الأرض هيكلًا وحيدًا هو هيكل أورشليم . ويليه ذلك عرض عن الكهنة وعظماء الكهنة (٧٩-١٦١). ونضيف إلى كلّ هذين المقطعين ٢٥٥-٢٥٦ اللذين يتعلّقان بتقدمة الكهنة الدائمة. هذا العرض الطويل يقدم مختلف القواعد التي تشرف على سير عمل الكهنوت اليهودي. قبيلة واحدة هي مكرّسة للكهنوت (٧٩). هم وحدهم مؤهّلون للاحتفال بالعبادة. كهنة «لا عيب فيهم» نفساً وجسداً (٨٠-٨١). ويصوّر اللباسُ الكهنوتي (٨٢-٨٣) كما يصوّر لباس عظيم الكهنة (٨٤-٩٧) في نصّ مشهور. ويعرض بالتفصيل منع الخمر على الكهنة الذين في الخدمة، قواعد الزواج والحداد، الاقتطاعات ومداخليل الكهنة واللاويين.

A. JAUBERT, La notion d'alliance dans le judaïsme p. 195. (٢)

فيلون، الشائع الخاصة، الجزء الأول ٢٧٥ De specialibus legibus. (٣)

ثانياً : حياة موسى (٤)

امتلك موسى فضلاً عن صفات الملك والfilisوف التي عُرِضت في الكتاب الأول، صفات المشترع وعظميّة الكهنة والنبيّ. ويتوسّع الكتاب الثاني في رئاسة كهنوّت موسى على الشكل التالي :

- ٦٦ - ١٤٠ : تعليمات نالها موسى على جبل سيناء (١٣٥-١٠٩) : ألبسة عظيم الكهنة ورموزها
- ١٤١ - ١٥٨ : اختيار الكهنة. عيّن موسى هارون كعظيم كهنة. تطهير الكهنة، لباسهم، رش الذبائح بالدم.
- ١٥٩ - ١٧٣ : اختيار اللاويين: حادثة العجل الذهبي.
- ١٧٤ - ١٧٧ : ثورة خدام الهيكل.
- ١٧٨ - ١٨٦ : حكم الله في الخلاف.

حين نقرأ هذين النصين في «الشّرائع الخاصة» وفي «حياة موسى»، نلاحظ أنَّ فيلُون لا يهمل الشّرائع الایجابيَّة، بل يعرضها بدقة كبيرة. الحرف ضروريٌّ بضرورة اجتماعية، وهو وسيلة بها لحافظ على الروح محافظة أفضل. فالشرائع تحفظ النفس، كما يفعل الجسد. وهذه النفس لا يبني فيلُون يطلبها. هيكل أورشليم هو وحيد. ولكن الهيكل الحقيقي هو الكون (حياة موسى ٢: ١١٧).

كان فيلُون مدافعاً كبيراً عن ديانته، فصالح الناموس اليهودي مع نواميس العالم.

ب - موسى

ينال موسى عند فيلُون أعظم مدحٍ. هو صديق الله والبشر والفضيلة. هو النبي ورئيس الأنبياء ورئيس الشعب والمشترع والجبر والملك والكافر الكاهن

(حياة موسى ٦٧:٢). هو الأول في الوظائف الكبرى التي يقوم بها الملك والمشرع والكاهن والنبي. وكل الوظائف تتحد فيه فيصبح الموجه الكامل لشعب الله (حياة موسى ٢:٧).

إذا كان المشرع الكامل هو أيضاً كاهنا، فلأن الدينية التي يعلمها تُعرض كسر يحتاج إلى تنشئة للدخول فيه. فالكهنوت ليس مهمّة ملحقة بموسى. بل هو يعبر أفضل تعبير عن دوره قرب شعب الله. كان قائداً العبرانيين، فوجّهم خلال مسيرة الخروج ككاهن ليقدم الذبائح (حياة موسى ١:٨٦-٨٧). فوظيفة الكاهن الكبرى هي في نظر فيليون التشفع، وموسى يمارسه في الملء: فهو كرئيس العهد السينائي المتشفّع للجميع (الفضائل^(٥)، ٧٩). ويتواءل دوره في السماء بجانب الآباء الذين يتشفّعون لهم أيضاً.

ج - هارون

إن موسى عين داود عظيم كهنة (حياة موسى ٢:١٤١). هارون هو الكاهن (العظم) الكونيّ، وهذه الصفة تساعده على التحدث مع اللوغوس. وحين يدخل إلى قدس الأقداس، يدخل الكون كلّه معه (الشائع ١:٩٦؛ حياة موسى ٢:١٣٣-١٣٥). وثيابه ترمز إلى بعد الكوني لكهنته^(٦). هارون هو قريب من اللوغوس، ويصبح أكثر اقتراباً من اللغة التي تعبّر، لأن الله دعا موسى ليضمّه إليه: «يتكلّم إليك» (خر ٤:١٤-١٥؛ هجرة إبراهيم ٧٨). جاء هارون إلى لقاء موسى كما «اللغة تلتقي تصوّرات الفكر». إن كهنوت هارون له بُعد شامل، لأنّه شبيه بكهنوت اللوغوس الذي هيكله العالم، وكذلك كهنوت عظماء الكهنة في أورشليم من بعده: «بين سائر الأمم، اعتاد الكهنة أن يقدموا الصلوات والذبائح على نية أهلهم فقط وأصدقائهم ومواطينهم. أما عظيم كهنة اليهود فيرفع الصلاة

De virtutibus. (٥)

De fuga et inventione 110; De migratione Abrahami 102-103. (٦)

والشکر، لا باسم سلالة البشر وحسب، بل باسم جميع أجزاء الطبيعة من أرض وماء وهواء ونار، لأنه يؤمن (وهذه هي الحقيقة) أن الكون هو موطنه الخاص»⁽⁷⁾.

د - اللوغوس

ينال اللوغوس^(٨) عند فيلون لقب عظيم الكهنة. يتبرّر هذا اللقب كل التبرير إذا تذكّرنا أن اللوغوس هو خادم الله، خاضع له. هو رئيس الملائكة وال وسيط بين الخالق وال الخليقة ويفصل الواحد عن الأخرى: «منحَ الآبُ، والدُّ الكون، رئيسَ الملائكة، اللوغوس المكرّم، نعمة خاصة وهو أن يقف ليفصل بين المخلوق والخالق. فهو في الوقت عينه المتشقّع بالمائت القلق دوماً تجاه غير الفاسد (أي الله)، وسفير السامي تجاه الخاضع له»^(٩).

إن دور اللوغوس هذا يجعل من كل وساطة، سواء كانت وساطة موسى في العهد، أو وساطة هارون بالقرب منه، صورة عن الوساطة التي يمارسها اللوغوس في العالم. والتماهي بين هارون واللوغوس مثلاً، يصل إلى حدٍّ معه تذهب الصفات من الواحد إلى الآخر دون عائق. بحيث يسمى كل من الاثنين عظيم كهنة. يرتدي اللوغوس لباسه مثل هارون ليمارس كهنوته في الكون .

خدمة اللوغوس هي خدمة المتسلّل دون أن يكون له دور سوتيريولوجي^(١٠). هو يجمع ويؤمّن الاتصال. دوره ليس فقط الدور الكوني، بل هو وسيط عهد.

. ٩٧:١) الشرائع الخاصة (٧)

(٨) اللوغوس، أي الكلمة.

On trouve dans «*de gigantibus*» et «*الجبارة*» et «*de fuga et inventione*» الهرب والاكتشاف

108, l'expression: ho archiereus logos

(٩) من يكون وارث الالهيات،²⁰⁵ Quis rerum divinarum heres sit,

(١٠) Soteriologique الخلاص بواسطة الفادي كما هو الحال مع يسوع المسيح.

هـ - كهنوت النفس الفردية

وَجَدَ فِيلُونُ فِي الْكَهْنُوتِ وَالْعِبَادَةِ مَوَاضِيعَ تُنْقَلُ إِلَى مَغَامِرَةِ النَّفْسِ الْفَرْدِيَّةِ الْمَدْعُوَّةِ إِلَى أَنْ تَتَخَلَّصَ مِنْ قَبْضَةِ الْأَهْوَاءِ وَالْحَوَاسِ لِكَيْ تَصْرُّعَ إِلَى اللَّهِ. وَنَقْلُ الْمَوَاضِيعِ الْكَهْنُوتِيَّةِ هَذِهِ، لَا يَلْغِي التَّنظِيمَ الْكَهْنُوتِيَّ لِدِيِّ الشَّعْبِ الْيَهُودِيِّ. لَا صَرَاعَ لِدِيِّ فِيلُونِ الْإِسْكَنْدَرِيَّ، بَيْنَ إِيجَابِيَّةِ (وَضْعِيَّةِ) الْمُؤْسَسَاتِ وَالْعَالَمِ الْبَاطِنِيِّ. بَلْ إِنْ تَأْوِيلَهُ يَسْاعِدُهُ عَلَى الْعِبُورِ مِنَ الْواحِدِ إِلَى الْآخِرِ. فَالْوَلَادَةُ هِيَ التِّي «تَصْنَعُ» الْكَاهِنُ، وَلَكِنَّهُ لَا يَظْهُرُ حَقًا فِي خَدْمَةِ اللَّهِ إِلَّا بِسِمْوٍ فَضْلِلَتِهِ (الْوَصَايَا ٤: ١٩٢). النَّفْسُ هِيَ فِي نَظَرِ فِيلُونِ الْهِيَكلِ الْحَقِيقِيِّ. فِيهَا يَخْدُمُ عَظِيمُ كَهْنَةٍ هُوَ الْعُقْلُ الَّذِي لَا عِيبَ فِيهِ: «بَيْتُ اللَّهِ الْخَفِيُّ عَلَى الْأَرْضِ هُوَ النَّفْسُ الْغَيْرُ مَنْظُورَةٌ» وَ«الْعُقْلُ الْمَطَهُورُ يَفْرُحُ أَكْثَرَ مَا يَفْرُحُ بِالْعَتَرَافِ بِأَنَّ لَهُ سِيدًا هُوَ سُلْطَانُ كُلِّ شَيْءٍ» (١١).

و - بعد الكونى لكهنوت اسرائيل

اسرائيل هو في نظر فيلون شعب كهنوتي ، ولكهنوته بُعد مسكنوني : «الأمة اليهودية هي بالنسبة إلى المسكونة ما هو الكاهن بالنسبة إلى المدينة» (الوصايا ٢: ١٦٣) . والعبادة التي يؤديها اسرائيل لله ، فهو يؤديها عنه وعن الآخرين . فإن وُجد حكماء خارج اسرائيل يجعل الطهارة من نفسمهم هيكلًا حقيقياً له . فمع ذلك دور اسرائيل الكهنوتي لا يلغى . هو للبشرية كلها .

ز - فيلون والرسالة إلى العبرانيين

علاقة فيلون بالرسالة إلى العبرانيين (١٢) علاقة وثيقة . لا توسيع فيها ، ولكن نقدم النقاط التالية :

(١١) العقل هو Nous في اليونانية ، رج 107 De cherubim 100-101، (الكتاب المقدس).

(١٢) C. SPICQ, «Philonisme de l'Epître aux Hébreux» dans l'épître aux Hébreux I, Paris, 1952, p.39-91; L.K.K. DEY, The Intermediary World

and Patterns of Perfectio in Philo and Hebrews, Missoula 1975.

- الاستعارة في فيلون أكثر من عب. إن عب ترك المكان للتبيولوجيا، للنمطية: كل شيء، كل شخص، كل نظام، يدل على المسيح والكنيسة.
 - المسيحانية غائبة من مؤلفات فيلون تقريرًا. أما صاحب الرسالة إلى العبرانيين فيرى المسيح في شخص يسوع.
 - ملكيصادق هو عند فيلون رمز العقل الذي يمنحك الإنسان السلام والعدل. «هو اللوغوس الكاهن الذي يكون له الكائن ميراثاً، وتقوم عليه أفكار سامية ورائعة»^(١٣). وتوسّع فيلون مطولاً في تك ١٤. أنشد ملكيصادق مائة إبراهيم ضد الملوك. في عب، ملكيصادق هو صورة مسبقة عن المسيح، ولكننا نجد نقاطاً مشتركة. ملكيصادق هو كاهن الله العلي (عب ٧:١) كما عند فيلون.أخذ العشور في عب ٧:٢ يذكرنا أيضاً بفيرون. وأخيراً البرهان حول عدم وجود أب ولا أم ولا نسب، يذكرنا بمقطع مكرّس للوغوس: «لا يستطيع أن يتتجّس لأبيه (العقل) ولا لأمه (الحاسة). فلأنه، على ما أظنّ، خرج من الدين غير فاسدين وظاهرين جداً؛ والده هو الله الذي هو والد الكون، وأمه هي الحكمة التي بها ولد الكون»^(١٤).
 - أبرز العالم اليهودي المتأخر صورة موسى . وهكذا فعل فيلون. أما في عب ، فال مقابلة بين موسى ويسوع تدل على سموّ يسوع سمواً لايضاهيه شيء . وقال سبيك^(١٥): إن امتيازات موسى ، وسيط العهد الجديد ، قد رفعها فيلون «بحيث لا نرى ما ينبيء بوسيط العهد الجديد كما هو الأمر في الرسالة إلى العبرانيين»
 - هناك لفظتان تستعملان عند فيلون وفي عب . الأولى: الكمال^(١٦). في نظر فيلون «الكمال» هو معيار الصفة والقيمة ونتيجة صورة الله . الكامل المطهر
-
- (١٣) Legum allegoriae III, 79-82.
- (١٤) De fuga et inventione 109.
- (١٥) حاشية ١٢ ، ص ٦٧.
- (١٦) Legum allegoriae 1,10; De Specialius 1,63 Teleiōsis.

من الاهواء يغتذى من اللوغوس ويصل إلى الكمال الذي يقوم بأن يكون الانسان باراً ومرضياً لله. أما في عب فالكمال هو كمال المسيح عظيم الكهنة. وهو يمنح الكمال للبشر. الثانية هي الثبات^(١٧). عند فيلون الثبات هو الصفة الأولى للشريعة الموسوية، الشريعة الكاملة وحدها. في عب الثبات هو صفة العهد الجديد.

• استعملت عب موضوع اللوغوس المهم جداً عند فيلون. ولكن شميّلتها تلفت النظر بجذتها. كل وجهة المسيح السوتيريولوجية غائبة من اللوغوس الفيلوني. ووجهة اللوغوس الخاضع عند فيلون، لا نجدها في عب بالنسبة إلى الحديث عن المسيح . والتأكيد على أن المسيح هو كاهن ليس نقلأً عن فيلون. ولكن نظنّ أن فكرة عب حول «الكمال» الشخصي للمسيح كعظيم كهنة، وفي دوره ك وسيط ، قد اغتنمت باتصالها بالفكرة الفيلونية حول صفات يتبادلها اللوغوس وعظيم الكهنة .

Quis onmis probus, 37. Contra Flaccum, 20 Bebaiōsis. (١٧)

الفصل السادس عشر

الكهنوت في التراجم وأدب الرابيين

الترجم (جمع تراجم) هو نقل للكتاب المقدس إلى اللغة الأرامية، ولكنه ليس بالنقل الدقيق. فهو يزيد أو ينقص، يلغى أو يتسع. بحيث يصبح النص «عظة» قريبة من النص الأصلي على شكل توسيع وإسهام^(١). والرابيون هم المعلمون (رابي) اليهود الذين تركوا معارفهم في المنشاة والتلمود.

١ - التراجم

لا دراسة إجمالية عن الكهنوت في التراجم. لهذا نكتفي بترجموم البتاتوكس أو الأسفار الخمسة.

أ - مكانة الكهنوت

نلاحظ أولاً أن الترجم يخصّص الألفاظ ليميز بين المقدس والدنيوي. فيترجم «الوهيم» «بالأصنام» كل مرّة تكون أمام الآلهة الكاذبة (ق دا ١٢:٣ حسب السبعينية). مع أن «الوهيم» يدلّ على الله. إن لفظتي «م د ب ح» و«ك ه ن»

(١) نذكر ترجموم نيوفيتي. سمّي كذلك لأنّه وُجد في «دير» يتقدّم المعمّدين الجديد (نيوفيتى) وهناك ترجموم يوناتان.

تدلّان على مذبح الله الحقيقي وكاهنه. ويستعمل الترجمون ألفاظاً أخرى للحديث عن الكهنة الوثنين وشعائر العبادة في الوثنية. فكاهن الآلهة الكاذبة هو دوماً «كومرا» لا «ك ه ن» (ترج تك ٤٧: ٢٢ نيوفيتي ويوناتان)، وإن حصل له أن يلعب دوراً إيجابياً كما هو الأمر في خبر يوناتان (ترج تك ٣٩: ٢٠ يوناتان).

إن الترجمون يعتبر الكهنوت اعتباراً كبيراً. ففي مباركة يعقوب للأسباط، يُسمى بنiamين «قبيلة قوية» لأن «على أرضه سيبني الهيكل وعلى ميراثه يقيم مجد سكن (شكينه، حضور) يهوه» (ترج تك ٤٩: ٢٧ نيوفيتي). وتذكر بعد ذلك تقدمة الحمل الدائمة التي يقوم بها الكهنة مع «المنحة». في مواضع عديدة من الترجم، يستعمل موضوع الكهنوت ليصف إسرائيل: « تكونون أمامي ملوكاً تعمرون التاج وكهنة خداماً وشعباً مقدساً» (ترج خر ١٩: ٦ يوناتان). وفي مواضع أخرى نجد تشديداً على «النبي الكاهن». قال يهوه ليعقوب: «آمن وتكاثر. أمة مقدسة وجماعة أنبياء وكهنة يأتون من أبناء ولدتهم. ثم يخرج منك ملكان» (ترج تك ١١: ٣٥ يوناتان).

يتحدث الترجمون مراراً عن عظيم الكهنة حين لا يتكلّم النصّ الببلي إلا عن الكاهن. في لا ١٤: ١٦ قال يوناتان المزعوم: «عظيم الكهنة يأخذ من دم العجل إلى خيمة الاجتماع». أما نيوفيتي فتحدث فقط عن الكاهن. ونجد الظاهرة عينها في ترج لا ١٥: ٦. في خر ١٤: ٢١ سمحت الشريعة بأخذ القاتل ولو التجأ إلى المذبح. فأضاف يوناتان المزعوم: «حتى لو كان كاهناً يخدم مذبحي». وقال نيوفيتي: «حتى لو كان عظيم كهنة يقف على خدمة مذبحي».

ب - الوجوه الكبرى

بما أننا نتحدث عن الكهنوت، هناك أشخاص عديدون يستحقون اهتماماً خاصاً: لاوي، موسى، هارون، ملكيصادق، فتحاس.

أولاً : لاوي

عند عبور سيل يبوق، أوقف يعقوب ملاك^٩ لأنه لم يدفع عشر كل شيء كما

وعد. عندئذ عَدَ أَبْنَاءَهُ بِدَءًا بِشَمْعُونَ. فَكَانَ الْعَاشِرُ لَاوِي الَّذِي صَارَ هَكُذا «حَصَّةُ سَيِّدِ الْكَوْنِ» (تَرَجَ تَك٢٥:٣٢، يُونَاتَان). اشْتَرَكَ لَاوِي مَعَ شَمْعُونَ، فَأَعْمَلَا السَّيْفَ بِأَهْلِ شَكِيمَ. وَبَرَرَ الرِّجَالُانِ عَمَلَيْهِمَا الشَّنِيعَ أَمَامَ وَالدَّهَمَا فَقَالَا: «مَا كَانَ يَلِيقُ أَنْ يَقُولَ فِي مَجَامِعِهِمْ وَمَدَارِسِهِمْ: نَجْسُ الْلَّامِخُوتُونَ عَذَارِيُّ، وَالْمُشَرَّكُونَ بَنْتُ يَعْقُوبَ». بَلْ يَلِيقُ أَنْ يَقُولَ فِي مَجَامِعِ إِسْرَائِيلِ وَبَيْوَاتِ الدِّرْسِ فِيهِ: قُتُلَ لَامِخُوتُونَ بِسَبِّ عَذَرَاءَ، وَمُشَرَّكُونَ لِأَنَّهُمْ دَنَسُوا دِينَةَ، بَنْتُ يَعْقُوبَ» (تَرَجَ تَك٣٤:٣١ نِيُوفِيتِي). إِذْنَ بَدَا لَاوِي شَخْصًا عَنِيفًا، اهْتَمَ بِسَلَامَةِ أَخْتِهِ. وَسَيُظْهِرُ بَعْضُ الْمَرَّاتِ عَنْفَهُ بِدُونِ سَبِّ. شَمْعُونَ وَلَاوِي «أَخْوَانُ فِي الْمُؤَامِرَةِ» وَقَدْ عَرَضَا أَنْ يَقْتَلَا يُوسُفَ أَخَاهُمَا (تَرَجَ تَك٣٧:١٩ يُونَاتَان).

حِينَ بَارَكَ يَعْقُوبَ أَبْنَاءَهُ، كَانَتْ خَطِيئَةُ رَأْوَيْنِ السَّبِّ الَّذِي لَأَجْلِهِ أُعْطِيَ الْكَهْنَوَتُ لِقَبِيلَةِ لَاوِي. حُفِظَتْ ثَلَاثَ حَصْصَ لِرَأْوَيْنِ: الْبَكُورِيَّةُ وَالْمُلْكَيَّةُ وَالْكَهْنَوَتُ. عَادَتِ الْبَكُورِيَّةُ إِلَى يُوسُفَ، وَالْمُلْكَيَّةُ إِلَى يَهُوَذَا، وَإِلَى لَاوِي الْكَهْنَوَتِ الْأَعْظَمِ (تَرَجَ تَك٤٣:٤٩، يُونَاتَان٢٤ يِنِيُوفِيتِي). رَجَ أَيْضًا حَوْلَ خَطِيئَةِ رَأْوَيْنِ أَخْ١٥ وَتَرَجَ تَث٣٣:١٧ يُونَاتَان). تَذَكَّرَ يَعْقُوبُ مَقْتُلَ أَهْلِ شَكِيمَ، فَعُرِفَ أَنَّ لَا مَلْكَ وَلَا أَمْرَ يَقْفَ أَمَامَ شَمْعُونَ وَلَاوِي. إِذْنَ افْصَلَا. وَتَشَتَّتَ قَبِيلَةُ لَاوِي وَسَطَ جَمِيعِ قَبَائِلِ إِسْرَائِيلِ (تَرَجَ تَك٤٩:٨-٥ يُونَاتَان٢٩). فَالْتَّرْجُومُ الَّذِي أَخْذَ حَذْرَهُ مِنْ عَنْفِ لَاوِي، قَبْلًا مَعَ ذَلِكَ عَنْفَ الْمَسِيحِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِ يَهُوَذَا وَيُقْتَلُ الْمُلُوكُ وَالْأَمْرَاءِ (تَرَجَ تَك٤٩:٨-١٢، يِنِيُوفِيتِي وَيُونَاتَان). فَرَأَيَ الْكِتَابُ مَعْلَمَ الْشَّرِيعَةِ نَفْوَهُمْ فِي هَذَا الْجَوَّ: «لَا يَنْقُصُ مُلُوكُ وَأَمْرَاءُ فِي بَيْتِ يَهُوَذَا، وَلَا كِتَابُ مَعْلَمَ الْشَّرِيعَةِ مِنْ نَسْلِهِ إِلَى أَنْ يَأْتِي الْمَلَكُ الْمَسِيحُ» (تَرَجَ تَك٤٩:١٠ يُونَاتَان).

وَبَارَكَ مُوسَى بِدُورِهِ الْقَبَائِلِ. وَحَسْبَ نَصَّ تَثِ، جَاءَتْ مَبَارَكَةُ لَاوِي مُوسَعَةً أَكْثَرَ مِنْ مَبَارَكَةِ يَهُوَذَا. لِهَذَا جَاءَ تَث١١-٣٣ فِي تَرْجُومَ يُونَاتَانِ الْمَزْعُومِ كَمَا يَلِي: «هُمْ (أَيُّ مِنْ قَبِيلَةِ لَاوِي) يَكُونُونَ مُؤْهَلِينَ لِيَعْلَمُوا فَرَائِضَكُ لِلَّذِينَ مِنْ بَيْتِ يَهُوَذَا، وَشَرِيعَتَكُ لِلَّذِينَ مِنْ بَيْتِ إِسْرَائِيلِ. إِخْوَتِهِمُ الْكَهْنَةُ يَجْعَلُونَ الْبَخُورَ الْمَعْطَرَ فِي الْمَبَارِخِ لِيَضْعُوا حَدًّا لِلْلَّوَبَاءِ، فِي يَوْمِ غَضْبِكُ، بِشَكْلِ تَقْدِيمَةِ كَامِلةٍ

ومرضية فوق مذبحك. فبارك يا رب خيرات بيت لاوي الذين يعطون عشر العشر، واقبل برضاك تقدمة إيليا الكاهن، التي قدمها على جبل الكرمل. حطم حقوي آخاب خصمه، ورقة الأنبياء الكاذبة الذين وقفوا في وجهه، فلا يبقى لأعداء يوحنا^(٢)، الكاهن الأعظم، رجل يقرون عليها».

إن التأويل الذي نكتشفه في هذا الترجموم يجمع إيليا، مثال النبي الحقيقى الذى يعارض المعلمين الكاذبة، مع يوحنا هركانس الذى أبغضه أعداؤه (الفرسيون). هذارأى. وهناك رأى آخر يقول إننا لسنا أمام معارضة بين هركانس والفرسيين، بل أمام صراع ضد اليونان ساعة لعب هركانس دوراً مميزاً.

عاش لاوي ١٣٧ سنة، أي حسب ترج خر ٦:١٦ (يوناتان) «ما يكفي ليروى موسى وهارون، محري إسرائيل». أظهر أبناء لاوي غيره جديرة بغيرة أبيهم. فلاحقوا الذين من بنى إسرائيل أرادوا العودة إلى مصر بعد القتال مع عماليق، وقتلواهم (ترج تث ١٠:٦ يوناتان). وفي حادثة العجل الذهبى، وقفوا بجانب موسى وقتلوا ثلاثة آلاف من المشركين (ترج خر ٣٢:٢٧-٢٨ نيفيتي ويوناتان). ويدرك يوناتان المزعوم هذه الغيرة مرة ثانية في تث ٨:٩: «وضع يهوه جانب قبيلة لاوي لأنهم دلوا على غيرة من أجل اسمه، قادتهم إلى الموت من أجل مجده) لتحمل تابتوت عهد الرب، لتقف في حضرة الرب، لخدمته وتبارك اسمه إلى هذا اليوم. لهذا لم يكن لقبيلة لاوي حصة ولا ميراث مع إخوتهם: فالعطايا التي يمنحها لها يهوه هي ميراثها». وحول الأربع وعشرين عطية لبني لاوي، رج ترج لا ٢:١٣ (يوناتان)؛ رج تث ١٨:٢ (يوناتان). وما يعود إلى الكهنة، رج ترج لا ٧:٣٥-٣٢ (يوناتان)؛ ترج عد ١٥:٢٠-١٣ (يوناتان).

ثانياً: موسى وهارون

بين الأكاليل الأربع التي كرم بها موسى، هناك إكليل الكهنوت «الذى كان له طوال سبعة أيام تنصيب الكهنة» (ترج تث ٣٤:٥، يوناتان؛ ترج لا ٩:١، يوناتان). فأبناء هارون الكهنة يُدعون «تلاميد موسى الذين دعوا بالنظر إلى اسمه،

(٢) يوحنا هو يوحنا هركانس

في اليوم الذي فيه مُسحوا لكي يتولوا الخدمة» (ترج عد ٣: ٣، يوناتان). وبجانب موسى نجد هارون «مترجمه» (ترجم خر ٤: ١٦، نيوفيتي، ويوناتان). هو كموسى وكمريم «رئيس أمين» (تك ٤٠: ١٢ نيوفيتي) وراع أمين (ترجم تك ٤٠: ١٢، يوناتان). يعيّن موسى مع أبنائه والشيخ لكي يقضى في الشعب (ترجم خر ١٨: ١٨، يوناتان). وقد توسيع في تكريسه وتنصيبيه ترج لا ٨ (يوناتان)؛ رج ترج خر ٢٨، ٢٨ (يوناتان). وقد توسيع في تكريسه وتنصيبيه ترج لا ٨ (يوناتان)؛ رج ترج خر ١٩ حول ملابس هارون وأبنائه؛ رج ترج خر ١٩ حول تكريسمهم.

وواجه الترجم مشكلة مع حادثة العجل الذهبي. كان اتجاهه العام بأن يخفّف من مسؤولية هارون. إن ترج خر ٥: ٣٢ (يوناتان) و ٢٤-٢٢: ٣٢ (يوناتان) يقدم بعض أذعار أوردها شقيق موسى. يقول ترج خر ٢٥: ٣٢ (نيوفيت) بوضوح: «لأنهم لم يسمعوا كلام هارون، خلقوا لهم اسمًا سيئًا لأجيال الأجيال». وتذكر حادثة العجل الذهبي أيضًا في ترج لا ٨: ٣ (يوناتان) ساعة التنصيب والتكريس. فهارون وبنوه يُغتسلون بالماء (آ ٦) ويلبسون (آ ٨ ي)، وموسى يذبح عجل ذبيحة خطيبتهم (= هارون وأبنائه) (آ ١٤). بعد ذلك، لا يحقّ لابليس أن يفتري على هارون بسبب العجل الذهبي (ترجم ٩: ٢، يوناتان). بل هو يخاف، لأن قرون المذبح تذكرة بتمثال العجل (آ ٧، يوناتان). ومع ذلك سوف يكفر (آ ٨-٢٤، نيو菲تي ويوناتان). هارون الرجل «التقي» (ترجم ث ٦: ١٠، ٨: ٣٣ يوناتان) هو في الواقع انسان «امتحنه الله فثبت أمام المحنة» (ترجم ث ٦: ٣٣ نيوفيتي). وسيجد نفسه كاملاً بعد التجربة (ترجم ث ٨: ٣٣، يوناتان). في ساعة موته قيل أنه: «الرجل التقى الذي لأجل استحقاقاته أحاط غمام المجد بـ إسرائيل» (ترجم عد ٢١: ١، نيوفيتي). وساعة مات، اختفى عمود الغمام (ترجم ث ٦: ١٠، يوناتان). فأعلن موسى أنه (= هارون) «عمود صلاة إسرائيل»^(٣) (ترجم عد ٢٠: ٢٩، يوناتان). انتقل الكهنوت الأعظم إلى أبنائه الأربع، ناداب، أبيهور، العازر، إيتamar (ترجم عد ٣: ١، نيوفيتي). وعند موته مارس رئاسة الكهنوت ابنه العازر الذي ارتدى ملابسه (ترجم ث ١٠: ٦ نيوفيتي).

R. LE DEAUT, «Aspects de l'intercession dans le judaïsme ancien», (٣)
Journal for the Study of Judaism 1 (1970) p. 47.

ج - ملكيصادق

يتماهى ملكيصادق في الترجمة مع سام (ترج تك ١٨:١٤، نيوفيتي ويوناتان). تميز التقليد الشعبي بإعطاء اسم لمن لا اسم له في الكتاب المقدس، وبمماثلة شخص بشخص (سام = ملكيصادق؛ لابان = بيلعام؛ يوباب = أیوب) أو حتى الخلط بين اسم وآخر. وبعد أن تماهى ملكيصادق مع «سام الكبير» قيل أنه «ملك أورشليم» الذي «يمارس الكهنوت الأعظم أمام الله العلي» (ترج تك ٨:١٤، نيوفيتي).

د - فنحاس

إن عدد ٢٥، هو مناسبة لتوسيعات طويلة من قبل يوناتان المزعوم. يعدد الشيء عشرة معجزة رافقت عمل فنحاس «ضد الاسرائيلي والمدياني» (ترج عد ٨:٢٥، يوناتان). ويفسر العهد مع فنحاس كما يلي: «ها أنا أقطع معه عهد سلام فأجعله ملاك العهد ويحيا إلى الأبد ليعلن الفداء في نهاية الأيام». وبما أنهم أهانوه قائلين: «أما هو ابن فوتى المدياني؟» فها أنا أرفعه إلى كرامة رئاسة الكهنوت. وبما أنه أمسك الحرية بيده وضرب المدياني في بطنه، في الأعضاء التناسلية، وصلّى بفمه من أجل شعب بيت اسرائيل، ينال الكهنة عطاياً ثلاثة: الكتف والفك والكرش» (٢٥:١٢-١٣).

جعل ترجمة نيوفيتي وترجمة يوناتان المزعوم من فنحاس كاهناً أعظم. وشدّداً أيضاً على غيرته. وسوف نراه ينطلق مع كالب بأمر موسى ليجسّ مكبار: «احتلاًّ قراها وأفنيا الأموريين الذين فيها» (ترج عد ٣٢:٢١، يوناتان). وطار في الهواء ليتحقق بيلعام الذي استعمل هذه الحيلة ليهرب، وقتلته (ترج عد ٨:٣١، يوناتان). إذن، هو مثال الكاهن الغيور كما يقول ترج عد ٢٥:١١ (يوناتان).

٢ - الأدب الرايبيني

يتحدث الأدب الرايبيني مراراً عن الكهنوت وعظماء الكهنة والكهنة

واللاويين. وتشكلّ المائة^(٤) وتوسفتا^(٥) ويوسيفوس ينبع معرفة الكهنة قبل سقوط أورشليم سنة ٧٠ بـ م دمار الهيكل.

يتحدث الأدب الرايني ماراً عن عظيم الكهنة. فالمقال «يوما» في المائة، يعود إليه ماراً بسبب الدور الذي يلعبه في يوم التكfir. وهناك مقالات عديدة تهمّ بحقوقه وواجباته. المائة، سنهررين ٢:١، تلمود أورشليم سنهررين ٢٠؛ توسفتا، سنهررين ٣٤:١. إن مقال ييموت يتساءل عن النساء اللواتي يستطيع أن يتزوجهن عظيم الكهنة (المائة، ييموت ٦:٣-٤؛ ٧:١؛ توسفتا، ييموت ٧:٣). وتُعرض شروط ارتباطه بالموتى (المائة، نزير ٧:١). وأخيراً هو يدين ولا يُدان (المائة، سنهررين ٢:١).

من المسائل المعلقة مسألة موقع عظيم الكهنة. من المعلوم أنه يحتلّ مكانة مرموقة. ولكن مال النصّ بعض المرات إلى المبالغة بحقوقه. إذن، تذكر أن إقامته تتم برأي محكمة الواحد والسبعين (توسفتا، سنهررين ٣:٤). لاشكّ في أنه في خدمة التوراة التي هي أرفع منه: «دراسة التوراة أعظم من الكهنوت والملك: نصل إلى الملك بعشرين درجة، وإلى الكهنوت بأربع وعشرين درجة، والتوراة بثمان وأربعين هي الدرس، الاصغاء بالاذن...» (المائة، أبوت ٧:٥). ويتظرون من الكاهن الأعظم أن يعرف قراءة التوراة وتفسيرها (هذا لم يكن الوضع دائمًا): «إذا كان عظيم الكهنة حكيمًا، يعرض (الكتب المقدسة). وإن عرضها أمامه تلاميذه الحكماء. إن كان متضلّعاً من الكتب المقدسة يقرأ، وإن يقرأونها أمامه» (المائة، يوما ١:٦).

في المبدأ، كان عظيم الكهنة أسمى من جميع الكهنة (تلמוד أورشليم، يوما ٣٩:أ). وفي العادة، يتفوق على إخوته بالجمال والقوة والغني والحكمة والمظهر (توسفتا، يوما ١:٦). ولكن احتفظ الناس بذكري مريءة ومخيبة لتدخلات السياسة في تسمية عظماء الكهنة، بحيث يفقدون شرعيتهم. «منذ تكاثر الملوك، قرروا أن

(٤) الشريعة الشفهية في كل وجوبها.

(٥) مجموعة تعاليم تكمّل ما في المائة.

يجعلوا من الكهنة البسطاء، عظماء كهنة، ويبذلواهم كل سنة» (توفستا، يوماً ١٧). وتذكر المدارش جرائم اقترفها بعض عظماء الكهنة: نعرف أنه خرج من فنحاس في زمن الهيكل الأول ١٨ عظيم كهنة، وفي زمن الهيكل الأخير ٨٠ كاهناً: «فبما أنهم كانوا يشترون هذه الكرامة بالدم، صارت أيامهم قصيرة» (سفره على عد ٢٥-١٣، المقطع ١٣١). وتحدث تلمود أورشليم (يوما ٣٨ ج) عن عظماء الكهنة الذين اشتروا وظيفتهم بالمال.

إن العائلات الكبرى الأربع، بوئيتوس، حنان، كتيراس، فيابي، لم تترك ندماً لأنها زالت. نشير إلى رثاء أبا شاول (عاش في أورشليم قبل سنة ٧٠) باسم أبي يوسف بن حنين: «ويل لي بسبب بيت بوئيتوس، ويل لي بسبب عصيّهم! ويل لي بسبب بيت حنين (حنان). ويل لي بسبب مؤامرتهم الشريرة! ويل لي بسبب بيت كاتروس (كتيراس). ويل لي بسبب قلمهم! ويل لي بسبب بيت يشمايل بن فيابي، ويل لي بسبب قبضة أيديهم! كانوا عظماء الكهنة. وكان أبناؤهم حافظي الخزانة، واصهرتهم المدربين، وكان خدمهم يضربون الشعب بالعصي» (تلמוד بابل فصحيم ٥٧أ). ونجد نصاً مماثلاً في توفستا منحوت ١٣: ٢١ التي تزيد عائلة أليشاً.

كانت المقاومة عنيفة بين الارستوغرافية الكهنوتية حيث يؤخذ عظماء الكهنة، والكهنة العامة الذين ما كانوا يصدقون بشرعية هؤلاء الرؤساء. وقد احتفظ التلمود بصدى لهذا الصراع بمناسبة النعال: «علمنا معلّمونا: في الماضي كان يضعون جلد حيوانات الذبائح في قاعة الفروة. وفي المساء، كانوا يقتسمونها بين رجال الفرقة الذين خدموا في ذاك النهار. ولكن أصحاب الأذرع القوية كانوا يأخذون أكثر مما يحق لهم. فقرروا بأن تكون القسمة ليلة كل سبت، ساعة يكون «حراس» الأسبوع حاضرين، وينالون حصصهم معاً. وهذا لم يمنع «العظم» بين الكهنة من أن يأخذوا بالقوة. عند ذاك بادر المالكون (حسب راشي: الكهنة. حسب آخرين: مقدمو الذبائح) إلى تكريسها «للسماء» (تلמוד بابل، فصحيم ٥٧أ). إن سياسة التخويف هذه التي قامت بها عائلات عظماء الكهنة، قد أكدها يوسيفوس، فروي في العاديات أن خدام رئيس الكهنة سرقوا العشر المتوجّب للkehنة عن بيادر الفلاحين (٢٠٦، ١٨١).

وتحدّث المؤرّخون عن الخلافات بين رؤساء الكهنة الصادوقين والمسؤولين الفريسيين. نقرأ في برايتا^(٦) من تلمود بابل (يوماً ٧١ أب) عن مواجهة بين عظيم كهنة من جهة، وشمعيا وأبطاليون من جهة ثانية. اختلف يوحانان بن زكاي عن سمعان ابن جملائيل الأول الذي كان من أجل التقارب، فكان مناوئاً كل المناوئة للصادوقين. ويررون أن هذا العداء كان السبب في توقف شعائر العبادة مع سقوط الهيكل. كان من الممكن أن تتواصل تلك الشعائر كما حدث بعد دمار الهيكل الأول سنة ٥٨٧ ، وقبل بناء الهيكل الثاني .

(٦) برانية. كل تعليم لانجده في المشناة، بل في خارجها.

القسم الرابع
الكهنوت
في
العهد الجديد

يتضمن هذا القسم الفصول التالية :

- ١ - الكهنوت في الاناجيل وأعمال الرسل
- ٢ - المسيح حبر أمين ورحيم
- ٣ - عظمة كهنوت المسيح وذبيحته
- ٤ - المشاركة في كهنوت المسيح .

الفصل السابع عشر

الكهنوت في الاناجيل وأعمال الرسل

نترك الرسالة إلى العبرانيين من أجل فصلين لاحقين. ونتوقف هنا أولاً عند الكهنوت اليهودي في الأناجيل وأعمال الرسل. ثم عند كهنوت المسيح.

١ - الكهنوت اليهودي في الأناجيل وأعمال الرسل

أ - الكهنة

نجد لفظة كاهن^(١) عشر مرات في الأناجيل الإزائية، مرة واحدة في يو، وثلاث مرات في أع، بينما مرة واحدة يتحدث فيها ١٤:٩ عن كهنة زوش.

أولاً : في أخبار الطفولة

لا تظهر اللفظة أبداً عند متى. ولكننا نجدها في لو ١:٥: «كان في زمن هيرودس، ملك اليهودية، كاهن اسمه زكريا، من فرقة أبيا». هذه الفرقة هي الثامنة بين الفرق الأربع وعشرين المذكورة في آخ ٢٤ (رج آ ١٠). إن المقطع الانجيلي (لو ٢٥:٥) الذي يتحدث عن زكريا مملوء بكلمات خاصة بطقس التقدمة اليومية التي يقربها الكهنة في الهيكل. هناك «الكاهن»، «وظيفة الكاهن»،

Hiereus. (١)

«مارس وظيفة الكاهن» «المعبد». «أحرق البخور»، «تقدمة البخور»، «المذبح»^(٢). ونلاحظ أيضاً أن اليصيات انتمت إلى نسل هارون. وهكذا تكون أمام عائلة متجلّرة في السلالة الكهنوّية. هذا الواقع مهمٌ في نظر لوقا الذي يجعل خبره كله في مناخ من التقوى والعبادة.

نستطيع أن نعنون لو ١:٥-٥، إعلان ولادة يوحنا وبداية التتمّة. هذا التشديد على التتمّة يتيح لنا أن نلاحظ أمرين في ما كتبه لوقا. الأول هو أن لوقا لا يعتقد المؤسسة الكهنوّية. فخلال القيام بشعيرة عاديّة، حصل الظهور الإلهيّ. الثاني، هو أنه بعد هذه المقطوعة لن يذكر لوقا الكهنة، مع أنه كان بالامكان ذكرهم بمناسبة تقديم يسوع إلى الهيكل (لو ٢:٢٤؛ رج ٢:٨؛ عد ٦:١٠) أو حادثة يسوع مع المعلّمين في الهيكل (لو ٢:٤٦). يتحدث عن المعلّمين لا عن الكهنة). فلوقا لا يهتمّ في الدرجة الأولى بأن يصور بالدقة المطلوبة سير عمل المنظمات وشعائر العبادة في العالم اليهوديّ. في ف ٤، أرانا مسيرة الليتورجيا في المجمع، ولكنه لم يذكر قراءة الشريعة (آ١٦ ي). إن امتحان الكهنة في أخبار الطفولة بعد المقطوعة المكرّسة لزكريا، تتبع للاحجيّ أن يقود خبره المركّز على يسوع خارجدائرة الكهنوّية حيث بدأ. وقد لاحظ الشرّاح التعارض بين نطاق العبادة مع الهيكل ولি�تورجيّته التي دخلت فيها البشرة بمولد يوحنا، ونطاق خاص وفرديّ مع بشارّة مريم في قرية منسية.

ثانيًا : في سائر الانجيل

في النصوص المشتركة بين الإيزائيين، هناك نصّان يتعلّقان بالكهنة: مر ٤:٤٤ وز ٢:٢٦ وز. إن مر ١:٤٤ (= مت ٤:٨ = لو ٥:٤) يقع في مقطوعة تطهير الأبرص الذي أرسله يسوع إلى الكاهن ليلاحظ طهارة هذا المريض ويرده إلى الحياة في المجتمع (لا ١٤:٢-٣). أشار الشرّاح إلى عمل يسوع ودوره

(٢) إيليكها في اليونانية Hiereus, Hierateia, hierateuein, naos, thymizein, thymiana, thyasiastérion, Voir A. VANHOYE, Prêtres anciens.prêtre nouveau selon

المزدوج: من جهة، خضع لضرورة تأكّد الكهنة من شفاء هذا المريض بحسب طلب الشريعة. ومن جهة ثانية، تجاوز الشريعة حين لمس الأبرص. في الوقت عينه قال: «يكون لهم شهادة». تدهشنا صيغة الجمع (هم)، لأن «الكافن» في النصوص الثلاثة هو في صيغة المفرد. فيسوع يتطلع من خلال الكاهن إما إلى السلطات الدينية بشكل عام، وإما إلى الشعب. أجل هذا الأبرص سيحمل البشاره إلى الكهنة الذين لن تكون لهم مناسبة ليسمعوا يسوع ويفهموا أنهم أمام آية مسيحانية (شفاء البرص).

هناك مقطع في لو ١٧: ١١-١٩ قريب مما وجدنا في الأنجليل الإزائية. ترينا المقطوعة عشرة برص جاؤوا إلى يسوع. فأرسلهم إلى «الكهنة» ليروا أنفسهم أنهم شفوا (آ ١٤). في هذا النص لا يلمس يسوع البرص، بل يشفيهم من بعيد، فيراعي قواعد الطهارة مرسلًا الرجال العشرة ليُروا نفوسهم للكهنة. ولكن الشكر يتم في الهيكل حيث حضور الله. أما الذي شُفي وعاد إلى يسوع، فقد أعطى مناسبة ليسوع ليقول: «أما كان فيهم من يرجع لمجد الله سوى هذا الغريب» (آ ١٨)؟ أجل صار يسوع الهيكل الجديد.

ولمحّ مر ٢: ٢٦ (= مت ١٢: ٤؛ لو ٦: ٣) إلى حدث من ١ صم ٢١: ٢ = ٢: ٧ حيث نرى احيمالك، كاهن معبد نوب، يعطي داود من خبز التقدمة (الخبز المكرّس). تفرد مرقس فذكر اسم الكاهن: أبياتر بدل احيمالك كما في التوراة (رج ٨: ٨ صم ١٧: ٨ حيث نقرأ احيمالك بن ابياتر). توخّى الحدث أن يبيّن القيمة النسبية لما يحرّم هنا، ويربط هذه النسبة بسيادة ابن الإنسان على السبت (مر ٢: ٢٨ = مت ١٢: ٨ = لو ٦: ٥). وزاد مت على ذلك اعتباراً حول ممارسة الكهنة في الهيكل في يوم السبت (١٢: ٥؛ رج لا ٢٤: ٥-٩؛ عد ٩: ٢٨؛ ١٠-١١): «الكهنة يتتهكّون حرمة السبت في الهيكل ولا لوم عليهم». إن المثل الذي أخذه يسوع يقع في قلب مقدّسات الهيكل^(٣)، ومع الكهنة الذين يتتهكّون بطريقة

(٣) الهيكل hieron الكهنة

شرعية، وصيّة تُعتبر مطلقة. ويدلّ مت ١٢:٦ أن هناك موضعًا أهمًّ من الهيكل: نشاط المسيح أو يسوع نفسه. وهكذا تكون أمام «موضعين»، حيث الموضع الثاني (يسوع) هو اسمى من الموضع الأول (الهيكل). والتجاوز الشرعي للسبت في الموضع الاول يؤكد شرعية تجاوز السبت في الموضع الثاني: ما أخطأ الكهنة آ٥). إذن، ما أخطأ التلاميذ آ٨). والإيراد من هو ٦:٦ يحافظ على النصّ في إطاره العبادي مع ذكر الذبيحة آ٧). وفي الوقت عينه يحافظ على المستويين اللذين عندهما يتحدّد على التوالي موقع الذبيحة وموقع الرحمة. الرحمة هي موضوع إرادة الله، لا الذبيحة.

ونجد ذكرًا لכהن في مثل السامرِي الصالح كما نقرأه في لو ١٠:٣٠-٢٧. ما أراد الکاهن أن يصير قريباً من الجريح بسبب اهتمامات الطهارة الطقسية (لا ٢١-٢٤). لا يقول النص شيئاً عن موقف الكاهن، ولا عن موقف اللاوي الذي ظلّ هو أيضاً بعيداً عن الجريح آ٣١-٣٢). وهكذا بدا الکاهن واللاوي وجهين «قيحين»، فهماً الطريق لتصريف السامرِي.

في يو، ترد مرتّبَة واحدة لفظة «کاهن». وهي ترد مع لفظة «اللاويين». نحن في بداية شهادة يوحنا المعمدان: أرسل اليهود إليه «كهنة ولاويين» ليسألهو (١٩:١). إن اعلان المعمدان حول هويته، يتمّ أمام وفد رسمي أرسل من أورشليم. ويحدد في الوقت عينه دورُ السابق بالنسبة إلى «ذلك الذي لا تعرفونه» آ٢٦). وهكذا تكون أمام شهادة ليسوع ويوحنا منذ البداية تقدّم للكهنة واللاويين الذين أرسلهم يهود أورشليم.

ثالثاً : في أعمال الرسل

يستعمل أعنّى ثلث مرات لفظة «کاهن». في ٤:١، يجد بطرس ويوحنا نفسيهما أمام الكهنة ورئيس حرس الهيكل والصادوقين. هناك مخطوطات تقول: «الكهنة». «وآخرى» «رؤساء الكهنة». في أعنّى ٧:٦ نقرأ إجمالة حول نموّ كلمة الله، تدلّ على أن عدد التلاميذ يتکاثر جداً في أورشليم، وتضييف: «واستجاب (خضع) للامان كثير من الكهنة». نحن هنا أمام عبارة بولسية (رج روم ١:٥؛

(٢٦:١٦). من كان هؤلاء الكهنة الكثيرون الذين يرتدون إلى الإيمان الجديد؟ هناك من تحدث عن الكهنة الاسيانين، ولكن البرهان ظلّ ضعيفاً. كان عدد الكهنة كبيراً في أورشليم، ليعلن لوقا بنبرة احتفالية، انتقال الكهنة إلى الإيمان المسيحي.

٢ - عظماء الكهنة

ترد عبارة «عظماء الكهنة»^(٤) ٨٣ مرة في الأناجيل الاربعة، و٦٢ مرة في الأناجيل الازائية.

أولاً : في الأناجيل الازائية

أول مرّة يُذكر عظماء الكهنة هو الانباء الاول بالآلام، وهذا أمر له معناه. نقرأ في مت ٢١:١٦: «يجب عليه (= ابن الانسان) أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً على أيدي شيوخ الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة» (رج مر ٣١:٨؛ لو ٢٢:٩). وهكذا تحدّد المناخ. فعظماء الكهنة في الأناجيل الازائية، هم جزء من الذين يرفضون يسوع ويلعبون دوراً رئيسياً في الحكم عليه. وإذا كان خصوم يسوع الفريسيين يخلّ حياته العلنية، فالامور تتبدل وقت المحاكمة: رؤساء الكهنة هم الذين يأخذون المشعل^(٥). إن المتهمين الأولين ليسوع هم عظماء الكهنة، وحدهم (مر ١٥:٣-١١) أو مع خدامهم (يو ١٩:٦). ولكن عمّ التقليد فذكر شيخ الشعب (مت ٢٧:١٢-٢٠) والسندررين أو المحكمة العليا (لو ٢٢:٦٦) والرؤساء (لو ٢٣:١٣) والشعب (لو ٤:٢٣) وأخيراً «اليهود» عند يوحنا^(٦).

Archiereis (٤)

A. F. KLIJN, «Scribes, Pharisees, High Priests and Elders in the NT» (٥)
NT 3 (1959) p. 259-267.

X. LEON-DUFOUR, Passion, DBS VI 1419-1492. Ici 1467. (٦)

ثانياً : في أعمال الرسل

يُذكر الكهنة قليلاً في أَعْ، وُيذكِر عظماء الكهنة (أو: عظيم الكهنة) بدورهم السُّلبي تجاه الكنيسة. في ٦:٤، جميع أعضاء عائلات عظماء الكهنة هم هنا مع حنان الكاهن الأعظم وقيافا ويوحنا والاسكندر لاستجواب بطرس ويوحنا (رج ٤:١؛ ٤:٢٣). ونعرف في ٤:١٥ أن المحاكمة تكون أمام السنهررين. ويدا رؤساء الكهنة هنا وكأن في يدهم سلطة تخولهم بأن يأخذوا قراراً ضدَّ الاشخاص. وتحدَّث بطرس إلى الجماعة فقال: «يا رؤساء الشعب وأيها الشيوخ»، فدلَّ على السلطة التي يتمتع بها عظماء الكهنة. وأن يحتفظ دوماً بوظيفة الرئيس والمُسؤول. في ١٧:٥، قبض رئيس الكهنة وحاشيته على الرسل. ويحدد الخبر: «حزب الصادوقين» (آ٢١، ٢٤، ٢٧).

في ف ٦، يسأل عظيم الكهنة اسطفانوس، وهو يلعب دور رئيس السنهررين المذكور في آ١٢، ١٥. في ف ٩، أخذ بولس من عظيم الكهنة رسائل إلى مجتمع دمشق (آ٢٢؛ ٥:٢، ١٠:٢٦) ليقبض على المسيحيين هناك. وسيجد بولس نفسه أمام هذه السلطة عينها حين يأمر القائد «رؤساء الكهنة وجميع أعضاء مجلس اليهود أن يجتمعوا» (٣٠:٢٢). وبأمر رئيس الكهنة حنانيا نال بولس صفة (٢:٢٣). ونلاحظ هنا أيضاً أن بولس يتوقف عند صفة «الرئيس»، لا الصفة الكهنوتية عند عظيم الكهنة. وسيتوجه «اليهود» إلى عظماء الكهنة والشيوخ، حين يتأمرون لكي يقتلوا بولس (١٤:٢٣). في ١:٢٤، استكى على بولس عظيم الكهنة حنانيا يرافقه عدد من الشيوخ. وفي قصصية، لاحق عظماء الكهنة والوجهاء بولس مرة أخرى (٥-٢:٢٥).

إذن بدا عظماء الكهنة كالفاعلين الاساسيين الذين يعارضون عمل التلاميذ في خدمة الكلمة. نراهم في دورهم كرؤساء، ولا نراهم أبداً يمارسون دورهم الكهنوتي على المذبح. هذا من جهة. ومن جهة ثانية، الدور الخضر الذي لعبه الكهنة العاديون في أَعْ، يجعلنا نحسَّ أن لوقا ترك جانبًا مؤسَّسة الكهنوت اليهودي. نحن نلاحظ أن التلاميذ يؤمُّون الهيكل (٤٦:٢) للصلوة (٣:١).

ونلاحظ أن بولس يقوم بطقس التطهير مع أناس ، إيفاء لنذر ، ويدهب إلى الهيكل ليعلن «الموعد الذي تنقضي فيه أيام الطهور حتى يقدّم فيه القربان عن كل واحد منهم» (٢١:٢٦؛ ١٨، ١٨). ولكتنا لا نرى التلاميذ يوماً يشاركون في الذبائح.

ثالثاً : إنجيل يوحنا

إن الدور الذي لعبه عظماء الكهنة أو عظيم الكهنة في يوحنا، لا يختلف عمّا في الأزائين. فمسؤوليتهم واضحة في الأحداث التي قادت يسوع إلى الموت. ولكن نشدد على بعض الأمور الخاصة :

- بدأت مداخلتهم باكراً في الخبر. فمنذ ٣٣:٧ نعرف أن «عظماء الكهنة والفرسيين» أرسلوا حرساً ليقبضوا على يسوع . ولكن محاولتهم فشلت (٤٥:٤٦).
- بدا التقارب واضحًا بين عظماء الكهنة والفرسيين أكثر مما في الأزائين. مت ٢١:٤٥؛ ٢٧:٧؛ ٤٥-٣٢:١١؛ ٤٧:١٨؛ ٥٧:٣. ولكن سيختفي الفريسيون بعد ١٨:٣، أي بعد القبض على يسوع ليتركوا المسؤولية على عظماء الكهنة.
- تفرد يوحنا ذكر مثل يسوع أمام حنان (١٨:١٣ ي). في ١٨:١٩-٢٢ تدلّ عبارة عظيم الكهنة على حنان أو ربما على قيافا الذي يسأل يسوع في بيت حميّة. مهما يكن من أمر هذه المسألة الصعبة، فالشخصان «مرتبطان» برئاسة الكهنوت، وقد جعلهما يوحنا بهذه الصفة في خبره. وفيما «الذي كان عظيم كهنة في تلك السنة» (١١:١١؛ ٤٩:١١؛ ٥١:١٨؛ ١٣:١٨) يتميّز في الخبر «بنبوته» التي لم يع أبعادها في ١١:٤٩-٥٣ . فالخبر يُقرأ عند يوحنا على مستويين: إن الإعلان السياسي والواقعي لدى عظيم الكهنة، يتّخذ مدلولاً آخر ويصبح نبوياً، وإمكانية النبوء ترتبط بصفته عظيم كهنة. يلاحظ الشراح أن موهبة النبوءة ارتبطت بوظيفة عظيم الكهنة، بمعزل عن صفات الشخص على المستوى الأدبي .

أ - اشارات عن كهنوت المسيح

أكّدت الرسالة إلى العبرانيين بوضوح كهنوت المسيح. فبحث الشرّاح عن إشارات تدلّ على علاقة يسوع بالكهنوت، في سائر كتابات العهد الجديد. ولكن جاء الحصاد ضعيفاً. قال الاب فانوا^(٧): «لا نستطيع القول إن التقليد الانجيلي يقيم علاقات عديدة بين «سر» يسوع وشعائر العبادة الكهنوتية. أما فوبيه^(٨) فاكتشف أ عملاً كهنوتية عند يسوع: حين بارك الأطفال، وطرد الشياطين، وغفر الخطايا فصالح البشر مع الله. ولقب «قدوس الله» (مر ١: ٢٤؛ رج يو ٦٩: ٦) الذي أعطاه المتشيطن ليسوع، هو لقب كهنوتي، لأن الكهنة كانوا يسمون «مقدسين للرب» (لا ٢١: ٦؛ ٢٣: ٦؛ أخ ٢٥: ٣). ولأن عظيم الكهنة كان يضع على جبينه صفيحة من ذهب حُفر عليها «قداسة يهوه» (حز ٢٨: ٣٦). وطبق يسوع على نفسه مز ١١٠ حيث المسيح هو كاهن وملك معًا حسب رتبة ملكيصادق (مر ١٢: ٣٦-٣٥ وز؛ ١٤: ٦٢ وز). في خبر التجلي، اللون الأبيض لثوب المسيح قوبل باللون الأبيض لعظيم الكهنة، والمجد الذي غطى يسوع يقرب من المجد الذي تشبه التقاليد اليهودية المتأخرة للزينة الكهنوتية والوظيفة التي يقوم بها الكهنة. في لو ٢٤: ٥١، بارك يسوع تلاميذ قبل أن يتركهم ويقصد إلى السماء. هذه المباركة الاحتفالية تذكرنا بمباركة عظيم الكهنة (سي ٥٠: ٢٢) أو ملكيصادق الذي هو صورة المسيح الكاهن حسب عب ٧: ٦، ٧. ويرى عدد من الشرّاح أنه حين تأمّن الطابع الذبائحى للطقس الذي أتمه المسيح في العشاء الأخير، برع الموقف الكهنوتي الذي اتخذه يسوع في تلك المناسبة.

(٧) حاشية ٢، ص ٧٤.

A.FEUILLET, Le sacerdoce du Christ et de ses ministres... Paris 1972 p. (٨) 21-22.

وعاد الاب فوييه إلى الرسائل. في أف ٥:٢: «سيروا في المحبة سيرة المسيح الذي أحبنا وضحيّ بنفسه من أجلنا قرباناً وذبيحة الله طيبة الرائحة». وفي روم ٨:٣٤: «المسيح يسوع هو الذي مات. بل قام، وهو الذي عن يمين الله يشفّع لنا». وهناك موضوع الدخول^(٩) الذي نقرأ عنه في روم ٥:٥-١: «بربنا يسوع المسيح الذي به نلنا أن ندخل إلى هذه النعمة التي نحن مقيمون فيها». رج أف ٢:٤-٨؛ ١٨:٣-٤: «فإن المسيح أيضًا مات مرة من أجل الخطايا هو البار عن الأئمة لكي يدخلنا إلى الله». وفي أغ ٥٦:٧، نرى ابن الإنسان جالسًا عن يمين الله. ويشدد الاب فوييه أخيراً على أهمية عودة العهد الجديد إلى أش ٥٣: «كل مرة يُذكر في العهد الجديد دورُ المسيح انتلاقاً من التقدمة التي فيها يقدم عبد يهوه نفسه، يقدم لنا يسوع بكلمات خفية ككاهن العهد الجديد»^(١٠). وفي النهاية هناك تأسيس الاucharستيا.

لا يتّفق الشرّاح على هذا الموقف. مثلاً، في روم ٨:٣٤، نتحدّث عن وظيفة المسيح القائم من الموت، الذي هو عن يمين الله، حسب مز ١١٠. «إذا رأينا في دور المتشفع هذا دوراً كهنوتيّاً، فلا يمكن أن يكون إلا خارج تنصيب يختلف كل الاختلاف عن تنصيب الكهنة اللاوي، كما في عب»^(١١).

في نهاية المطاف، لا ننسى أننا لا نجد ذكرًا لكهنة المسيح خارج عب. هناك تقاربات قد تكون مفيدة مثل مباركة يسوع لتلاميذه في لو ٥٠-٥١:٢٤ وارتباطها بمباركة الكاهن. ولباس يسوع غير المحيط (يو ١٩:٢٣) يذكّرنا بلباس عظيم الكهنة. ولكننا لا نجد هنا ذكرًا واضحًا لكهنة المسيح.

ب - يو ١٧

ونتوقف بشكل خاص عند يو ١٧ حيث الجدال صار حامياً حول كهنة المسيح

(٩) Prosagôgê

(١٠) حاشية، ٨، ص ٢٣.

J. DELORME, «Sacerdoce du Christ et ministère» RSR 62 (1974) (١١)
p.199-219.

المسيح. منذ زمن بعيد سميت هذه الصلاة «الصلاحة الكهنوتية»^(١٢). وأراد عدد من الكتاب أن يبرزوا شخص المسيح في موقف كهنوتي وهو يقدم نفسه، بل يشرك تلاميذه في تكريسه الكهنوتي والذبائحى.

ذكر فوييه أولاً الخلافية الليتورجية (خلفية افخارستية) لصلاة يو ١٧ . ثم قدم موازاة بين صلاة يسوع والليتورجيا اليهودية لعبد التكبير: إن يو ١٧ يذكّرنا ب يوم كبيور من وجهين: ببنيته أولاً، ثم بمضمونه. واختار بنية في ثلاثة أقسام: صلاة يسوع من أجل نفسه (آ ٥-١). صلاة من أجل رسالته (آ ٦-١٩). صلاة من أجل الشعب (آ ٢٠-٢٦). هذه الأقسام الثلاثة تذكّرنا بأزمته التكبير الثلاثة التي يقوم بها عظيم الكهنة في كبيور: «من أجل نفسه، من أجل بيته (=كهنوت إسرائيل)». وأخيراً من أجل الشعب المختار (لا ١٦: آ ١؛ آ ١٨: ٣٢-٢٦؛ عد ٢٠: آ ٧-١١). نجد أن هذه البنية قد تبدو في جزئين. في يو ١٧ كما في كبيور: «فصلة يسوع عن نفسه وصلاته عن تلاميذه ترتبطان ارتباطاً حميمًا^(١٣).

وعاد فوييه إلى مستوى المضمون، فاكتشف تشابهين اثنين. الأول هو الشديد على الكشف عن اسم الآب. والثاني هو دخول المسيح في المسكن السماوي. وذكر أن اسم يهوه الذي لا يذكر عادة، يتلخص عظيم الكهنة به مرات عديدة في يوم كبيور. في يو ١٧ ، يذكر اسم الآب» أربع مرات (آ ٦، ١١، ١٢، ٢٦). في يوم التكبير يدخل عظيم الكهنة إلى قدس الأقدس. وفي يو ١٧ يؤكد يسوع أنه يذهب إلى الآب في هذا المسكن السماوي الذي كان هيكلُ أورشليم رمزَ البدائي. ونجد أيضاً فكرة تقول إن دخول المسيح إلى المعبد السماوي تترافق مع توسل ملحّ يتوجه إلى الآب السماوي لكي يحفظ التلاميذ من الشر ويتقدّسوا. ومجمل الكلام، عودة يسوع إلى بيت الآب تقيمه بشكل نهائي في وظيفته ك وسيط كهنوتي مهمّة الصلاة من أجل الناس الذين صاروا تلاميذه. وهكذا تكون أمام الدور المذكور في نهاية آش ٥٣ : حين قبل عبد يهوه (يسوع) أن يكون الضحية التكفيّية عن خطايا البشر، صار متشفعاً لهم لدى الآب.

C. منذ أيام كيرلس الاسكندراني في يو ١٧ ، الآباء اليونان ٧٤: ٥٠٥ . رج SPICQ L'épître aux Hébreux , p. 122 n.5

. (١٣) حاشية ٨ ، ص ٤٧

إن العودة إلى أش ٥٣ تلعب دوراً حاسماً في تأويل يو ١٧، لأنها تجعلنا نسمّي المسيح كاهن العهد الجديد. هذه العودة إلى عبد يهوه نجدها في مقاطع عديدة من العهد الجديد: في أخبار تأسيس الافخارستيا، في مشهد غسل الأرجل (يو ١٣). وعبارة «وضع نفسه لاجل» (يو ١١: ١٠، ١٧، ١٥؛ ١٨: ١٣-٣٧). وعبارة «وضع نفسه بنفسه» تلتقي عملياً وعبارة أش ٥٣: ٣٨؛ يو ١٦: ٣؛ يو ١١: ١٠؛ يو ٣: ١٥؛ يو ١٦: ٣، يضحي بنفسه) تلتقي عملياً وعبارة أش ٥٣: «حين يقدم العبد نفسه ذبيحة تكفيرية». وعبارة «أقدس (أكرس) نفسي لأجلهم» «تعني: «أقدم نفسي ضحية»، وتلتقي مع «وضع نفسه». وهكذا يرتبط فعل «قدس» (١٩: ١٧) مع فكرة التقدمة الكهنوتية. إن يسوع يقدم نفسه ذبيحة تكفيرية. في يو ١٧: ١٩ يعبر النص عن ذبيحة المسيح بهذه العبارة: «أقدس نفسي لأجلهم». وهذا ما يُحيلنا إلى ذبيحة عبد يهوه. ولكن نظرة أش ٥٣ بجملتها، سترفع وتتجلى، لأن الضحية الذبائحية لم تَعُد فقط انساناً مقدساً مثل عبد يهوه، بل ابن الله المتجسد^(١٤).

تحفظ بعض الشرّاح تجاه نظرية فوييه. طلب فانوا عدم المزج بين تلميحات غير أكيدة وتأكيدات واضحة^(١٥). واستعاد جان دالورم^(١٦) مجمل برهان فوييه حول أش ٥٣، ولاحظ أن اللغة الذبائحية تُستعمل هنا على سبيل الاستعارة. فالاستعمال الاستعاري للغة الذبائحية لا يفرض بالضرورة ذات الاستعمال في اللغة الكهنوتية. فيجب على مسيرة الاستعارة أن تمتدّ من وظيفة الكهنة إلى حقّهم بأن يقوموا بها. هناك ألقاب تواريثية تدلّ على يسوع: النبي، المختار، قدوس الله، المسيح، خادم الله. وكان يمكن أن يُعطى لقب «عظيم كهنة» بتفسير ذبائحيّ الموت يسوع. ولكن هذا لم يظهر إلا في الرسالة إلى العبرانيين. هذا يعني أن التطبيق لم يكن سهلاً بسبب الاختلافات الكبيرة بين الذبائح الطقسية والكهنوت اللاوي من جهة، وبين عمل المسيح وشخصه من جهة ثانية.

(١٤) حاشية ٨، ص ٧٨.

(١٥) حاشية ٢، ص ٧٥. Vanhoye.

(١٦) رج حاشية ١١، ص ٢٠٣-٢٠٥. Delorme.

الفصل الثامن عشر

المسيح حبر أمين ورحيم

عب ٣: ٥-١٠

تكرّس عب مساحة واسعة لكهنتوت المسيح بحيث نستطيع أن نعتبرها عظة مركّزة على هذا الموضوع. فيسوع المسيح وابن الله هو الكاهن الرفيع (١٠: ٢١)، الحبر الرفيع (٤: ١٤). هو «رسول وحبر اعتراف إيماننا» (٣: ١)، «حبر الخيرات الآتية» (٩: ١١). كل هذا نجده في عرض عن كهنتوت المسيح يحتلّ القسم المركزي في الرسالة (٣: ١٠ - ٣٩).

١ - اعلان الموضوع

نقرأ ٢: ١٧: «كان عليه أن يشابه إخوته في كل شيء، حتى يكون حبراً رحيمًا أميناً في خدمة الله، فيكفر عن خطايا الشعب».

إن تسمية يسوع «الحبر» (أو: عظيم الكهنة) ترد للمرة الأولى في ٢: ١٧. هذه الآية هي خاتمة توسيع يلامس الخلاص الذي أراده الله وقاده المسيح «مبدي الخلاص» (٢: ١٠). فاليسوع، كعظيم كهنة، يمحو خطايا الشعب، ويتحقق بشكل نهائي مخطط الخلاص. ومدلول عظيم الكهنة يدخل هكذا في رؤية الخلاص المسيحي، وهذا ما يدلّ على جرأة الكاتب. كانت قد طبّقت بعض الألفاظ الذبائحية على يسوع: حمل بلا عيب ولا دنس في ١: ١٩. فربان وذبيحة الله طيبة الرائحة في ٥: ٢. ولكن لم يتجرّأ كتاب من كتب العهد الجديد أن يقوم بهذا العبور الواضح من ألفاظ ذبائحية إلى تسمية المسيح كاهن وعظيم كهنة.

إن أولى هاتين الصفتين (رحيم، أمين) ترافق يسوع كحبر، فتقودنا إلى التشديد على تجديد ثان. فالوظيفة الكهنوتية تتضمن تدخل الكاهن (أو عظيم الكهنة) في علاقات البشر بالله. ولكن هذا التدخل لا يتضمن في العهد القديم أن يكون الكاهن (أو عظيم الكهنة) «شبيهاً بإخوته في كل شيء». فمسيرة الوساطة الكهنوتية كانت تفرض فصلاً ومسافة تنتظمها طقوس دقيقة. أما الرحمة فلم تكن إحدى هذه الفضائل التي تحدد الكهنوت أفضل تحديد. فهي توجه القارئ نحو العلاقة مع الإخوة، وتحمو الفصل الضروري، وتلغى المسافة. وهكذا تكون أمام موضوع رفض فيه فيلون الاسكندراني الحق للكاهن بأن يبكي قريباً له (الشرائع الخاصة ١٧:١). أما في عب، فموضوع الكهنوت يأخذ في تطبيقه على المسيح سبيلاً لا عادياً يجعله يعيش التشابه مع إخوته والرحمة تجاههم. والمسافة بين هذه الصورة والتي أعطاها عن نفسه رئيس الكهنة في بداية المسيحية تبدو واضحة. فعظاماء الكهنة الذين تعاقبوا في أورشليم، لم يكونوا رحيمين تجاه شعبهم. ولكن الله الذي اهتم بخلاص الإنسان «نقشه (=يسوع) قليلاً عن الملائكة وكله بالمجد والكرامة» (٦:٧-٧:٢). أخضع يسوع لنذل الموت وكلّ بالمجد والكرامة (٩:٢-٩:٢).

إن تضامن يسوع مع الجنس البشري موضوع تقليدي. ولكن أصالة عب أنها ربطه بالكهنوت. فمبني الخلاص الذي اقتيد بالألام إلى التتمة، لعب الدور المفترض من عظيم الكهنة، وهو محور خطايا الشعب. انطلق الكاتب من تعليم تقليدي حول آلام المسيح وحول دوره الخلاصي، فتوسّع في موضوع جريء هو كهنوت المسيح. منذ بداية الرسالة، يجب على الاسم الذي ورثه الابن (٤:١)، أن يكون اسم عظيم الكهنة (=الحبر). فهذا الابن هو الذي «أتّم تطهير الخطايا» (٣:١).

٢ - مكانة الكهنوت في عب

رأى عدد من الشرّاح في نهاية ف ٤ أو بداية ف ٥ بداية الشرح حول كهنوت المسيح. حيث ينذر يصبح ٣-٤:١٦ جزءاً من توسيع حول كلمة الله. ولكن

جاء(١) من يعارض هذه النظرة. قال: موضوع الكهنوت الذي أدخل منذ ف ٢ يتواتر في الكاتب منذ بداية ف ٣ . هذا ما نجده بوضوح في ١:٣ مع لقب عظيم كهنة كما في ٢:١٧ . «فيما إخوتي القديسين المشاركين في الدعوة السماوية، تأملوا يسوع رسول وحبر إيماننا».

هنا نكتشف عرضين متعاقبين حول كهنوت المسيح يظهران كما يلي:

العرض الثاني

القيمة الخاصة لkehnot يسوع
وذبيحته ٣٩:٥-١١:٥

العرض الأول

حبر أمين ورحيم ٣:٥-١٠

١ - حضّ على الانتباه ٥:٦-١١:٥

١ - أمين ٣:٤-١٤

٢ - حبر مثل ملكيصادق ٧:١-٢٨

- يسوع أمين ٣:١-٦

- أمانتنا له ٣:٤-١٤

٣ - كامل ذذبيحته ٨:١-٩:٢٨

٢ - رحيم ٤:٥-١٥:٤

٤ - فاعلية الكهنوت الجديد: ذبيحة
المسيح تزيل الخطيئة وتقدس ١٠:١-١١:١٨

- تحريض ٤:١٥-١٦

٥ - نتيجة من أجل حياة الائمان
١٠:١-٥:١٩-٣٩

- عرض: قاسم البشر ضعفهم

١٠:١.

٣ - العرض الأول حول الكهنوت : حبر أمين ورحيم (٢) ٣:١ ؛
(١:٥)

إن الصفتين (أمين ورحيم) اللتين ترافقان أول ذكر ليسوع كعظيم كهنة في

A. VANHOYE, La structure littéraire de l'épître aux Hébreux, Bruges- (1)
Paris 1963; 2° ed 1976, p. 56 ss; 103 -104.

. Eleêmôn (أمين)، Pistros (رحيم) (٢)

٧:٢، تعودان هنا وتحددان جزءين في العرض الأول: المسيح هو حبر أمين (١:٣؛ ٤:١٤). المسيح هو حبر رحيم (٤:١٥؛ ٥:١٠).

أ - حبر أمين (٣:١ - ٤:١٤)

اختلف الشراح حول معنى هذه الصفة. هناك من يترجمها: «أمين». هذا معنى ممكن. وأخرون: «أهل للثقة». ويرى آخرون في ٣-٥ مدلول من «أتّ إرادة السيد». لا تزيد عب أن تتحدث عن فضيلة مارسها يسوع في الماضي، بل عن موقف يعيشه الآن.

أرادت عب أن تقابل كرامة المسيح لدى الله والكرامة التي ينعم بها موسى وهو الذي أقامه رب نفسه على بيت الله. تفهمنا آ٣ أن المسيح هو باني البيت. بخلاف موسى الذي يتميّز حقاً عن البيت. فاليسوع كبني البيت مارس نشاطاً خاصاً بالله (آ٤). والمقابلة بين المسيح والله، عبر نشاط البناء، يصل إلى تمييز آخر بين يسوع وموسى: كان موسى أميناً في البيت كخادم. أما المسيح فكالابن. عندئذ نفهم أن يكون بيت الله بيته لا بيت موسى. تلك هي سلطة المسيح على البيت.

إن موضوع المسيح ببني البيت يستند إلى نبوءة ناتان، خصوصاً في شكلها المسيحياني كما في كتاب الأخبار. ففي ١٧:١٢ أعلن الله: «هو (= أحد أبناء داود) يبني لي بيتي وأنا أقيم عرشه إلى الأبد». وفي آ١٤ نقرأ: «أجعله يثبت إلى الأبد في بيتي». وهكذا أدخلت عب في توسيعها المعطيات التقليدية للمسيحيانية الملكية.

ماذا يعني «رسول وحبر إيماناً» (٣:١)? إن المقابلة بين موضوع موسى في البيت وموضع المسيح، تتخيّل أن تثبت سلطة كلام المسيح. فإن عدد ١٢:١-٨ الذي إليه تستند عب ٣:٦، يقدم موسى على أنه أرفع من أينبي، لأن الله لم يكلّمه في رؤية، بل مباشرة، لا بالغاز بل باليقين. وهذا يرتبط بواقع يقول إن موسى أمين في كل بيت الرب. فيما أن موضع المسيح كابن هو أسمى من موقع

موسى، فسلطه كلمته تتجاوز سلطة كلمة موسى. إنه الحبر الذي ينقل الكلمة الله الحاسمة^(٣). وعبارة «رئيس وحبر إيمانا» المستعملة في ١:٣ لتبأ موضوع البيت، تجد تفسيرها الآن. فلا يكفي أن نقول إن المسيح هو عظيم الكهنة الذي به يعترف إيماناً. هو الذي به يمرّ اعتراف إيماناً. ذاك الذي، عظيم الكهنة، يتكلّم باسم الله ويُصعد اعتراف إيماناً إلى الله جواباً على الكلمة. إن صفة رسول المطبة على المسيح هي شواز في العهد الجديد. ونحن لا نجدها في الأدب المسيحي قبل يوستينوس (الدفاع الأول ١٢). قوبلت مع يو ٧:٩ في تعارض مع موسى الذي أخذ منبني إسرائيل ولم يُرسل كالآباء. كما لاحظ بعض أن الكاهن هو رسول (شليحا في الأرامية) الله. كما قوبلت مع ملا ٧:٢ الذي دلّ على الكاهن كرسول الله. ترجمت السبعينية «المرسل» بـ«ملاك». أما عب فترجمت: رسول، لتتجّب كل مزج مع الملائكة.

يبقى لنا أن نردّ على الأمانة بالأمانة على ما فعله المسيح من أجلنا ٤:١٤. إن موضوع البيت الذي ارتبط بموضوع الكهنوت، قد حلت الراحة هنا محلّه. فالعظة الطويلة (عظة داخل عظة) تستند إلى مز ٩٥. في العهد القديم ترتبط الراحة بالحضور إلى بيت الرب (مز ١٣٢، ٥، ١٣، ١٤). في ٦:٣ عرفنا أننا من بيته. وتزيد العظة بُعداً مقبلاً فتدعوا المؤمنين للدخول إلى راحة الله بالإيمان. المسيح دخل إلى الراحة كلّياً ٤:١٠). واليوم كحبر عبر السماوات ٤:١٤)، هو يدلّنا على الطريق الذي يقود إلى ذاك الذي يمسك اعتراف الإيمان بهذه الراحة النهاية^٤.

ب - حبر رحيم (٤:١٥-٥:١٠)

أولاً : التحرير (٤:١٥-١٦)

إن إمكانية يسوع عظيم الكهنة بأن يشفق (يتأنّم، يحسّ مع) على ضعفنا (آ

M.R D'ANGELO, Moses in the Letter to the Hebrews, p. 95-149 (٣)

هذه. نجد نفرين في آ ١٥ بدل تأكيد واحد، يقوداننا إلى جواب على اعتراض ممکن: حبرٌ مسکنه في السماء. هل يستطيع أن يشقق على شقاء المسيحيين؟ فالحبر الذي يقيم في السماء حيث هو أمين، لم يتخلّ عن قربه من البشر. وهكذا بين الكاتب علاقة يسوع بالبشرية، وهي علاقة ضرورية لإقامة وساطة كهنوتية. منذ آ ١٦ بدأ النص يحثنا على الافادة من إمكانية الشفقة هذه لدى عظيم الكهنة. «فلتقدّم بثقة إلى عرش النعمة لتنال رحمة ونجد نعمة».

«جُرْب في كل شيء مثلنا ما عدا الخطيئة». ارتبطت امكانية الشفقة لدى يسوع بأنه جُرْب. قد تكون أمام المحنّة (أو التجربة) التي بها امتحن الله شعبه (خر ٤:٤). هذه المحنّة التي تحملها يسوع طوال حياته وبشكل متواصل، تجعله شيئاً بالبشر الذين صار حبرهم. ويأتي حلاً تفصيل مهم: «ما عدا الخطيئة». اهتمت عب بهذا التفصيل من أجل تحديد صالح لكهنوت المسيح بحيث يأخذ مساقته بالنسبة إلى الكهنوت اليهودي. فنحن لا نرى في أي مكان من التوراة أن عظيم الكهنة كان بلا خطيئة. وإن لا ٣:٤ يتحدث عن حالة يكون فيها عظيم الكهنة قد خطئ. فصار الشعب بسيبه آثماً.

ثانياً : العرض ٥ : ١٠ - ١

إن التصميم الذي أخذنا به والذي يجعل التعليم حول الكهنوت يبدأ في آ ٣، يعيينا من اعتبار آ ٤-١ تحديداً كاملاً. مثلاً، لا نجد هنا شيئاً عن دخول عظيم الكهنة إلى القدس. كما لا نجد شيئاً عن دور كرازة عظيم الكهنة. ففهم هذين الاغفالين إن اعتبرنا آ ٤-١ في نهاية عرض واسع يمتدّ من آ ٣ إلى آ ٥.

ويظهر التوازي واضحاً بين آ ٤-١ وآ ٨-٥. هناك تحديد للحبر (آ ٤-١)، ينطبق على يسوع (آ ٨-٥). أما آ ٩-١٠ فتهيئان القسم التالي (آ ٥: ١١؛ آ ١٠: ٣٩).

١١ آ ١٥ آ

١١ ب آ ٥ آ

٢ آ

٧-٦ آ

٣ آ

٨٢ آ

٤ آ

٨١ آ ب.

إن آ ٢ تقع في قلب الدرفة الأولى، وتستعيد موضوع الشفقة الذي توسيع فيه آ ٩-٨. وإن آ ٧ في قلب الدرفة الثانية تشيران إلى توسل المسيح أمام الموت، وهكذا تعودان إلى موضوع آ ٢ والشفقة.

وصورة عظيم الكهنة هنا تتلخص في ثلاثة نقاط: الأولى: يتحدد في علاقته بالبشر وفي علاقته بالله. ووظيفته الذبائحية هي: «تقديم القرابين والذبائح عن الخطايا» (آ ١١ وأ ١ ب). الثانية: يتحدد في امكانية الشفقة. وهذه الشفقة ترتبط بضعفه. عليه أن يقدم عنه وعن الشعب ذبائح عن الخطايا (آ ٣-٢). الثالثة: يتحدد كقابل كرامة الكهنوت من قبل الله، دون أن ينسبها إلى نفسه (آ ٤).

نجد اللحظة اليونانية «متريوباتايا»^(٤) التي تعود إلى العالم الهلنستي وتدل على عاطفة غير كاملة. أما فيلون فرأى فوقها «اباتايا»^(٥) موسى. و«متريوباتايا» التي هي ضعف قد تدخل في فضائل الشفقة تجاه القريب. أما في عب، فإن «متريوباتايا» عظيم الكهنة تدل على ضعف الشفقة وقوتها.

. وفي نهاية البرهان حول عظيم الكهنة، تقدم آ ٤ صعوبة على مستوى التفسير. ما معنى: «الكرامة التي لا ينسبها لنفسه بل ينالها بنداء من الله»؟ يرى البعض أن نداء الله يمنح كرامة الدخول في طريق الكهنوت المتواضع حيث يتلقى الحبر الضعف والشفقة^(٦). أما سبيك^(٧) يجعل هذه الكرامة تجاه مضمون الآيات

Metriopathea (٤)

Legum allegoriae III, 129 Apatheia أي عدم التأمل. رج

(٦) حاشية ١، ص ١٤٠.

C. SPICQ, L'épître aux Hébreux, II, Paris 1952, p. 110. (٧)

الحبر الضعف والشقة^(٦). أما سبيك^(٧) فجعل هذه الكراهة تجاه مضمون الآيات السابقة التي تُبرز بشرية عظيم الكهنة وضعيته. وهكذا تؤكّد آ ٤ دعوة الحبر من قبل الله ، وتشدّد على ضرورة سلطانه .

وتطبّق آ ١٠-٥ على المسيح التحديد الذي أعطي في آ ٤-١ . ونشير إلى ثلاثة عناصر . الأول : تصوّر آ ٦-٥ الطريقة التي بها صار المسيح عظيم كهنة . الثاني : تصوّر آ ٨-٧ تقدمة المسيح . الثالث : تصوّر آ ١٠-٩ نتيجة هذه التقدمة .

نلاحظ منذ البداية أهميّة إيرادات من مز ٢ ومز ١١٠ . يشدّد الایراد الأول على بنوَة المسيح (دون أن يُعلن كهنوتَ المسيح كما يقول فانوا) . والإيراد الثاني يعلن كهنوت المسيح إلى الأبد على رتبة ملكيصادق . بصورة ملكيصادق ومز ١١٠ يلعبان دوراً كبيراً في براهين ف ٧ . أما الآن فنلاحظ الاشارة إلى هارون وملكصادق ، الواحد قرب الآخر (آ ٦-٤) . يدعى الله الانسان إلى الكهنوت كما دعا هارون (آ ٤) . ودعوة الله هذه تحدّدها آ ٦ .

وتشكّل آ ٨-٧ جزءاً من جملة طويلة تبدأ منذ آ ٥ ، تنطلق من جديد مع الموصول في آ ٧ (وهو ، هوس في اليونانية) ، وتنتهي في آ ١٠ . نجد هنا عدة صعوبات تأويلية هامة . تبدو عبارة «استجيب له» وكأنها تناقض خبرَ جسماني . وهناك من اقترح النفي فقال : «ما استجيب له». ولكنه اقتراح ضعيف . إن صعوبة التفسير تعود إلى وجة التناقض في المتنالية . بعد أن قدمَ الصلوات والتضرعات ، وبعد أن استجيب ... تعلم مما تألم الطاعة . إذا كان يسوع رأى ذاك الذي يتضرع إليه لكي يخلّصه من الموت ، قد استجاب له صلاته ، فكيف يستطيع أن يتعلم الطاعة مما تألم؟ هناك من يشدّد على القيامة التي خلّصت المسيح من الموت وبالتالي استجيب طلبه^(٨) . تجنب فانوا هذا التحديد ، وأخذ بعين الاعتبار التوازي بين آ ٢:١٨-٥ و آ ٤:٥-١٥ . في الجزء الأول يتم التشديد على تضامن

(٨) الحاشية السابقة ص ١١٧ J. JEREMIAS, «Hebr 5,7 -10», ZNW 44.

آلام المسيح في ٢: ١٨-١٠ كشهادة تضامن، وينظر إليها في ٥: ٧ كصلة وتقديمة كهنوتين^(٩). وهكذا استجيب توسل التزاع بصفته صلة كهنوتية. والاحترام الديني^(١٠) الذي أظهره المسيح يدل على أن شخصه يفتح كله على علاقة خصوص للآب: لهذا استجبت صلاته.

هيّأت آ٩-١٠ منذ الآن الطريق للعرض الثاني (٥: ١١-١٠)، واختتمتا في الوقت عينه التوسيع حول الحبر الرحيم (٤: ١٥-٥: ١٠). نعرف فيما أن المسيح صار كاملاً. هذه هي الت نتيجة المباشرة لآلامه (٢: ٢). ونحن لا نفهم هذا الكمال كوصول المسيح إلى الوضع الحقيقي للبشرية، الذي هو التألم. يجب أن نفهم في هذه الحالة: المسيح صار إنساناً كاملاً. فالكمال^(١١) يشير في الواقع إلى صفة الكاهن المخلص التي اقتناها المسيح بالآلام. وربط سيبك^(١٢) هذا الكمال بفعل «اكمال، تم» في يو ١٩: ٣٠ فقال: «في يوم بشريته الأخير، أتمَ في خدمته الكهنوتية للطاعة».

جعل المسيح كاملاً في آلامه «فصار لجميع الذين يطعونه علة خلاص أبيدي». ننتقل هنا من التحول الذي يتم في شخص المسيح إلى إمكانية خلاص جميع البشر. سيكون كلّ هذا النقطة الجوهرية في العرض الثاني (١٠: ١-١٨). بما أن المسيح هو حقاً علة خلاص أبيدي، يستطيع أن يُسمى عظيم كهنة. وتوضح آ١٠ هذه التسمية: أعلن المسيح كاهناً «على رتبة ملكيصادق». سيعود الكاتب إلى هذه النقطة في ف ٧. إذا كان العرض التعليمي الذي قدمناه في هذا الفصل، والذي يتنهي مع هذه الآية (٣: ١-٥) قد جعل في مناخ التواصل بين المسيح والمؤسسات التوراتية، فالعرض الثاني سيرفع أنظارنا إلى خصائص كهنوت المسيح. هذا ما نكتشفه في الفصل التالي.

(٩) حاشية ١، ص ١٠٦.

(١٠) Eulabeia

(١١) Teleiōsis

(١٢) حاشية ٧، ص ١١٨.

الفصل التاسع عشر

عظمة كهنوت المسيح وذبيحته

عب ٥: ١٠-١١

في عرض أول توقفنا عند العقيدة، وتعرفنا إلى المسيح ذاك الْحَبْر الْأَمِين والرحيم الذي هو كاهن على رتبة ملكيصادق. في عرض ثان نتوقف عند خصوصية كهنوت المسيح وذبيحته.

١ - التحرير (٥: ٦-١ : ٢٠)

ويأتي تحرير طويل يهتم القارئ (أو السامع) لصعوبة الموضوع، ويشكل فصلاً واضحاً بين القسم التعليمي في العرض الثاني (٧: ١٠-١) (٣٩: ١٠-١) واعلانه في ٥: ٩-١٠ . إن ٢٠: ٦ يعيد الانتباه ببلادة إلى الموضوع الذي أُعلن في ٥: ٤-٥ . وللإدراك الطريقة التي بها تصل عب إلى خصوصية كهنوت المسيح وميزته. استعمل مز ١١٠: ٤ في ٥: ٦ ليدل على التشابه بين يسوع وهارون. ويستعاد الآن في ٧: ٥ ليدل على أن كهنوت المسيح يختلف عن كهنوت هارون ويتفوق عليه. والعناصر الثلاثة المعطاة في ٥: ٥-٩ (صار كاماً). علة خلاص أبيدي. أعلنه الله حبراً على رتبة ملكيصادق) تبدو كخاتمة البرهان حول التواصل بين كهنوت هارون وكهنوت المسيح. ستعود هذه العناصر نفسها هنا، فتشكل انتقالة إلى العرض الثاني الذي يبين خصوصية كهنوت المسيح. نقرأ العنصر الأول (صار كاماً) في ٨: ٨-٩ . والعنصر الثاني (علة خلاص) في ١٠: ١-١٨ . والعنصر الثالث (على رتبة ملكيصادق) في ٧: ١-٢٨ .

٢ - حبر على رتبة ملكيصادق (٧: ٢٨-١)

إن النمط التأويلي الذي أخذت به عب لتصور ملكيصادق، يجد بعض الشبه مع ما فعله فيلون. اهتمت عب بترجمة الاسم مثل فيلون، وتأويلاً لها له جاء مدراشياً مثل تأويل فيلون. ولكن تبقى الاختلافات. جعل فيلون من ملكيصادق صورة عن العقل المستقيم والعادل الذي يسود الانسان، هكذا يكون كاهن العلي. لا نجد شيئاً من هذا في عب التي تتحدث عن ملكيصادق مستندة إلى مز ١١٠. فما هو خاص بتأويل عب، هو أنه يتوجه منذ البداية نحو سرّ المسيح. تعرف عب أن المسيح هو كاهن. وقد أوردت مز ١١٠ في ٥:٦؛ ٦:١٠؛ ٦:٢٠. وحين وصلت في ٧:١ إلى شرح تك ١٤:١٨، قادها التأويل المدراسي إلى كهنوت المسيح. تركّز هذا التأويل على الذي صار كاملاً بالآلهة، فوجد في مز ١١٠ أولاً ثم في تك ١٤، ملكيصادق هذا الذي هو صورة مسيحة عن المسيح الكامل والكافن إلى الأبد. مثل هذه النظرة أتاحت للرسالة إلى العبرانيين أن تتجاوز بشكل واضح نص تك ١٤:١٧-٢٠ فتعلن أن ملكيصادق «يشبه ابن الله».

أ - استعمال صورة ملكيصادق

اهتمت عب، شأنها شأن فيلون، باشتراق الاسم: ملك البر. واشتراق اللقب: ملك السلام. ويوجّهنا التشديد على أن لا أب له ولا أم ولا نسب، إلى كهنوت غريب حين نعرف أهمية الأنساب في الكهنوت اللاوي (عد ١٧:٥؛ لا ٢١:١٣؛ حز ٤٤:٢٤؛ عز ٢:٦١-٦٢). وإذا لم يذكر النص مولد ملكيصادق ولا موته، استطاع أن يصل به إلى ابن الله والكافن إلى الأبد. وهكذا انتظمت فكرة كهنوت أبيدي، يختلف كل الاختلاف عن الكهنوت اللاوي الذي كان ينتقل من جيل إلى جيل. نلاحظ هنا الجمع بين ابن الله والكافن إلى الأبد (٧:٣؛ رج ٣:٥؛ ٤:١٤). وشدد فانوا^(١) على واقع يقول إن ملكيصادق لا يستطيع أن

A. VANHOYE, Prêtres anciens p. 178-179. (١)

يكون صورة ابن الله إلا إذا عادت هذه العبارة إلى المسيح الممجَّد. «نستطيع القول عن المسيح القائم من الموت إنه إنسان لا أب له ولا أم ولا نسب»، لأن قيامته كانت ولادة جديدة للطبيعة البشرية. وقد تمت هذه الولادة بدون أب بشري ولا أم بشرية فصار المسيح «البكر» (عب ١: ٦) الذي لا نسب له.

ب - ملكيصادق وكهنوت لاوي (٧: ٤-١٠)

تدلّ عب هنا على تفوق كهنوت ملكيصادق كما سبق. وهي تقابل بينه وبين ابراهيم على أساس تك ١٤: ١٨-٢٠. ولكن عب توخت المقابلة بين ملكيصادق ولاوي «الذي كان في صلب أبيه». يستند البرهان على التوالي إلى العشور (٨: ٦-٤)، إلى مباركة حامل الموعيد (آب ٦-٧)، ثم إلى العشور أيضاً. فلاوي الذي يأخذ العشر، قد خضع للعشر عبر جده ابراهيم. هذا يعني على أنه الأدنى. ويتأكد تفوق ملكيصادق هنا أيضاً باستعادة ميزتين وجدناهما في ٧: ٣: لا نسب له (٧: ٦). يُشهد له أنه حي (٧: ٨). هاتان النقطتان تميّزانه عن لاوي وعن نسله. وتُطلّقان فكرة كهنوت لا ينتقل من جيل إلى جيل، بل يبقى إلى الأبد. إذن، يتم تجاوز الكهنوت اللاوي هنا بعودة إلى الأصل. وتنقل من الشريعة التي تسمح للاوي ونسله أن يتلقوا العشر، إلى زمن الوعد مع ابراهيم أبي الآباء. هنا يأتي ملكيصادق الذي قبل العشر من حامل الموعيد، فجعل مؤسسة الكهنوت الشرعية مؤسسة نسبية تجاه كهنوت «آخر» كانت له هذه المؤسسة صورة مسبقة.

ج - حبر على رتبة ملكيصادق (٧: ١١-٢٨)

وننتقل من تأويل تك ١٤: ١٧-٢٠ (عب ٧: ١٠-١١) المركز على ملكيصادق، إلى الكاهن حسب رتبة^(٢) ملكيصادق (مز ٤: ٤ = عب ٧: ١٧).

(٢) Taxis. راجع في العربية طقس أي ترتيب.

هنا نتطلّع إلى الرب (آ ١٤) الذي هو كاهن حسب نظام جديد. سُتميّزَ عَبْ عن الكهنوت اللاوي وتدلّ على تفوقه. فتشدّد على أنّ الرب لا يمتلك شروط الشريعة الموسوية ليكون كاهناً (٧، ١٤، ١٣: ٧، ١٦). ويظهر التفوق في أن الكهنوت على رتبة ملكيصادق يتأسّس على «قوّة حياة لا تزول» (١٦: ٧). ما قبلَ يسوعُ بالوراثة الكهنوت اللاوي. إنه كاهن حيٌّ وأبديٌّ. وتبّرَ آ ١٤-١١ بشكل سلبيٍّ زوال الكهنوت اللاوي^(٣). فلو قاد إلى الكمال^(٤)، لكان ظلّ هنا، لأنّ ما هو كامل لا يمكن تجاوزه. إن آ ١٥-١٩ ثبّت الآن يشكّل إيجابي إلغاء الشريعة الموسوية في ما يخصّ كهنوت لاوي. وهذا التثبّت ينطلق من مز ٤: ١١٠ مز ٤: ٤ الذي تعتبره عب «إلغاء لغريضة سابقة بالنظر إلى ضعفها أو عدم جدواها، وافتتاحاً على رجاء جديد». ويتيح لنا المزمور عينه أن نلتفت الانتباه إلى أن الله ألزم نفسه بقسم بأن يقيّم «كاهناً إلى الأبد». بفضل هذا القسم صار يسوع كفيل «عهد أفضل». ودلّ كهنوته على تفوقه لأنّ أبدي ولا يزول. إذن يتوجّه النظر إلى ثبات الكهنوت الجديد: وهذا الثبات يظهر في الاختلاف بين الكهنة اللاويين ويسوع. كان الموت يمنع الكهنة اللاويين من البقاء، أما يسوع فيبقى إلى الأبد. وتحتّم آ ٢٦-٢٨ المقطع بتصوير «الحبر المثالي» الذي يتميّز عن سائر الأخبار (عظماء الكهنة) المجبّرين بأن يقدّموا كل يوم ذبائح عن خطاياهم. لاحظ الشراح البُعد الهجومي في آ ٧-١١، الذي سيقود إلى وضع الشريعة كلها في قفص الاتهام. هذا البُعد الهجومي سنجله أيضًا في آ ٨: ٩-٢٨: ٩ و آ ١٠: ١-١٨.

د - الكمال

إن الحكم السلبي على الكهنوت اللاوي يدور في الواقع حول الكمال (أو بالآخرى: الامال). ارتبطت هذه اللحظة في العهد القديم بالمؤسسة الكهنوتية. استعملت في سفر اللاويين لتدلّ على ذبيحة تقديس (تكريس) عظيم الكهنة (لا

C. SPICQ, L'épître aux Hébreux II, p. 192. (٣)

Teleiôsis. (٤)

٣٧:٨ ، ٢٢:٢٦ ، ٢٩ ، ٢٨ ، ٣١ ، ٣٣:٢٩ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩:٧ . ما وافقت عب ١١:٧ على أننا وصلنا إلى «الاكمال» بالكهنوت اللاوي . وأكَّدت آ١٩ أن الشريعة ما قادت شيئاً إلى الكمال . وعارضت آ٢٨-٢٧ بين ضعف عظماء الكهنة المجبرين على تقديم الذبائح عن خططيائهم ، والكمال الذي ناله الابن إلى الأبد . وما ناله يجب أن يرتبط بالام المسيح .

٣ - صار كاماً بذبيحة (٨:٩-١:٢٨)

مع هذا الجزء نصل إلى النقطة المركزيَّة^(٥) في العرض (٨:١) . إلى الخلاصة . وهكذا ننتظر أن يعطينا الكاتب جوهر الواقع . هذا الجوهر قد أعلن في الآية التي اختتمت الجزء السابق : «أما كلام القسم فيقيم الابن الذي جُعل كاماً إلى الأبد» (٢٨:٧) . وهو يعلن في ٢-١:٨ : «إن العبر الذي لنا جلس في السماوات عن يمين عرش الجلال» . إذن ، يدور هذا الجزء حول هذا التمجيد المرتبط بتقدمة المسيح . وسيثبت الكمالُ الذي أدركه المسيح ، ويبيّن المستوى الحقيقِي الذي عليه يمارس كهنوته . قسم فانوا^(٦) هذا الجزء مقطعين . يشير الأول إلى عدم كفاية العبادة القديمة فحلَّت محلَّها عبادة أخرى . والثاني إلى ذبيحة المسيح الفاعلة والنهاية . ويشمل كلَّ مقطع ثلاثة تقسيمات تجاوب بعضها مع بعض :

أ - مستوى العبادة (٨:٣-٦)

ب - مسألة العهد (٨:٧-١٣)

ج - وصف العبادة القديمة (٩:١-١٠)

ج ج - وصف عبادة المسيح (٩:١١-١٤)

ب ب - اناس العهد (٩:١٥-٢٣)

أأ - المستوى الأخير للعبادة (٩:٢٤-٢٨).

(٥) Kephalaion : رأس ، خلاصة .

(٦) A. VANHOYE, La structure littéraire p. 140-141.

أ - مستوى العبادة (٨: ٣-٦)

تذكّرنا آ٣ بالعلاقة الضروريّة بين فكرة العبادة وفكرة الذبيحة. لا كاهن بدون ذبيحة ولا ذبيحة بدون كاهن. ولكن الانتباه يرتفع هنا إلى المعبد الذي فيه يمارس المسيحُ كهنوته. فكل كاهن مرتبط بمعبد. وتأكد آ٤ أن المسيح الذي هو كاهن لا يستطيع أن يكونه على الأرض. فإن احتاج إلى معبد، ففي السماء نبحث عنه. فلا يبقى عندذاك آ٥ إلا أن نبَين سموًّا مثل هذا الكهنوت المرتبط بمثل هذا المعبد. أما آ٦ (بما فيها من تهجمٍ وسخرية) فتُظهر الاختلاف متعددًا عن عبادة «الذين يقدمون القرابان حسب الشريعة» آ٤. فعبادتهم تتوجه إلى صورة وظلّ^(٧) السماويات. والفعل خدم^(٨) المستعمل هنا، يدلّ في العهد القديم، على العبادة المؤدّاة لله. ومع ذلك، تستعمله عب لعبادة الأشياء من صورة وظلّ، وهذا متنه الساخرية. ويلاحظ فانوا في هذا الإطار الهجوميًّا أن عب ترى في نظم العهد القديم، مستوىين: هي اقتداء بنموذج إلهيٍ موجود منذ البدء. ولكن لها أيضًا وظيفة نبوية لأنها تصور مسبقاً تحقيق مخطط الله^(٩). يجب أن لا ننسى هذه النظرة حين نرى العلاقات التي تضعها عب بين القديم والجديد.

ب - العهد (٨: ٧-١٣)

إن انتقاد العهد الذي بدأ في الآية السابقة يحتلّ هنا المكان كله. تبدو البراهين شبيهة بما في ١١:٧. هي تستند إلى إر ٣١:٣١-٣٤ لتدلّ على عجز الميثاق (العهد) القديم. وسيعود نصّ إرميا في ١٠:١٦-١٧-١٧ بشكل إيجابي. أما هنا فنلاحظ قوّة التعارض: تحدّث عب عن عهد يحلّ محلّ العهد القديم: «صار

. hypodeigma (صورة). Skia (ظلّ). (٧)

Latreuein+dat. (٨)

. (٩) حاشية ١، ص ٢٠٣

قديماً وقريباً من الزوال» (٨:٧). لسنا أمام ميثاق (عهد) قديم يتجدد، بل أمام شيخوخة سببها وصولُ عهد آخر، أفضل من الأول ويحل محله. ففي صور المزج المختلفة بين القديم والجديد، نجد هنا أفضل صورة عن عدم التوافق بين العهدين. لهذا حلّ واحدٌ محل الآخر.

ج - وصف العبادة القديمة (٩: ١-١٠)

إذ أرادت عب أن تدل على شيخوخة العهد القديم، حورت شعائر عبادته وهيكله. وبدأت فتحديث عن عدم جدواها (آ١٠-٨). وأبرزت صورةُ الهيكل نظامَ الفعل المعمول به في الميثاق القديم. ما دخلت عب في التفاصيل (آ٥)، ولكنها اكتفت بتصوير أثاث الخيمة الأولى المسمّاة القدس، والخيمة الثانية المسمّاة قدس الأقداس. يستند الوصف إلى خر ٢٥-٢٦؛ ٤٠. ولو عاء الذي يحوي المن يعود إلى خر ١٦: ٣٢-٣٤. وعصا هارون إلى عد ١٧: ٢٥-١٦.

ووجود خيمتين يدل على فعل يتحول في منطق عب إلى خفض وإنفاص: ترتبط بالخيمة (أو: المسكن الأول) الأولى خدمةُ الكهنة التي تدوم (في كل وقت، آ١٦). وترتبط بالثانية خدمةُ عظيم الكهنة الفوق عادية (مرة في السنة، آ٧). فالكهنة الذين يمارسون خدمتهم في كل وقت، يُمنعون من الدخول إلى أقدس موضع في المعبد. وعظيم الكهنة الذي يمارس خدمته، لا يستطيع أن يدخل سوى مرة واحدة. وأن يُوصف الهيكل بـ«الأرضي»^(١٠) هو إنفاص أيضاً. ففي نظر يوسيفوس^(١١) يمثل الهيكلُ الكون. وفي نظر فيليون^(١٢) تمثل ألبسةُ الكاهن الكون، وحجابُ الهيكل يمثل المكشونة. ارتبطت الصفة «الأرضي» بالأية ١٠ التي تصف طقوساً بشرية فقط، فبدت سلبية في عب. هي تتيح للكاتب أن يُدخل التعارض بين الأرضي والسماوي، بين اللامكامل والمكامل (رج تي ١٢: ٢).

(١٠) (?) Kosmichon

(١١) العاديّات اليهودية ٣: ١٢٢ أي، ١٧٩-١٨٧؛ الحرب اليهودية ٥: ٢١٢.

(١٢) حياة موسى ٢٢: ٧٧-١٠٨؛ الشرائع الخاصة ١: ٦٦.

وتوافق آ ١٠-٨ على التوسيع الانقاضي حول الهيكل والعبادة. فترتيبات الشريعة الليتورجية التي هي في أساس التمييز بين العبادة العادلة في القدس والعبادة الفوق عادلة في قدس الأقداس، هي طريقة أراد بها الروح القدس أن يبين أن الطريق إلى المقدسات^(١٣) غير مفتوحة. لا الطريق إلى المعابد (إلى المقدسات) التي هي مقام الله على الأرض، بل المعبد السماوي الذي نجد نسخة عنه ورزاً في قدس الأقداس^(١٤). هذا التقييم السلبي للعبادة يهيئ الطريق لوصف ايجابي لعبادة المسيح. في آ ٢:٨، المسيح هو خادم المعبد الحقيقي والخيمة (أو المسكن) الحقيقة التي نصبتها يد الرب لا يد البشر. وتستعيد آ ٩ مسألة «الإكمال» (أو الكمال). في آ ٨ نجد ألفاظاً عن المساحة والحركة. في آ ٩ عن التحول الشخصي^(١٥).

ج ج - وصف عبادة المسيح (٩: ١١-١٤)

ونصل هنا إلى الوصف الاجابي، وصف عبادة المسيح، وهكذا ننتقل من مستوى إلى مستوى: «أما المسيح». هناك كاهن آخر، خيمة أخرى، دم آخر، عهد (مياثق) آخر. وحسب سيبك^(١٦) لا تعارض عب مؤسسة أخرى بالمؤسسة القديمة، بل هذه المؤسسة بـ «شخص عظيم الكهنة الخادم في الهيكل السماوي وفاعلية ذبيحته».

يُوصف هذا المسيح منذ البداية على أنه «حبر الخيرات الآتية»^(١٧). دخل هذا الحبر مرة واحدة^(١٨) إلى المعبد فنال بذلك الفداء الابدي. لاحظ الشرح وجود

(١٣) hagia : الاشياء المقدسة.

(١٤) حاشية ٣، ص ٢٥٣.

(١٥) حاشية ١، ص ٢١٠-٢١١.

(١٦) Spicq حاشية ٣، ص ٢٥٥.

(١٧) هناك شواهد تقول: الخيرات التي حصلت.

(١٨) مراحدة: Epaphax.

الاداة «ديا» (بواسطة) ثلث مرات ، من أجل تقييم الوسائل التي استعملها المسيح لينال الفداء الأبدي . ولكن يبقى الجدال قائماً حول مدلول الخيمة الأعظم والاكمـل . أوجـز سـيـك تـفسـيرـات الآباء في هـذا المـجال . أوـغـسـطـينـس وـامـبرـوـسيـوس قـالـا إنـ الخـيـمة هيـ بـشـرـيةـ المـسـيـح . بـهـا دـخـلـ إلىـ المـعـبد . ولـكـنـ هـلـ نـسـتـطـيعـ أنـ نـقـولـ إـنـ هـذـهـ الـبـشـرـيةـ لـيـسـتـ مـنـ هـذـهـ الـخـلـيقـةـ (آـ ١١ـ)؟ لـهـذـا فـسـرـ سـيـكـ هـذـهـ الآـيـةـ فـيـ مـعـنىـ كـوـسـمـوـلـوـجـيـ (عـلـىـ مـسـتـوىـ الـكـونـ)ـ: «إـنـ يـسـوعـ، بـعـدـ قـيـامـتـهـ وـصـعـودـهـ، اـجـتـازـ السـمـاـوـاتـ لـيـصـلـ إـلـىـ حـضـرـةـ اللهـ»^(١٩)ـ . ولـكـنـ شـرـاحـآـخـرـينـ رـأـواـ فـيـ هـذـهـ الـخـيـمةـ السـمـاءـ الـمـتوـسـطـةـ، سـمـاءـ الـمـلـائـكـةـ .

أـمـاـ فـانـواـ فـيـرـىـ أـنـ الـخـيـمةـ هيـ الـهـيـكـلـ الـذـيـ بـُـنـيـ فـيـ ثـلـاثـ أـيـامـ فـيـ آـلـمـ الـمـسـيـحـ وـقـيـامـتـهـ^(٢٠)ـ . هـذـاـ التـفـسـيرـ يـلـتـقـيـ بـالـتـقـلـيدـ الـأـنـجـيلـيـ . وـهـكـذـاـ نـفـهـمـ أـنـ تـكـونـ هـذـهـ الـخـيـمةـ «غـيـرـ مـصـنـوـعـ بـأـيـدـيـ الـبـشـرـ»ـ، لـأـنـ الـقـيـامـةـ هيـ عـمـلـ اللهـ . قـادـتـ الـمـسـيـحـ إـلـىـ التـمـجـيدـ عـبـرـ سـرـ الـآـلـامـ، فـهـيـ تـمـنـحـ الـكـمـالـ الـذـيـ يـجـعـلـهـ حـبـراـ فـاعـلاــ . وـأـنـ يـقـالـ عـنـ الـخـيـمةـ أـنـهـ «أـعـظـمـ»ـ، يـقـرـبـنـاـ مـنـ وـاقـعـ يـقـولـ إـنـ الـمـسـيـحـ القـاتـمـ مـنـ الـمـوـتـ هوـ فـيـ عـلـاقـةـ مـعـ جـمـيعـ الـبـشـرـ: بـهـ يـسـتـطـيـعـونـ كـلـهـمـ أـنـ يـدـخـلـوـ لـيـنـالـوـ الـفـداءـ (١٠: ١٩ـ)ـ .

وـتـقـدـمـ آـلـمـ ١٤ـ١٢ـ مـفـرـدـاتـ الدـمـ الـذـبـاحـيـةـ . فـالـتـعـارـضـ بـيـنـ دـمـ الـتـيوـسـ وـدـمـ الـمـسـيـحـ، يـقـودـ إـلـىـ التـشـدـيدـ عـلـىـ الـوـجـهـةـ الـخـاصـةـ لـتـقـدـمـةـ الـمـسـيـحـ الـذـيـ يـلـعـبـ فـيـ الـوقـتـ عـيـنهـ دـورـ الـكـاهـنـ وـدـورـ الـضـحـيـةـ . فـالـمـسـيـحـ كـضـحـيـةـ هوـ «بـلـاـ عـيـبـ»ـ . وـكـاهـنـ هوـ مـؤـهـلـ كـلـ التـأـهـيلـ . عـبـرـتـ عـبـ عنـ هـذـاـ التـأـهـيلـ حـينـ قـالـتـ إـنـ الـمـسـيـحـ قـدـمـ نـفـسـهـ «بـالـرـوحـ الـأـزـلـيـ»ـ (١٤: ٩ـ)ـ . هوـ رـوـحـ حـاضـرـ فـيـ الـمـسـيـحـ الـذـيـ سـيـكـرـسـ (ـسـيـقـدـسـ)ـ الـضـحـيـةـ وـيـجـعـلـهـاـ التـقـدـمـةـ الـتـيـ تـرضـيـ اللهـ .

(١٩) حـاشـيـةـ ٣ـ، صـ ٢٥٦ـ .

(٢٠) حـاشـيـةـ ١ـ، صـ ٢٢٦ـ .

ب ب - أساس العهد (٩ : ٢٣-١٥)

وننتقل من الموضوع الديبائي إلى موضوع العقد المختوم بالذبيحة. ويظهر ار ٣١ هنا أيضاً كما في ١٢:٨ . فالعهد الذي وسيطه المسيح هو جديد. في إرميا ارتبط العهد بمحو الخطيئة (١٢:٣١). أما عب فأعلنت أن موت الوسيط والموصي هو للداء من التجاوزات. ترتكز أصالة البرهان على توسيع فكرة تقول إن موت الموصي ضروري لكي تصبح الوصية (٢١) نافذة. وإذا فعلت عب هذا، توسيعت في معنيين ممكّنين للفكرة «دياتيكي»: عهد ووصية. وترد في آ ٢٢ فكرة تقول إن الدم يطهر. وهكذا كان تقارب بين موت المسيح وذبيحة العهد. وتختم آ ٢٣ البرهان دون أن تضيف شيئاً حول كهنوت المسيح.

١١ - المستوى الأخير للعبادة (٩ : ٢٤-٢٨)

حين دخل المسيح إلى السماء تجاوز مستوى العبادة الأرضية التي يُحتفل بها في هيكل هو نسخة (٢٢) عن الهيكل الحقيقي. فالمستوى الأخير للعبادة يميز بأنه لا يتجدد كل سنة. مرّة واحدة تكفي. ولا تردد عب في الدلالة على الزمن الذي فيه تجلّى المسيح ليزيل الخطيئة: إنه نهاية الأزمنة. فنهاية الأزمنة هذه تلغى تكرار العبادة القديمة، وتتدشّن «المرة الواحدة» في أمّاء الخطايا. ولن يكون مجيء يسوع الثاني تكراراً للأول: سيكون تجلياً لا علاقة له بالخطيئة «للذين يتظروننه من أجل الخلاص» (٢٨:٩).

٤ - فاعلية الكهنوت الجديد (١٠ : ١-١٨)

إن العبادة الديبائية تقود حتماً إلى الكمال الذي لا نحصل عليه في نظام الشريعة التي تشرف على الديباج. فضعفها الجذري (١٠:٤، ١١) تشرحه آ

Diathêkê. (٢١)

Antitypon. (٢٢)

١: «لا تملك الشريعة سوى ظلَّ الخيرات الآتية، لا جوهر الحقائق». وهكذا يرتبط عمل الشريعة التقديسي بعمل المسيح. ولكنَّ رباط معارضة كما الظلُّ والحقيقة. لهذا يكون الواحد عقِيمًا والثاني فاعلاً. ودلَّ الكاتب على عدم جدواز الذبائح والوظائف الخدمية لدى كهنة العهد القديم، مشدداً على كثرتها (١٠: ١١) وتوارثها (١١: ١٠). ذهب الانتقاد هنا أبعد مما نجد عند الأنبياء الذين هاجموا استعدادات قلب سيدة ترافق الذبائح. أما هنا، فحكم قاطع على لاجدوzi تامة لهذه الذبائح.

أخذت الإيرادات الثلاثة (١٠: ٩-٤) من المزامير وأسفار الأنبياء، فساندت البرهان الذي يقدم نقيضها نوجزها كما يلي: إلغاء العبادة الأولى. إقامة العبادة الثانية (٩: ١٠). نستطيع أن نرى في استشهاد مز ٤٠: ٧ (حسب اليوناني) تلميحاً إلى التجسد، ونلاحظ كيف أن «الجسد» صار تقدمة ترضي الله ساعة رفض دم العجول والتلوس تقدمة (١٠: ٤، ٥، ١٠). فتقدمة المسيح هي التي تتمّ مشيئة الله (١٠: ٧)، لا الذبائح التي تفرضها الشريعة. وتوضح آية ١٢ فاعلية ذبيحة المسيح للذين يقدسهم. «هو يقود إلى الكمال» أولئك الذين يقدسهم. فالآلام المسيح ودخوله إلى السماء، عن يمين الله، قادته إلى الكمال وأتاحت له أن يحول البشر حقاً. هؤلاء لا يصيرون وسطاء معه، بل يقدّسون به ويصيرون أهلاً لأن يقدّموا عبادة ترضي الله.

إن ١٠: ١٨-١١ نصّ مهمٌ جداً. أولاً تحدَّد طبيعته ذبيحة المسيح المرتبطة بكهنوته. تتضمَّن هذه الذبيحة الموت كتقدمة جسده (١٠: ١٠) كما تقوم جوهرياً بتمثيل مشيئة الله (١٠: ١٩). من هذا القبيل قدَّم يسوع جسده. ثانياً: لم يعد من ثانية بين أولئك الذين يمارسون الكهنوت والضحايا المقدمة كذبائح (٤: ١٠): فاليسوع هو المقدَّم والمقدَّم معًا، وموضع ذبيحته هو تقدمة ذاته الله في تمثيل مشيته. وكهنوته هو ممارسة وساطة تتم العهد الجديد بين الله والبشر، وتصنع غفران الخطايا (١٠: ١٦-١٨). ثالثاً: الكهنوت وذبيحة المسيح يضممان في فعل واحد كل وجوده منذ دخوله إلى العالم (٥: ١٠) حتى جلوسه السماوي عن يمين

الله (١٠: ١٢-١٣). والتلميحات المتكررة إلى جسد المسيح على أساس مز ٤٠ المحول من أجل البرهان (١٠: ٥ب)، بين أن الكاتب جعل أمامه تجسّد المسيح، ونظر إليه كأساس كهنوته. وهذا الموضوع يتسع فيه الكاتب داخل نظرية سماوية^(٢٣).

٥ - الوضع المسيحي (١٠: ١٩-٣٩)

هذا الجزء يشكل حضًّا على العيش المسيحي. فتح المسيح الطريق وهو يتيح لنا الدخول إلى المعبد (١٠: ١٩). ويفترض كلُّ البرهان إزالة الحاجز التي شكلَّت احترامها الدقيق العبادة^١ «القديمة». أما في العبادة الجديدة، فوحدة المسيحي مع المسيح تجعله يدخل معه إلى المعبد بحيث لا يفصل الشعب عن الكاهن. في المعبد يقدم المسيحيون «الذين تقدّسوا بالMessiah»، ذبائح هي واقع حياتهم التي هي التقدمة الوحيدة التي ترضي الله. والعبادة في المسيح تقود إلى تحول الحياة تحولاً يعبر عنه الإيمان والرجاء والمحبة (٢٢-٢٥). وهكذا نصل إلى الكنيسة التي ترتبط بذبيحة المسيح.

A. CODY, Heavenly Sanctuary and Liturgy in The Epistle to The (٢٣)
Hebrews, Indiana, 1960.

الفصل العشرون

المشاركة في كهنوت المسيح

احفظت الرسالة إلى البرطانيين بالكهنوت للمسيح. أما النصوص التي ندرسها الآن فهي تطبق لفظة «كاهن» على المعتمدين. ونحن نجدها في ابط وفي رؤ.

١ - رسالة بطرس الأولى

استعمل بطرس مرتين لفظة «هيaramata»^(١) كهنوت. وهذا الاستعمالان ٢:٥، ٩ يقعان في قسم حاول الشرّاح أن يحدّدوا فنه الأدبي (٤:١٠-٢). ظن بعض الشرّاح أنها أمام مدح^(٢)، ورأى آخرون أهميّة الإيرادات التوراتية. لن نقول إن بطرس أخذ استشهاداته من مجموعة «شواهد». ولكننا نقول إن استشهادات آ٦-٨ حول الحجر (آ٩-١٠ حول شعب الله) تعود إلى تقليد شفهي حول موضوع

Hieramata. (١)

E.G. SELWYN, The First Epistle of St Peter. 2^o ed. London-New-York (٢)
1958, p.273-277.

تقليدي^(٣). والطابع المرتبط بسفر الخروج لبعض هذه الاستشهادات^(٤) مهم جداً لموضوعنا، لأن عبارة «كهنوت ملكي» توجه النظر نحو خر ١٩:٦.

والعلاقة بين ابط وليتورجية المعمودية أمر معروف. وقد تسأله يوماً^(٥) إذا كانت آ١٠-٩ تتتميان إلى « فعل شكر » (افخارستيا) يتبع المعمودية. والهدف الليتورجي في آ١٠-٩ يُذكر في عبارة «كهنوت ملكي» فيربطهما مع آ٥. وتقوم الليتورجيا في «إعلان مآثر الله» آ٩ وهي عبارة ترتبط بسفر الخروج (رج أش ٢١:٥٣ فتحل محل « فعل الشكر » الذي يُقرأ في المقطع الموازي في كوا

١٢:١٣ ، ١٣:٢١ .

إن عبارة «مملكة كهنوتية» تذكّرنا بما في خر ١٩:٦ (م ل ك ت. ك ه ن ي م). هناك معان عديدة للعبارة. هناك من قال: «مملكة يحكمها الكهنة»: «فالملكة التي يحكمها الكهنة تعكس بالضبط وضع العالم اليهودي بعد المنفى». وهذا التفسير هو أفضل من: «مملكة يتمتع فيها جميع المواطنين بالكرامة الكهنوتية»^(٦). مهما يكن من أمر، نستطيع القول إن العبارة تشير إلى الجماعة لا إلى الأفراد. وهذا ما يكون له أثره في تأويل ابط ٩:٢ .

في الواقع، أخذ بطرس العبارة من التوراة اليونانية. و«باسيليون هيaramata»^(٧) لا تعني مملكة كهنة، بل كهنوت ملوكي، أي أمّة مختارة، وظيفتها كهنوتية وكرامتها ملوκية بالنظر إلى الله الملك الذي تقوم بخدمته العبادية^(٨). ناقش

P. SANDEVOIR, «Un royaume de prêtres» dans Etudes sur la première (٣)
lettre de Pierre, C. Perrot éd, Paris 1980, p.219-229. ici p. 221. Voir C.

SPICQ. Les épîtres de saint Pierre. Paris 1966, p.86.

J. SCHLOSSER.«Ancien Testament et christologie dans la Prima Petri» (٤)
idem p. 69-96. Ici p.66

M.F. BOISMARD, Première épître de Pierre, DBS VII, 1438-1439. (٥)

P. GRELOT, «Le sacerdoce commun des fidèles dans le NT,» Espri et (٦)
Vie, mars 1984, p.138-144. Ici p.138.

Basileion hieramata. (٧)

(٨) حاشية ٦ ، ص ١٣٩ .

الشّراح لفظة «باسيليون». هل هي اسم؟ هل هي صفة؟ إذا كانت صفة تستطيع أن نقرأ: نسل مختار، أمّة مقدّسة، شعب للاقتناء، حيث تلعب «للاقتناء» وظيفة صفة.

نجد لفظة «هياراماً» (كهنوت) في آ٥، آ٩. ولكن يجب أن نلاحظ تطويراً في التفكير من آ٥ إلى آ٩. فإن آ١٠-٩ تشكّلان تقدماً بالنسبة إلى آ٥-٤. يرى سبيك أن آ٩ التي تستعمل استشهادات ببليّة، تفسّر الكراهة المسيحيّة كما في آ٧، والكهنوت المقدس كما في آ٥. هذه اللفظة غير موجودة إلّا في التوراة (خر ٦:١٩) والنصوص التي تورد هذا الاستشهاد (مك ٢:٢؛ فيلون، هجرة إبراهيم ٥٦). فهي، شأنها شأن كل الالفاظ التي تتنهى بهذا الشكل، تعني الجماعة، لا الفرد، وارتأى ترجمة: «حلقة كهنوتية». ورأى آخرون أن اللفظة ترافق (هياراتيا)^(٩) وتدلّ على ممارسة الوظائف الكهنوتية^(١٠). أما فانوا فرأى أن لا تترجم بـ«وظيفة»، بل «ممارسة عملية لوظيفة»^(١١). أما «هياراماً» فلا تترجمها بالطريقة عينها في آ٥، آ٩. ففي ٢:٥ تدلّ العبارة على ما إليه يتوجّه «البيت الروحي». ويحدّد أي عمل يُنتظر من البيت الروحي: تقديم ذبائح روحية. أما في ٩:٢ فتعيّر بطرس يدلّ على هيئة كهنوتية. في النصّ الأول (٥:٢) لا تعيب الوجهة الفردية والجماعية ولكن يعبر عنها بلفظة «بيت». أما في النصّ الثاني (٩:٢) حيث لا تترکر لفظة «بيت»، فتعود الوجهتان إلى «هياراماً».

إن المفهوم العمادي في ابط يساعدنا على فهم صحيح للفظة «هياراماً». إن مرتدّين جاؤوا من الأمم الغريبة وكانوا يمارسون عبادة الأوثان (١٨:١)، صاروا الآن الشعب الذي اقتناه الله (٢:٩). كانوا غرباء عن العهد الموسوي، فصاروا

Hierateia. (٩)

F.W. BEARE, The First Epistle of Peter, Oxford, 1961, p.66; F.J.A. (١٠)
HORT The First Epistle of St Peter, London 1908. p. 109-110.

A. VANHOYE, Prêtres anciens p. 290 n.46. (١١)

شعب الله. إذن، حدث تحولٌ في البنية الاجتماعية لشعب الله، تكونه الآن جماعةً المعتمدين مهما كان أصلهم العرقي أو الوطني^(۱۲). وبين شراح^(۱۳) أن ترتيب الكلمات التي تحدد الفاعل «أنتم» (آ-۴-۵) يتم بالنظر إلى موضوعين: ذاك الذي يرتبط «بالحجر»: حجارة حية، بناء، بناء روحي. وذاك الذي يرتبط بالله: كهنوت مقدس، ذاتٍ روحيَّة. إن ما في الأولى يخضع لما في الثانية. أما صفة «روحي» فتنطبق على السلسلتين: بيت روحي. ذاتٍ روحيَّة. إن موضوع «الحجارة الحية» يشدد على الوجهة الاجتماعية لهذه الولادة التي يمنحها العماد للمؤمنين الجدد. وفي قلب البناء تُوجَد الحجارة في ارتباطها المتبادل بعضها بعض لا في وجودها من أجل ذاتها. وبعد موضوع «الكهنوت المقدس» الذي يحدّد بعمل هو «الذبيحة الروحية»، يأتي موضوع «الحجارة الحية» الذي لا ينغلق على فكرة «ثبات مريح» نجدها في لفظة «بيت»: فالفاعل يلعب دورين يحدّدَهَا شخصان إلهيان: بني على حجر الزاوية فهو في بيته. ولكنه أيضًا في خارج بيته لأنَّه يتطلع إلى «الله» بذبيحة العهد. نلاحظ هنا أن الدور يرتبط بالدور الآخر. ولا يكون دور من دون الآخر: لا بناء بدون ذبيحة. ولا ذبيحة لا تستند إلى «حجر». فالحجارة الحية توجه نحو المسيح «الحجر الحي» (آ-۴). و«الذائِح الروحية» التي تحدد «الكهنوت المقدس» توجه نحو الله ولكنها تجذب أيضًا الانظار إلى المسيح. لا تطبق أبط لفظة ذبيحة على موت المسيح. ولكنها تتحدث عن «دم كريم، دم الحمل الذي لا عيب فيه ولا دنس» (۱۹:۱). فذبيحة المسيحيين الروحية تظهر هكذا كجواب على ذبيحة الحمل، كعطاء تجاه عطاء. تجاه الدم المراق هناك تقدمة الشخص. يبدو أنها لا تستطيع أن نحصر هذه التقدمة الشخصية التي لأجلها كونَ الشعب «كهنوتًا مقدسًا» في تقدمة الأفخارستيا وحدها. فحياة المسيحيين في حَد ذاتها هي ما يشكل جوابهم على الدعوة التي تلقواها كـ«كهنوت مقدس» وـ«كهنوت ملوكي»^(۱۴).

(۱۲) حاشية ۶، ص ۱۴۰.

(۱۳) J. CALLOUD et F. GENUYT, La première épître de Pierre. 1982, P.125ss.

(۱۴) حاشية ۶، ص ۱۴۱.

ويُطرح سؤال: هل نظر بطرس (أو استبعد) كهنوتاً تراتبياً وأسرارياً؟ يعتبر الشرّاح أن هذه السؤال في غير محله. قال سبيك: «هي مسألة لا يتطلع إليها ابٌ ولا عبٌ: فال العبادة هي روحية في مجتمع روحي، حيث الذبائح الروحية يقدمها بالضرورة كهنوت روحي»^(١٥). تلتقي ابٌ هنا مع عدد من النصوص البوليسية التي تسير في خط تماهي الحياة المسيحية مع الليتورجيا. مثلاً أَفْ ٢:٥؛ فل ١٧:٢؛ روم ١٦:١٥؛ ١٢:١. في روم ١٦:١٥ يرى بولس نفسه خادم المسيح يسوع «ليقدم الله، بشكل ذبيحة، إعلان الانجيل لكي يصبح الوثنيون ذبيحة مرضية». إن الخدمة الرسولية التي يعبر عنها بالفاظ الخدمة الليتورجية، تتقطّع على وضع مشترك بين جميع المؤمنين. ولكن يجب أن نشدد على أن «الكهنوت الملوكى» لا يمارس إلا في كنيسة (هي جسد المسيح) مرتبة على خدم نالت نعم الروح (رج ١كور ١٢). هنا نجد في شكل آخر وجهة جوهرية من العهد القديم. في اسرائيل كانت «الأمة المقدسة» مرتبة على خدمة التقديس المسلمة إلى بني هارون. ما دام الهيكل حاضراً ولি�تورجيته (وهذه ميزة يهودية حسب روم ٩:٤-٥)، لم يُطرح السؤال على الجماعة المسيحية المتهدّدة. ولكن لما زال، طرُح السؤال على جميع أعضاء الكنيسة. وتطلعت عباد ويو إلى هذا التبدل، كل من منظاره. في هذا النطاق نستطيع أن نربط «الذبائح الروحية» في شعب الله الجديد، بالبني الخاصة بالكنيسة. وبين فانوا^(١٦) أن بولس فهم دوره كخادم، لا كمؤمن بسيط، وهذا لا ينفي كل ما قيل عن العمل العبادي الذي يقوم به الرسول. وبطرس أيضاً لا يقول شيئاً ضدّ كهنوت الخدمة. ولكن الالفاظ المستعملة تفترض هذا الكهنوت لأن لكل انسان بيتٌ بالضرورة. وإذا كان بطرس لا يطبق بشكل مباشر على المسيح لقب كاهن، فهو ينسب إليه في الواقع موقع الكاهن، لأنه يشدد على ضرورة الوساطة.

٢ - رؤيا يوحنا

نجد ثلاثة نصوص في رؤيا تطبق موضوع الكهنوت على الشعب المسيحي. رؤيا ٦:١؛ ١٠:٥؛ ٢٠:٦.

(١٥) حاشية ٣، ص ٨٥.

(١٦) حاشية ١١، ص ٣٠١-٣٠٠.

هذه الآية (٦:١) هي جزء من مقطع يبدأ بمقدمة في بداية رؤ (٤:٨-٩). بعد تحية في صيغة المخاطب الجمع (أنتم، آ٤)، عليكم النعمة والسلام، ترد مجدلة في صيغة المتكلّم الجمع (نحن، آ٥-٨، أحبنا وحررنا). وجود لفظي «ملكوت» و«كهنة» الواحدة قرب الأخرى يذكرنا بما في خر ١٩:٦. ولكننا نبدأ بالاختلافات.

- كانت صيغة المضاف والمضاف إليه (ملكوت كهنة). فصارت صيغة العطف: ملكوت وكهنة.

- لا تطبق لفظنا «ملكوت» و«كهنة» على بني إسرائيل، بل على «نحن». وهذا «النحن» يدلّ على الذين يتّمون إلى الكنائس (٤:١).

- المسيح هو الذي يقوم بالتحول الذي يجعل منا «ملكوتًا وكهنة الله أبيه».

- هذا التحول قد تمّ، وما عاد موضوع انتظار في المستقبل. فإذا كان من علاقة بين خر ١٩:٦ ورؤ ٦:١، فهي علاقة بين الوعد وتتمّة الوعد.

إن عبارة «ملكوت وكهنة» جزء من عمل المسيح الذي عُرض في ١:٥-٦. النجاة من خطايانا بدمه تشكّل الوجهة السلبية. وعمله الذي يجعل «منا» «ملوكًا وكهنة الله أبيه» هو الوجهة الإيجابية. هناك اختلافة نصوصية في آ٥ تقول «اغسلنا» بدل «تحررنا». في هذه الفرضية تصبح العلاقة مع العموديّة ممكّنة كما في ١بط. ولكن التقليد النصوصيّ يميل إلى «حررنا». فنحن أمام تقليد سفر الخروج، وتكوين الجماعة في ملكوت وتحولها إلى كهنة، يرتبطان بالخلاص من الخطايا بالدم.

ونلاحظ أخيراً أن استعمال لفظة «كهنة» لا لفظة «كهنوت»^(١٧)، يطبق الموضع الكهنوتي بشكل شخصي لا نراه بهذه الأهميّة في ١بط. ولكننا نتعرّف

^(١٧) Hieramata (كهنة) كهنوت.

من المفاضلة بين ابط ورؤ حول أهمية الفردي والجماعي. ففي الكنيسة كل شيء وكل شيء جماعي. نستطيع أن نتطلع إلى جماعة الحياة ونمائة الوظائف أو الطابع الشخصي للدعوات التي منحها المسيح لكل عضو في جسده.

ب - رؤ ٥ : ١٠

نجد في هذا النص اللفظتين اللتين وجدناهما في ١:٦: ملوكوت، كهنة^(١٨). السياق هو سياق الليتورجيا السماوية الذي نراه في ف ٤-٥. يتوجه النظر إلى الله (ف ٤) ثم إلى العمل (ف ٥). فالحمل الواقف كأنه مذبوح، يحق له وحده أن يفتح الكتاب المختوم. ويهدف له الأحياء الاربعة والشيوخ الأربعه والعشرون، ويذكرون أنه افتدى الله بدمه، أنساً من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة، وجعل منهم «اللهنا ملوكوتا وكهنة». الاختلافات مع خر ١٩:٦ هي التي أشرنا إليها في دراسة رؤ ٦:١. ونلاحظ بشكل خاص أن العمل هو الذي يعمل هنا لا الله. إن عبارة «جعلت لالهنا»، تذكرنا ربما بما في أش ٦١:٦.

لا يقال شيء عن ممارسة المفديين للوظيفة الكهنوتية. غير أنها نستطيع أن نلاحظ رباطاً ممكناً بين «المناخ» النبائحي في السياق المباشر (إن العمل جعل بدمه ملوكوتا وكهنة) ومجيء لفظة «كهنة». ولكن «فانوا» يوضح أن فعل «سفازاين» (ذبح) وفعل «اغورازاين»^(١٩) (افتدى، اشتري) لم يؤخذنا من مفردات النبائحة العابدية^(٢٠). إذن، هناك مفارقة أن يكون العمل المذبوح هوأسد يهودا. وهناك مفارقة أخرى أن نرى «المفديين بالدم» قد صاروا كهنة وملوكوا على الأرض. فالذين يملكون هم كهنة وهم مفديون بدم العمل. أما الإشارة إلى «صلة القديسين» (آ ٨)، فتدل ربما على الشكل الذي فيه يُمارس الكهنوت والمملوكوت.

(١٨) Basileia (كهنة)، Hieresis (كهنة).

(١٩) Sphazein, Agorazein.

(٢٠) Vanhoye. ٣٢٥، حاشية ١١، ص

لا يتحدث هذا النص الآخر عن كهنة صنفهم المسيح لالهنا كما في ٩:٥، بل عن «كهنة الله المسيح». يشدد النص على الاستشهاد والموت لأجل المسيح. ووحدهم الذين دُبحوا من أجل شهادة يسوع وكلمة الله، يشاركون في القيامة الأولى لملك يدوم ألف سنة (٤:٢٠). ويسمون سعداء وقديسين بعد أن مُنحت لهم ثلاثة امتيازات. الامتياز الأول يجنبهم حكم الموت الثاني. والامتيازان الثاني والثالث يجعلهما «كهنة الله والمسيح» ويمنحهما ملك ألف سنة. إن استعمال المضارع لا الماضي كما في ٦:١ يفتح التطوبية (سعيد وقديس) على المستقبل. فالكهنوت يقدم هنا كامتياز آت يرى فيه بعضهم درجة سامية: «انتقل الشهداء من درجة الكهنوت الأولى التي هي مشتركة بين جميع المعبددين إلى درجة سامية» (٢١).

هذه النصوص الثلاثة التي أخذت من رؤ، بينت وضع المعبددين فنسجت نسجاً دقيقاً الموضوع الكهنوتي والموضوع الملوكى. هناك بعض المسيحيين يتّحدون اتحاداًوثيقاً بال المسيح الحمل المذبح بواسطة الاستشهاد. وهكذا يتم كهنتهم في درجة سامية.

(٢١) حاشية ١١، ص ٢٣٣

القِسْمُ الخَامِسُ

الْكَهْنُوتُ

عِنْدَ

آبَاء الْكَنِيسَةِ

يتضمن هذا القسم الفصول التالية :

- ١ - الكهنوت لدى الآباء الرسوليين
- ٢ - الكهنوت عند اكلمنصوس الاسكندراني
- ٣ - الكهنوت في مؤلفات اوريجانس
- ٤ - الكهنوت عند قبريانوس أسقف قرطاجة .

الفصل الحادي والعشرون

الكهنوت لدى الآباء الرسوليين

حين نقرأ مؤلفات الآباء الأولين، ندهش بسبب المعلومات الضئيلة التي يقدمونها عن الكهنوت. بعض هذه المؤلفات دونها أساقفة مثل أغناطيوس أسقف أنطاكيه، بوليكربيوس أسقف إزمير، ايريناوس أسقف ليون (فرنسا)، قبريانوس أسقف قرطاجة. وأخرى دونها أوريجانوس وتريليانوس، وهرماس، ويوستينيوس ابن نابلس في فلسطين. كل ما نجده عند هؤلاء الكتاب حول الكهنوت هو كلمة عابرة تلقي بعض الضوء. ويجب أن ننتظر القرن الثالث لنجد عند أوريجانوس وعند قبريانوس، لا نظرية حول الكمال الكهنوتي، بل إشارات عديدة تتيح لنا أن نكون فكرا ولو قليلة عن الكهنوت.

كيف نفسّر هذا الصمت؟ إن الآباء لم يكتبوا لنا، بل لمعاصريهم الذين ما كانوا يحتاجون أن يحدّثوا عن أمور يرونها في الحياة اليومية. فما إن وُجدت كنائس حتى وُجد أساقفة يترأsonها. وبجانب الأساقفة الكهنة والشمامسة. كيف تبدو أصول الأسقفيّة بالنسبة إلى المسيحيين في القرن الأول أو القرن الثاني المسيحي؟ ونبأً مع اكلمنضوس (٩٧-٨٨) في رسالته الأولى إلى الكورنثيين.

١ - اكلمنضوس ، أسقف روما

كتب اكلمنضوس في رسالته إلى الكورنثيين (٤٢: ٤-١) ما يلي: «إن الرب

يسوع المسيح بعث الرسل كحاملي الأخبار الطيبة. ويسوع أرسله الله. إذن، جاء المسيح من الله، والرسل جاؤوا من المسيح: يبنّى هذان الأمران من إرادة الله. تزوّد الرسل بتعليمات ربنا يسوع المسيح، وأمنوا كل الإيمان بقيامته، وتشتّوا بكلمة الله. فمضوا يعتصّهم الروح القدس، ليعلنوا البشرة واقتراب ملّكت الله. كرزوا عبر المدن والقرى، وامتحنوا في الروح القدس باكورتهم، فأقاموهم أسفافه وشمامسة للمؤمنين الآتين إلى الإيمان».

تلك كانت البدايات. بعد ذلك، تشعبت الأمور بعض الشيء بسبب الضعف البشريّ. ولكن تنظمت قواعد الخلافة حسب إشارات أعطاها بولس الرسول في الرسائل الرعائية. إن الأسفاف والكهنة والشمامسة ساسوا الجماعات دون أن تكون هناك صدامات أو خلافات تُذكر. فلماذا يكتب الآباء الأوّلون عن مؤسّسة تسير بشكل عادي؟

وطرحت مسائل. هل يخضع العوام للاسفاف، وإلى أي حد؟ وهل يحق للعوام أن يعزلوا الأسفاف من وظائفهم في بعض الشروط؟ وبكلمة واحدة: هل كان الأسفاف وحدهم المحامين المأذونين عن الاورثوذكسيّة، وهل يحقّ لغيرهم أن يُعطي بعض التعليم؟ وهكذا طُرح موضوعان في نهاية القرن الأول وبداية الثاني: السلطة التنظيمية والسلطة التعليمية. ومن خلال هذين الموضوعين نستشفّ المزايا المطلوبة من الكهنة في روما وكورنوس وأسية الصغرى وسوريا.

لن نتوقف هنا عند طبيعة القلاقل التي حرّكت كنيسة كورنوس سنة ٩٦، ودفعت اكلمنضوس الروماني إلى التدخل من أجل السلام والوفاق. يكفي أن نذكر أن بعض المحرّكين المتهوّرين الوجعين أثاروا المؤمنين ضد الكهنة الذين عزلوا من وظائفهم التي قاموا بها بلا عيب ولا لوم (١٧:٤٤؛ ٦:٤٤). فذكر اكلمنضوس مفتولي الشقاق أنه يجب أن يسود أفضل نظام في الجماعة المسيحيّة، على مثال ما في الكون الذي رتبه الخالق ترتيباً عجيناً. وعلى مثال ما في الجيش حيث يأخذ كل واحد المرتبة التي أعطيت له. وعلى مثال ما في جسم الإنسان حيث تشارك جميع الأعضاء في راحة الجسد كله (٢٠:١١-١؛ ٢٣:٢-٦).

(٣٧:٥-١). ففي الكنيسة رؤساء نطيعهم: هم الكهنة والأساقفة. فعلى المؤمنين أن يخضعوا لهم وبؤدوا لهم الأكرام الواجب، إذا أرادوا أن لا يسقطوا في ذنوب خطيرة (٢١:٣؛ ٦:٢١).

لا تعطينا رسالة اكلمنضوس هذه، معلومات عن تأسيس الكهنة. بل تكتفي بالقول إن الرسل وضعوا هذه القاعدة: بعد موت الذين أقاموهم أساقفة للمؤمنين وشمامسة، سيأتي أناس مختلفون ويخلفونهم في خدمتهم. وما لا شك فيه أن هذه القاعدة أتبعت. ففي زمن اكلمنضوس، تابع الكهنة عملهم وما خافوا أن يُطردوا من المهمة التي كُلّفوا بها (٤٤:٥). وخلفهم أشخاص مجلون اختارتهم كنائسهم (٤٤:٣). وهكذا ملأت الكنيسة الفراغ الذي حصل بموت الكهنة. ما ميز اكلمنضوس بين الأساقفة والكهنة. وما تحدث عن الاحتفال الذي به يتكرّسون كلهم لخدمة الله.

حين يُقام الكهنة في الخدمة، لا يُعزلون عنها. وتلك هي الخطية التي وقع فيها الانفصاليون في كورنتوس. نحن اليوم نميّز سلطة الكهنة التي تمنع وسمّا شخص من الأشخاص. وسلطة الولاية على «رعاية»، التي هي سلطة تُعطي وتوخذ. ما قامت رسالة اكلمنضوس بهذا التمييز، ولكنها كانت قاسية ضدّ الدين عزلوا هؤلاء الكهنة من وظيفتهم (١:١).

في الكنيسة وظيفتان للكهنة: خدمة الكلمة وتربيّة المؤمنين. ثم الاهتمام بشعائر العبادة وتقديم الذبيحة. أما التربية فتبدأ على مستوى الأخلاق. كتب اكلمنضوس: «من هو ذلك الذي أقام بينكم وما عرف إيمانكم المتين والغني بالفضائل، وما تعجب من تقواكم الفطنة والمعتدلة في المسيح، وما اختبر سخاءكم العادي في الضيافة، وما طوب معرفتكم التامة والأكيدة؟ فأنتم تتصرّفون في كل شيء بدون محاباة للوجوه. تسيرون بحسب شرائع الله، خاضعين لرؤسائكم ومؤذين لكهنتهم الأكرام الواجب لهم. تتصحّرون الشّيّان بالاعتدال والوقار. وتوصون النساء بأن يقمن بواجباتهنّ كلها بضمير لا عيب فيه، بضمير لائق وظاهر. بأن يحببن أزواجهنّ كما ينبغي. وتعلموهنّ بأن يتّخذن موقف

الطاعة ويدبرون بيتهن كما يليق، ويكنّ رزينات في كل شيء» (١: ٢-٣؛ ٢١: ٦). تحدث البابا إلى جميع المؤمنين في كورنتوس. ولكنه فكر بشكل خاص بالكهنة وبالتعاليم التي يعطونها. فإذا كان الشبان والنساء يعرفون الفضائل التي تجب ممارستها، فهذا يعود إلى ما تلقوا من دروس من الكهنة. ويتابع أكلمنضوس كلامه: «إخضعوا. إقبلوا التأديب بروح التوبة. احنوا ركاب قلبكم. تعلّموا الطاعة. تخلوا عن عجرفتكم بما فيها من ترفع وكبرباء حين تتكلّمون. خير لكم أن تكونوا صغاراً وتحصون في قطع المسيح من أن تستبعدوا من الرجاء المسيحي وشهرتكم رفيعة» (٧: ٥٤؛ ٢: ٥٦).

وإلى مهمة التربية والتعليم تُضاف خدمة الليتورجيا للكهنة: « علينا أن نفعل بترتيب ما فرض رب علينا أن نتم في الأزمنة المحددة. فقد فرض علينا أن تُحمل التقادم لخدمة الله، لا عن طريق الصدفة وبدون ترتيب، بل في أزمنة وأوقات ثابتة. فقد حدد بنفسه وبإكرام سام من عنده، الأمكانة والخدم، لكي يتم كل شيء بقداسة حسب رضاه، ويسير مشيئته... أعطيت لعظيم الكهنة وظائف خاصة. وللكهنة أماكن محددة. وللأوبيين خدم تختص بهم. وارتبط العوام بفرائض تتعلق بالعوام» (٤: ٤-٣، ٥). بدا أكلمنضوس وكأنه يتكلّم عن الليتورجيا اليهودية، عن كهنة العهد القديم. فذكر أن كل شيء ترتب بدقة بيد الله نفسه. ولكن فكره يتوجّه في الواقع إلى كهنوت العهد الجديد. فعند المسيحيين أيضاً هناك عظيم كهنة هو يسوع المسيح (٦: ٣٦) الذي تحدثت عب عن وظائفه وأميّزاته. وهناك الشيوخ من كهنة وأساقفة يشرفون على الاحتفالات الليتورجية في الموضع المعد لهم. وأخيراً هناك الشمامسة الذين يقومون بالخدمة المخصصة لهم. أما العوام فلا يتّمرون إلى عالم الكهنوت. وليس لهم أن يقدموا الذبائح. ولكن ما هي الليتورجيا التي يخدمها الكهنة؟ هذا ما لا نجد له في رسالة أكلمنضوس إلى الكورثينيين. كل ما نجد له هو صلاة طويلة نقرأها في بداية الرسالة تقريراً، وقد تكون نموذجاً من نماذج الصلوات الليتورجية.

٢ - أغناطيوس الانطاكي

إن رسائل أغناطيوس الانطاكي (١٠٧+) تجعلنا نرى الكهنوت في الحياة

اليومية. فتقول إنه لا جماعة مسيحية حيث لا كهنوت: «يجب أن تكرّموا الشمامسة كال المسيح نفسه، والأسقف كصورة الابن. والكهنة كمجلس شيوخ الله وحلقة الرسل: فبدونهم لا كنيسة» (ترالين ٣: ١). لقد بدأ التمييزُ بين الدرجات الثلاث. فالأسقف هو في الرأس. إنه تجسيد الكنيسة: «تقبّلتكم كلّكم باسم الله في شخص أوسنیس (أسقف أفسس رج رسالة بولس إلى فيليمون)، هذا الرجل الذي ينعم بمحبة كبيرة، أسقفكم في الجسد» (الأفسسین ١: ٣). وكتب إلى الترالين: «أظّر كنيستكم كلها في شخص بوليبوس أسقفكم» (١: ١). هكذا يكون الأسقف التجمعَ المنظور للمؤمنين في موضع محدد. هو حبٌ يتجسد. هو تجلّي الوحدة المسيحية. لهذا يُحكم على الجماعة بقدر ما تكون متّحدة بأسقفها.

والأسقف هو ممثّل يسوع المسيح. فمن أطاع الأسقف أطاع يسوع المسيح (ترالين ٢: ٣-٤). هكذا تأمّن وحدة الكنيسة: «يجب أن تكونوا فكراً واحداً وحيداً مع أسقفكم... ومجلس كهنته الموقر الذي يليق حقاً بالله، هو متّحد بالأسقف كالاوتار بالعود. ومن تمام توافق عواطفكم ومحبّتكم، يرتفع نحو يسوع المسيح جوقة مدحٍ. فليدخل كل واحد منكم في هذه الجوقة: حينئذ تأخذون بوحدتكم، في التناسق والوفاق، لهجة الله، وتشدون كلّكم بصوت واحد بيسوع المسيح مدائح الآب الذي يسمعكم. وحين يرى أعمالكم الصالحة يرى فيكم أعضاء ابنه» (الأفسسین ٤: ١-٢). «الله هو الأسقف اللامنظور. والأسقف المنظور يحل محله. حين نكرم الأسقف نكرم قدرة الله الآب. وحين نغضّن الأسقف المنظور، فكأنّنا نكذب على الأسقف غير المنظور» (المغنيزین ٣: ١-٢، ٦: ٢).

كان أغناطيوس انساناً متصوّفاً، يعيش منذ الآن في عالم الآخرة. لهذا، ما يحتاج أن يذكر كيف أسس الله الكهنوت، ولا أن يتحدث عن الخلافة الرسولية. فأمامه أساقفة من لحم ودم، وقد أرسلتهم كنائسهم إليه، كنائس هم متّحدون بها. ويتوافقون معها كل توافق الفكر والروح. فحيث نجد كنيسة هناك نجد أساقفًا. بعد هذا سيكون من الضروري التتحقق من اعتبارات أولئك الذين يسمون نفوسهم أساقفة وليسوا بأساقفة: جعلوا نفوسهم على رأس شيعة من الشيع وما استطاعوا

أن يبرهنو الأصل الرسولي للجماعة التي «يرئونها». وحدها الجماعات المسيحية الاورثوذكسية لها أسقف وحلقة كهنوتية وشامسة. وحيث الهراطقة، لا تراتبية كهنوتية حقيقة. لقد انقطع الهراطقة عن الكرمة الحقة، فحملوا ثمار الشر لأن الآب لم يغرسهم (ترالين ١١: ١؛ فيلدلفية ٣: ١؛ أفسسيين ١٠: ٣).

وجاء بعض الهراطقة يطلبون من أغناطيوس براهين تzend ما يقوله. ففي فيلدلفية لا يؤمنون إلا ما كتب في «الوثائق»، في الاناجيل. فأين سيجد أغناطيوس الجواب؟ الروح القدس قال له: «لا تصنعوا شيئاً بدون الاسقف. حافظوا على جسدكم كهيكل الله. أحبوا الوحدة. أهربوا من الشقاق. إتقدوا بيسوع المسيح كما اتقدي هو بالآب». وأضاف: «بالنسبة إليّ، الوثائق (الارشيف) هي يسوع المسيح. والوثائق اللامنظورة هي صلبيه وموته وقيامته وإيماننا به» (٧: ٢؛ ٨: ٢).

كيف يصبح الانسان أسقفاً؟ هذا ما لا يقوله أغناطيوس، والسؤال لم يُطرح في ذلك الوقت من قبل أناس يرون أسقفهم أمامهم. وإن كان أسقف مغنيزية شاباً، فلا ننسى أننا حين نكرم الاسقف، إنما نكرم الله الآب (٣: ١). فليتميّز الكاهن بفضائله: أونسيمس، أسقف أفسس، يتميّز بمحيته (١: ٣). دماسيوس، أسقف مغنيزية، يليق بالله (٢: ١). بوليبيوس، أسقف تراليس، هو مثال المحبة التي تملأ أبناء أبرشيته. وداعته قوة، واللامؤمنون أنفسهم يكرمونه (٣: ٢). ويمتحن أغناطيوس أسقف فيلدلفية فيقول: «ما حمله إلى تدبير الجماعة ليست محاولات، ولا رضى الناس، ولا عاطفة من الغرور الباطل، بل محبة الله الآب والرب يسوع المسيح. تواضعه لفت نظري. وحكمته أقوى من الخطب الباطلة. وسلوكه يتوافق مع شريعة الله... لهذا أهنته من كل قلبي لتقوى نفسه. قدرت فضيلته وثباته وهدوءه، وكل هذا يدل على تنازل الله الحي» (١: ١-٢).

وتعطينا الرسالة إلى بوليكريبوس معلومات عن واجبات الأسقف، والفضائل التي يجب عليه أن يمارسها: «برّ موقعك بكل سهر جسدي وروحي... أطلب تمييزاً أكبر مما لك الآن... كن معتدلاً كجندى الله... كن غيوراً أكثر مما أنت

عليه الآن. إعرف الزمن... لا يُصنع شيء بدون رأيك. وأنت لا تصنع شيئاً بدون الله» (٤-١). خاف أغناطيوس على هذه الاسقف الشاب، فدعاه إلى الحكم الروحية.

الأسقف هو رجل الوحدة وقد أعطي سلطات ونعمًا من أجل كل ما يُعمل في الكنيسة: شعائر العبادة وتنظيم الجماعة، الدفاع عن الإيمان وتعليم العقيدة، حياة النفوس وعمل الرعاية والإرشاد. ونبأ باللبيورجيا. «لا تعمدوا شيئاً بدون الأسقف، في ما يتعلق بالكنيسة، ولا تعتبروا شرعاً إلا الأفخارستيا التي يُحتفل بها تحت رئاسة الأسقف أو موافقه... لا يحق لكم أن تعمدوا أو أن تأكلوا عشاء المحبة خارجاً عن الأسقف. فما يوافق عليه يرضي الله عنه أيضاً. بهذا الشكل يكون كل شيء أكيداً وشرعياً» (سميرنinin ٨). فالكنيسة جماعة، وعبادتها عبادة جماعية. فاليسوعيون الحقيقيون يعرفون أن من رفض أن يأتي إلى الجماعة، ويحصر نفسه في صلاة فردية، يدلّ على كبرياته ويعيش في «الحرم» (أفسسيين ٥: ٢). «كما أن الرب بنفسه، أو بواسطة رسالته، لم يصنع شيئاً دون الآب الذي هو واحد معه، كذلك أنتم لا تفعلوا شيئاً بدون الأسقف والشيوخ. لا تحاولوا أن تعتبروا عملاً فردياً وكأنه مقبول: ما هو صالح هو مشترك: صلاة واحدة، تضرع واحد، روح واحد، رجاء واحد في المحبة، في حياة بارة. كل هذا هو يسوع المسيح وليس أفضل منه» (مغنىزيين ٧).

وقال أغناطيوس في رسالته إلى فيلدلفية: «ليس إلا جسد واحد لربنا. وكأس واحدة لوحدة دمه. ومذبح واحد. كما أن هناك أسقفاً واحداً في حلقة الكهنة والشمامسة الذين هم رفقاء في الخدمة» (٤). كل الأسرار يكون الأسقف حاضراً فيها حتى الزواج: «الذين يتزوجون، لا يتزوجون بدون موافقة الأسقف. ففكّر الله يشرف على الزواج لا أهواء البشر» (بوليكريوس ٥: ٢). ويتبع في كلامه إلى الأفسسيين: «حين تجتمعون مراراً تدمرون قوى الشيطان، وتتأثره الشرير يتبعز أمام توافق إيمانكم» (١٣: ١).

هذا بعض ما قاله اكلمنضوس الروماني وأغناطيوس الانطاكي عن الكهنوت.

كان بإمكاننا أن نتوسّع أكثر في ما يقوله أغناطيوس عن دور الكهنة والشمامسة. كما كان بإمكاننا أن نذكر تعليم الرسل (الديداكيه)، ورسالة بربابا، وراعي هرماس وهذا ما يقودنا إلى سنة ١٥٠ ب. م. ولكننا اكتفينا بهذا القدر عالمين أن هذه الوثائق القليلة لا تعطينا كل غنى الكهنة في القرنين الأول والثاني في حياة الكنيسة. فهناك الشهادات العديدة التي نجدها مثلاً عند أوسيبيوس القيصري، وهي تفهمنا عمل الكهنة في الكرازة بال المسيح، في تعليم طريق القدسية، في ممارسة العماد والافخارستيا، في رعاية القطيع على مثال الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن أحبابه.

الفصل الثاني والعشرون

الكهنوت عند اكلمنضوس الاسكندراني

تأخرت كنيسة الاسكندرية، فما دخلت في التاريخ قبل القرن الثاني. وأول أسقف من أساقفتها نعرفه هو ديمتريوس (٢٥١-١٨٩). ولكن بما أن المعلميين الغنوصيين الكبار، مثل باسيليوس وولنطينس، مارسوا نشاطهم في مصر قبل ذلك الوقت، افترض بعضهم أن المسيحية دخلت أولاً بواسطة الهرطقة، وأن الاورثوذكية ظهرت بعد ذلك كرد على التيار الغنوسي. ولكن هذه الفرضية غير معقولة. فقد كتب اكلمنضوس الاسكندراني ما يلي: «إن تجمعاتهم (= الهرطقة) البشرية قد ولدت بعد الكنائس الكاثوليكية. فهذا لا يحتاج إلى الخطب الطويلة لكي نبرهن عنه. فتعليم الرب، في زمان حضوره على الأرض، بدأ في أيام أوغسطس وانتهى في متصرف عهد طيباريوس. وتعليم رسل الرب مع خدمة بولس، انتهى في أيام نيرون. وسوف ننتظر عهد أدريانس لكي نرى مستنبطي البدع: سوف يتواصل عملهم حتى زمن انطونينس الأكبر... من الواضح أن هذه الهرطقات اليهودية وتلك التي جاءت بعدها، هي أمور جديدة وتشوهات بالنسبة إلى الكنيسة البكر والحقيقة» (موشيات ٧/٧: ١٠٦-١٠٧).

بدت المسيحية الاسكندرانية في أول عهدها مطبوعة بالطبع العقلّي، بعد أن كانت الاسكندرية المركز العلمي الأهم للأدب الهلنستي. فكلّ ما هو حيّ في عالم الفكر نجده في الاسكندرية. وحين كان اكلمنضوس يعلم فيها، كان الفلكيّ كلوديوس بطليموس الذي سيفرض نفسه على العلماء خلال ألف سنة، قد أنهى

حياته. وفي فقه اللغة سنجد أبولونيوس وسكولوس الذي كتب حول الصرف وال نحو. وألف اتيناوس مجموعة من ١٥ كتاباً ضمّ فيها مقطفات من قراءته حول العلوم. وكان أمونيوس يستعدّ ليعلم الفلسفه الإلحادية ويجمع حوله تلاميذ مندفعين لهذه الفلسفه.

ونقول الشيء عينه في المجال الروحي. إذا كان المعلمون الغنوصيون الكبار قد ماتوا، فمدارسهم ما زالت حية، وتلاميذهم ينقلون التعليم بأمانة أو يصححونه بعض المرات. وبين اليهود، ظلّ ذكر فيلوب حياً مع تفسيره الاستعاري للكتب المقدسة: ففسر فرض نفسه على العقول التي تبحث عن تقارب مع الفكر اليوناني. هذه الظروف تفسّر في قدر كبير الطابع الخاص لكنيسة الاسكندرية، حيث احتلّ المعلمون مكانة كبيرة بحيث كسفوا التراتبية الكهنوتيّة. لا شك في أنه كان في روما مدارس منذ منتصف القرن الثاني، وبدأت روح البحث حوالي سنة ٢٠٠ وتطورت تطويراً واسعاً. ولكن كل هذا يبقى ضئيلاً بجانب الحركة التي شاهدتها في الاسكندرية منذ بداية المسيحية، بل قبل ذلك.

أول اسم نعرفه بتينيوس. كان معلم اكلمنضوس الذي كتب عنه: «وجدته مختبئاً في مصر، فما بحثت عن غيره: هذه النحلة الحقيقة من صقلية كانت تجري في المروج وتقطف أزهار الأنبياء والرسل، لتكون في نفوس الذين يسمعونها كما في خلية مقدسة شعاعات نقاء، لا من العسل، بل من المعرفة والنور» (الموشيات ١١/١). ويقول أوسابيوس القيصري إن بتينيوس كان معلماً في مدرسة التعليم المسيحي. وكان اكلمنضوس معلماً في خط بتينيوس.

يبدو أن اكلمنضوس لم يكن كاهناً. وقد ذكر الدرجات الثلاث في التراتبية الكهنوتيّة: «هناك ألف فريضة تتعلق بالأشخاص المختارين، قد عبرت عنها الكتب المقدسة: بعضها يتعلق بالكهنة أو الأساقفة، والبعض الآخر بالشمامسة، والبعض الأخير بالأرامل» (المربّي ٣: ١١). وفي موضع آخر، لا يتكلّم إلا عن الكهنة والشمامسة الذين يجعلهم أمام العوام: «يتوافق (الرسول) كل الموافقة بأن يكون زوج امرأة واحدة كاهناً أو شمامساً أو من العوام، إذا مارس الزواج بلا لوم»

(الموشيات ٣/١٢). ويتحدث اكلمنضوس عن الرؤساء، عن الرعاة المكلفين بتدبير قطيع المؤمنين (المريبي ١:٦). ويشير إلى هذه التراتبية إشارة عابرة في المoshيات: «أما الاهتمامات المتعلقة بالانسان، فهناك السميّا وهناك الدنيا: فالطلب يهتم بالجسد والفلسفة بالنفس، والفلسفة أسمى من الطب. ويتلقي الوالدون خدمات من أولادهم، والرؤساء من الخاضعين لهم لأنهم رؤساً لهم. ونقول الشيء عينه عن الكنيسة: يحتل الكهنة درجة سميّا والشمامسة درجة دنيا. والملائكة يقومون بالنسبة إلى الله بهاتين الخدمتين حين يخدمونه في تدبير الأشياء الأرضية» (٧/١٣).

ذكر اكلمنضوس الكهنة والشمامسة وما ذكر الأساقفة. أتراء لم يجد تمييزاً بين الأساقفة والكهنة؟ أو هو اعتبر الاسقف أول الكهنة أو أول الشيوخ. وفي مقطع آخر من المoshيات، يقابل بين التراتبية الكنسية وصفوف الملائكة: «هذا هو شيخ الكنيسة والشمامس (= الخادم) الحقيقي لمشيئة الله، الذي يمارس أمور الرب ويعلمها. لا يعتبر باراً لأن الناس اختاروه ولأنه كاهن، بل لأنه، لأجل برارته جُعل في حلقة الكهنة (أو القسّيس والشيخ). وإن لم يتأل على الأرض كرامة الكرسي الأول، سيجلس على أربعة وعشرين كرسيّاً ويدين الشعب، كما يقول يوحنا في سفر الرؤيا... فالمراتب المتدرجّة التي نراها هنا في الكنيسة، من أساقفة وكهنة وشمامسة، هم في رأيي تقليد لمجد الملائكة ولهذا التدبير الذي تعتبره الكتب المقدّسة محفوظاً للذين يسلكون في خطى الرسل ويعيشون في كمال البر بحسب الانجيل. سيخطفون في السحب، كما يقول الرسول، ليقّوموا بوظيفة الشمامسة، ثم يُقبلون في حلقة الكهنة حسب ترتيب المجد، لأن هناك مجدًا ومجدًا، إلى أن يدركوا قامة الانسان الكامل» (٦/١٣ - ١٠٦).

ظهر الأساقفة هنا مع الآخرين. هم يحتلّون الكرسيّ الأول. وهكذا يلتقي اكلمنضوس مع راعي هرماس فيجعل من الاسقف الكاهن الاول. ونلاحظ أن الشعب يختار الشمامسة والكهنة. وبرهم هو الذي يستحق لهم هذه الكرامة. فنفكّر ونحن نقرأ هذه النصوص برسالة بعث بها أسقف ليون إلى الباب الوثيرس: «كلفنا أخانا ورفيقنا ايريناوس أن يسلمك رسائل. ونحثك على أن تستقبله كرجل

غير على وصية المسيح. لو ظننا أن الحالة تمنع البر لأحد، لقدمناه ككاهن الكنيسة، لأنه هو أيضًا كذلك» (أوسابيوس، التاريخ الكنسي ٥: ٢). ففي نظر اكلمنضوس كما في نظر المؤمنين في ليون، «يتطلب الكهنوت البر (والقداسة) ولكنه لا يزيد عليه شيئاً أو لا يكاد يزيد».

في الواقع، لا يهتم اكلمنضوس بالكهنوت ككهنوت ، بل بالمعلم الذي يتولى تلقين التعليم المسيحي. كان أميناً لنظرية قديمة تعتبر أن ما من إنسان شرير بإرادته، فماهٍ بين المعرفة والكمال، بحيث اعتبر أن أعظم وظيفة هي وظيفة المعلم. فعليه أن يتزّين بعده من المزايا لكي يقوم بمهمته خير قيام. «يجب على من يريد أن يعظ الآخرين أن يعرف إن كان يتوخى خير القريب. إن كان لا يستسلم إلى التعليم بتسرع وروح الحسد. إن لم تستلهم طريقه في نشر الكلمة المجد الباطل. إن كان يطلب أجرًا غير خلاص ساميته. إذا كان يعظ لكي ينال الهدايا. إن كان يتتجّب النمية... إن الذي يكلّم سامعين حاضرين، سيُشير مع الوقت، ويحكم ويميز، ويفصل عن الآخرين ذاك الذي هو جدير بالسماع. يلاحظ الكلمات والطرق والعوائد والحياة والحركات والمواقف والصوت لدى كل واحد. ملتقي الطرق والحجر والطريق التي تدوسها الأرجل والأرض الخصبة والمنطقة التي تكسوها الغابات. الأرض التي هي غنية، جميلة مفلوحة، وتلك التي تُثمر الزرع. أما الذي يعلم بالكتابة، فيتنقى أمام الله، لأنه يعلن في مؤلفاته أنه لا يكتب حبًا بالكسب ولا طلبًا للمجد الباطل. إنه لا يخضع لهوى من الأهواء، ولا هو عبد الخوف. ولا تسيطر عليه الشهوة. إنه لا يطلب سوى خلاص قرائه. هو لا ينال الآن أجره، بل ينتظره في الرجاء كجواب من ذلك الذي يستطيع أن يمنع الأجر العادل للعمال» (الموشيات ١/٦).

نلاحظ أولاً أن المعلم لا يختاره الشعب، كما يختار الكاهن. هو يرتبط بضميره وربه، لأنه يعلم متى يروق له وكما يروق. وعمله عظيم جداً بحيث لا يخضع لمراقبة بشرية: ما ينظم كلامه هو تفكيره بخلاص التفوس، حسب الحكمة المطلوبة والفتنة. غير أن ما يقوله اكلمنضوس يجد ما يعارضه حتى عند المسيحيين البسطاء. لهذا كتب في مoshiات: «لا أجهل ما يرددده بعض الجهال

الذين يرتبون من أقل ضجة، ويقولون إنه يجب أن نبقى عند الأمور الجوهرية، تلك التي لها علاقة بالإيمان، وأن نهمل تلك الآية من الخارج والتي هي نافلة» (١٨: ١/١). ويضيف: «اعتبر بعض الناس الذين يظنون نفوسيهم أذكياء، أنه لا يجب علينا أن نهتم بالفلسفة والجدل، ونعتني بدراسة الكون بل يطلبون الإيمان النقى والبسيط، وكأنهم يرفضون أن يعملوا في الكرمة طالبين حالاً أن يقطفوا العنب» (٤٣: ٩/١).

لا يستطيع المعلم أن يفعل شيئاً مع هؤلاء الناس الذين يخافون الفلسفة كما يخاف الأولاد من الأقنعة (٨: ١٠/٦)، وينظرون إليها وكأنها اختراع شيطاني (٦: ٨/٦). واعتبر الكلمنضوس نفسه مجبراً على الدفاع في وجه سلطة الكنيسة الرسمية من كهنة وأساقفة الذين لم يرضوا عن مجده هذا المعلم في تدجين الفلسفة القديمة ومصالحتها مع الكنيسة. إنه متعلق بالتعليم القديم ويعغض الهرطقات ويحتقرها. ولكنه يقف على مستوى الفلسفة الرفيعة.

غير أنه كتب من أجل المؤمنين «أي غني يخلص»، فقدم التعليم المعروف في الكنيسة. روى مثلاً خبر رئيس اللصوص الذي رده القديس يوحنا إلى الإيمان (ف ٤٢). فالاسقف الذي نلتقي به في هذا الخبر هو رئيس حقيقي في الكنيسة: رئيس الليتورجيا، يعظ، يدير أموال الجماعة، يعني بالفوس الموكلة إليه. ويتكلم الكلمنضوس عن هذا الاسقف بشكل طبيعي دون أن يخفى له دوره. هذا يعني أنه عرف بالخبرة عدداً من الأساقفة راهم بعيته يقومون بهمّتهم في رعاية شعب الله. فالمعلم الذي ألف المؤشيات والمربى والتحريض إلى اليونان لطالبي الحكمة، قد امحى الآن فصار مؤمناً بسيطاً يكلّم إخوته الوضعاء، فيجعل الكهنوت في قلب الواقع المسيحي.

الفصل الثالث والعشرون

الكهنوت في مؤلفات أوريجانس

عاش أوريجانس، شأنه شأن أكلمنضوس، وعلم في الاسكندرية. كان أكلمنضوس من العوام، أما أوريجانس فكان كاهناً. كان رجل الكنيسة حتى قبل أن يصير كاهناً. جعله الأسقف ديمتريوس رئيس مدرسة التعليم المسيحي، فمارس وظيفة رسمية، وظيفة التعليم. واختلف مع ديمتريوس، فمضى إلى قيصرية فلسطين حيث رسم كاهناً. فعلم المؤمنين البسطاء الذين جاؤوا يسمعون عطاته البibleية: قدم أعمق ما في قلبه، فجاء تعليمه تفسيراً أميناً لتعليم الكنيسة.

١ - أوريجانس المدافع عن الكهنوت

لا يقدم أوريجانس نظرية واضحة عن الكهنوت. ولكنه يتحدث عنها خلال عطاته فيعلمنا بوجود الأساقفة والكهنة والشمامسة، كما يخبرنا بالعبء الذي يحمله الأساقفة. في العطات حول سفر اللاويين (٦: ٣) نعرف أن على الأسقف أن يتميز بالعلم والقداسة... من يدعى إلى الأسقفية لا يدعى ليعطي الاوامر بل لكي يخدم الكنيسة كلها (عطات في أشعيا ٦: ١). ولا يطلب منه التواضع فقط. بل الخدمة حتى العبودية. لهذا عليه أن يتميز بجميع الفضائل. فإذا كانت الكنيسة ببناء، فالأساقفة والكهنة هم سقفه المصنوع من السرو والأرز. والسرور شجر معروف برائحة ومتانته، والارز شجر معطر لا يفني. شجرتان ترمان إلى الفضيلة والعلم اللذين يجب أن يتحلى بهما الكهنة والأساقفة (عطات نش ١: ٣). إذا كان

كل شيء يطلب من الكهنة أن يحكموا على نفوسهم، فلأن مهتمهم الحكم على الشعب. «قال القديس بولس : أتظن أنك تفلت من دينونة الله ، من امراء الدهر وآراء العالم؟ ولكن يقال لرؤساء وأمراء الكنائس أي الأساقفة والكهنة والشمامسة ، أن لا يحسبوا أنهم يفلتون من دينونة الله إذا قبلوا بما به يدينون الناس ويحكمون عليهم» (في روم ٢: ٢). فكأني بأوريجانس يقول : لا تتبلل نفسُ الذين يرئسون الكنيسة . يجب أن يكونوا بكلّيّتهم لأعمالهم الروحية (في روم ٩: ٣).

أراد فرعون أن يكون لكهنته أراض يملكونها ، فيمارسوا فلاحة الأرض ، لا فلاحة النفوس ، ويولوا كل اهتمامهم بالريف لا بالشريعة . أما المسيح فطلب من كهنته أن يتجردوا من كل ما هو أرضي . وبعد أن يذكر أوريجانس بأمر الرب (لو ١٤: ٣٣) ليطبقه على الكهنة ، يعود إلى نفسه فيهتف : «أرجف حين أتكلم هكذا . فأنا أول من أنهم نفسي . كيف نستطيع نحن أن نقرأ هذه الكلمات ونشرحها للشعب المسيحي ، نحن الذين لا نتخلى فقط عمّا نملك ، بل نريد أن نقتنى ما لم نمتلكه قبل أن نأتي إلى المسيح . لماذا؟ بما أن ضميرنا يتهمنا ، أيحق لنا أن نخفي ما هو حقيقي ، أن لا نظهره في وضح النهار؟ لا أريد أن أكون خاطئاً مرتين . أنا أعترف أمام كل الشعب الذي يسمعني ، أن هذا كُتب وإن لم أعمل به . فتفحص نفسك بدقة وانظر إلى المستوى الذي فيه تمارس كهنتوك : إذا كنتَ تتبه إلى ما هو منظور و زمني ، إن علم إنك ما زلت تتبع إلى شعب مصر» (في تك ٥: ١٦)

٢ - القداسة الكهنوتية

إذا كان الأمر كذلك ، نستنتج أن القداسة الكهنوتية هي عطية من الله نطلبها في صلاة حارة . فالشعب له الكهنة الذين يستحقونهم ويشبهونهم . «إن أمراء الشعب وقضاة الكنيسة لا يُعطون للمؤمنين بحسب قصد الله ، بل بحسب استحقاقاتهم الخاصة . . . إذا كان الشعب مستحقاً ، منحه الله قائداً قوياً في الأقوال والأعمال . ولكن إذا أساء الشعب أمام الله ، أعطي له قاضٍ سيتآل في أيامه من

الجوع والعطش، أتحدث عن جوع إلى سماع كلمة الله. إذن لنسلك كما يجب ولنصل لثلاً يحكم علينا غضب الله بجوع وعطش إلى الكلمة، لثلاً ينقصنا الرجل الذي يستطيع أن يعلمنا بمثاله وكلامه، الرجل الذي يكون مثالاً للشعب بأخلاقه وطهارته، فيقدم له نموذجاً في الصبر وطول الأنأة» (في قض ٤: ٣).

في العالم الذي يعيش فيه أوريجانس، ليس الكهنة الصالحون كثراً. «بين الكهنة، من يستحقّ اليوم أن يسجل في هذه الدرجة» (في يش ٤: ٢)؟ وبتابع: «اليوم، في جميع الكنائس التي تحت السماء، هناك عدد كبير بين القضاة أو كلوا بأن يهتموا لا بالاعمال وحسب، بل بالفنوس، ولست أدرى إن كانوا جديرين بأن يمتلئوا من روح الله، فيستحقّوا (مثل عتنييل) شهادة الله» (في قض ٣: ٣).

ويبين الرذائل التي ييرزها معلم الاسكندرية الكبارياء. فالاساقفة والكهنة والشمامسة يتافسون في طموحاتهم. هم يريدون المراكز الأولى. يحبّون أن يأخذوا أو يبنوا لقب «معلم». هناك رجال جشعون ومراهقون يعملون لكي يصيروا شمامسة. وحين يصلون، تقودهم رغبتهم أبعد من ذلك: يريدون أن يصيروا كهنة. ولا يكتفون بهذه الكرامة فيحتالون كثيراً لكي يستولوا على الاسقفية. على الأساقفة أن يكونوا خدام الخدام كما أوصاهم الكلمة يسوع المسيح: «بل تصرّف أحياناً بحيث تتجاوز أمراء الأمم الأشرار كبارياء». فلا يبقى إلا أن نؤمّن لفوسنا حراساً على مثال الملوك. نحن قاسون ولا سيما تجاه الفقراء. حين يصلون إلينا ويطلبون طلباً، تتفوق بالوقاحة على المستبددين والأمراء الظالمين تجاه الآتين طالبين. هذا ما نستطيع أن نراه في عدد من الكنائس المعروفة ولا سيما في المدن الكبرى» (في مت ١٦: ٨).

ومع الكبارياء حبّ المال. فقبل الدّرّجات المقدّسة وممارسة الخدمة هما بالنسبة إلى عدد من الكهنة والشمامسة مناسبة لاقتناء الغنى. فهناك وعاظ كثيرون امتلأوا بروح العالم فطلبوها قبل كل شيء حياة هادئة مرفة. همّهم الوحيد هو التجارة والمال والولائم (في حز ٣: ٧). صارت التقوى تجارة، والإنجيل وسيلة للثراء. فإن كان يسوع يبكي على أورشليم، فكم يحتاج إلى أن يبكي على

الكنيسة التي هي بيت صلاة حولها حبّ المال والرفاه إلى مغارة لصوص. وكم نتمنى أن لا تكون الخطيئة خطيئة رئيس الشعب (في مت ٦: ٢١). وبين الكهنة، هناك عدد كبير يستولي على أموال الكنيسة فيؤكدون، شأنهم شأن يهودا، أنهم يريدون الاهتمام بالفقراء. يا للتعasse (في مت ١١: ٩).

٣ - تدبير أموال الكنيسة

هنا يتحدّث أوريجانس عن أموال الكنيسة، وتدبّرها أمر صعب. وتنظيم خدمة المحبة يتم بدرأية وروية. قال: «لنكن فطين، حتى نمارس المحبة مع كل واحد حسب كرامته واستحقاقه. نتذكّر ما كتب: طوبى لمن يفهم المسكين والبائس. لا يكفي أن نوزع أموال الكنيسة متباهين فقط بأن لا نحيد عن الفقير، فنقترب سرقة تجاههم. بل يجب أيضًا أن ندلّ على القبطنة: فهناك أسباب عديدة للفقر، وعلينا أن نتساءل لماذا هؤلاء الناس فقراء. ماذا يستحق كل واحد؟ ما كانت تربيته؟ ما هو المال الذي يحتاج إليه؟ لماذا يطلب مساعدة؟ إذن، لا نعامل المعاملة نفسها أولئك الذين تربوا تربية قاسية منذ طفولتهم وأولئك الذين سقطوا في الشقاء بعد أن كبروا في الغنى والرفاهية. لا نعطي معونة مماثلة للرجال وللنساء، للشيخ وللشبان. وبين الشبان هناك من هم أضعف من أن ينالوا طعامهم بالعمل، ولن يستطيعوا أن يقوموا ببعض أودهم. ونبحث أيضًا إن كان للفقراء أولاد يقومون بجميع واجباتهم أو يهملونها. وبختصر الكلام، نحتاج إلى حكمة كثيرة لكي نتصرّف كما يليق بأموال الكنيسة» (في مت ٦١).

تدلّ هذه النصائح على حكمة لدى أوريجانس. ولكن ماذا ينفع كل هذا للكهنة الجشعين. فأموال الكنيسة طعم يجذب عالم الكهنة فيطلبون الكهنة أو الأسقفيّة بجمع الوسائل. فمن أجل «الوظائف» الكهنوتيّة يلعب المال، والوراثة. وأعطى أوريجانس مثل موسى الذي لم يعيّن خلفًا له أحد أبنائه أو أبناء أخيه. «ليتعلّم أمراء الكنائس بهذا المثل أن لا يعيّنوا خلفهم بوصيّة من بين أقاربهم، وأن لا يجعلوا الوراثة مبدأ للتسلسل الكهنوتي، بل أن

يسلّموا أمرهم إلى حكم الله. لا نرفع ذاك الذي تربطنا به عاطفة بشرية. بل ذاك الذي اختاره الله».

٤ - الوظائف الأساسية في الكهنوت المسيحي

نستطيع أن نطيل هذه اللوحة المظلمة عن عالم الكهنوت في القرن الثالث المسيحي. لا شك في أن أوريجانس ما أراد أن يعمّ، بل انطلق من بعض الأمثلة وصورها بألوان فاقعة لتكون مثلاً للجميع. يبقى علينا أن نتساءل عن الوظائف الأساسية في الكهنوت المسيحي.

أول واجبات الأساقفة والكهنة إعلان كلمة الله. فالأسقف يشبه عظيم الكهنة عند اليهود. فما كُتب عن عظيم الكهنة في التوراة ينطبق على الأسقف. فعليه أن يدرس باهتمام شريعة الله، وينظر إليها كما في مراة لكي يرى إن كان يحقق في شخصه ما طلبه موسى في الماضي من رئيس الكهنة (في لا ٦:٦). وليتتبّه إلى قراءة الكتاب المقدس، فيجد فيه لوحة بالفضائل التي يجب أن يمارسها وبالوظائف التي يجب أن يقوم بها (في عد ٣:١٠). فعمل الحبر علان: يتعلم من الله حين يقرأ الكتب المقدسة ويتأمل فيها بعناية. ويعلم الشعب. فعلى رؤساء الكنائس أن يعزّوا الشعب المؤمن ويشجّعوه بكلمات التحذير وبنعمة التنبيه. إن رسالتهم تتم في داخل الكنيسة. قال أوريجانس: «إن مضى أحد إلى مدينة لا مسيحيين فيها، وشرع يعلم فيها، فليعمل ويعلم وليدع إلى الإيمان كل الذين يقدر أن يدعوه. بعد ذلك، يقام على الذين علمتهم رئيس وأسقف» (في عد ٤:١١).

خدمة التعليم هي من المهام الرئيسية للأسقف. ولكن الأسقف لا يقوم بها وحده. فالكهنة أوكلوا أيضاً بتعليم الشعب المؤمن. وهذا ما فعله أوريجانس. والعوام أيضاً يعلمون. فالاسكندر، أسقف أورشليم وتيوكستس، أسقف قيصرية، طلبوا من أوريجانس أن يعظ قبل رسامته الكهنوتية، وأن يشرح الكتب المقدسة للشعب. وبرّا سلووكهما بمثيل أساقفة سابقين يذكّرهم أوسابيوس القيصري. ولكن لم تكن العادة في الاسكتدرية تسمح للعوام بإلقاء الوعظ في الكنائس، بل يُحفظ هذا الحق للكهنة.

فعلى الذين يعلمون أن يوزعوا على كل واحد حصة من الحقيقة التي يستطيع أن يحملها. فما يُعطى للبسطاء غير ما يُعطى للكمال. قال أوريجانس: «نلاحظ أن الرسل حين وعظوا الأيمان بال المسيح، بيّنوا التعاليم التي اعتبروها ضرورية للجميع، حتى لأولئك الذين كانوا أقلَّ تقدماً في أمور الله. وشرحوا الأسباب العميقية للذين نالوا من الروح القدس، مواهب الكلام والحكمة والعلم. اكتفوا بأن يعلّموا بعض الشيء دون أن يشرحوا السبب أو الشكل، وتركوا لأصدقاء الدراسة والحكمة في الأزمنة الآتية، مادة يستطيعون أن يتمرسوا فيها مع ثمرة» (المبادئ ١: ٣).

وعلى الكهنة أن يدلّوا على فطتهم فلا يكشفوا للجميع، بدون تمييز، أسراراً توكلوا بحفظها. لا يصل الإنسان اللحمي إلى الأعمال الصوفية التي لا تكشف إلا للكهنة. فهذه المعرفة ليست مفتوحة حتى للمتمرسين والعلماء، إن لم يُرفعوا إلى الكرامة الكهنوتية (في عد ٤: ٣؛ ٥: ١).

ومن واجبات الكهنة ممارسة الأسرار. يتخلّون أولاً ليأتوا بالخطأة إلى التوبة ول يصلحونهم مع الله. ينبغي عليهم أن لا يحبّوا الوجوه. هم يخطّلُون خطأ جسيماً إن بدروا قاسين تجاه البعض حتى الحرم، وضعفاء تجاه الآخرين ضعفاً يصل بهم إلى الاتهام. يجب أن يكونوا كلاً للكل. وإن سقط أحد مؤمنهم بالخطيئة، فيجب أن لا يهدأ لهم بال حتى يرددوا. فهناك توبة قاسية فيها يروي الخاطئ سريره بدموعه ولا يستحي من كشف خطايته للأسقف (في لا ٢: ٤). ويكون دور الاسقف بأن يقدم ذبيحة تكفير عن الخطيئة على مثال الكاهن الأعظم الذي يتحدث عنه سفر اللاويين.

«ليتعلّم كهنة الربَّ الذين يرئسون الكنائس أنهم مشاركون للذين يحملون خطاياهم. ما معنى حمل خطيئة شخص آخر؟ إذا أخذتَ الخاطئ على حدة، إذا جئتَ به إلى التوبة بأرائك وتحريضاتك وتعاليمك ونصائحك، إذا أصلحت خطأه، إذا ملت به عن رذائله، إذا هيأته ليرضى الله عنه ويفغر له خططيته، عند ذلك تكون قد حملت خططيته» (في لا ٥: ٤).

وللakahن السلطان بأن يطرد الخاطئ من الكنيسة: فقبل أن يعلن الحرم، يكون الخاطئ قد استبعد نفسه في داخله. يستطيع أن يدخل إلى صحن الكنيسة، ولكنه يبقى منفصلاً عن المؤمنين الذين يكونون قلباً واحداً وروحًا واحداً (في لا ١٤: ٣). إن سلطة الكاهن في هذه الحال تشبه سلطة الرسل، سلطة بولس الذي سلم زاني كورنتوس إلى الشيطان (في قض ٢: ٣).

في هذا المجال يقول أوريجانس في شرح انجيل متى (١٤: ١٢) : «إن الذين يطلبون درجة الأسقفية يستندون إلى هذه الكلمة ، على مثال بطرس ، ليقولوا إنهم نالوا من المخلص مفاتيح ملكوت السماوات . وبالتالي ، ما يربطونه (أي يحكمون عليه) يُربط في السماء ، وما ينال منهم الغفران يُحلّ في السماء . نقول إن كلامهم صحيح شرط أن يعملوا العمل الذي لأجله قيل لبطرس : أنت صخر . وإن كانوا «صخر» بحيث يبني المسيح كنيسته عليهم ، تنطبق حقاً هذه الكلمة عليهم . فأبواب الجحيم لن تقوى على الذي ي يريد أن يربط ويحلّ . فإن كان هو نفسه مربوطاً برباطات ذنبه ، فباطلاً يربط ويحلّ ».

تلك هي نظرة أوريجانس إلى الكهنوت . هو يطلب القداسة من الذين نالوا نعمته . ولهذا يرسم لوحة معتمة عن الكهنة على مثال ما يفعل الواقع وتعلمه الأخلاق . ومن جهة ثانية تعرف إلى الفضائل الكهنوتية والوظائف الكهنوتية . يجب على الكهنة أن يكونوا قديسين لكي يعلموا المؤمنين التعليم القويم ويحاربوا الضلال . يجب أن يكونوا قديسين ليعرفوا كيف يتصرفون بأموال الكنيسة . ليغفروا الخطايا للتابعين . هذا ما علمه أوريجانس . وربما عاشه ساعة رسم كاهناً في كنيسة قيصرية ، فجمع القول إلى العمل .

الفصل الرابع والعشرون

الكهنوت عند قبريانس أسقف قرطاجة

جاء قبريانس إلى المسيحية متأخراً، بعد أن تعلم الكثير من تريليانس الذي سماه معلمه. فافترق عن معلمه الذي كاد يدمر أسس الكهنوت حين جعل كل السلطات الكهنوتية في يد العوام. أما قبريانس فأبرز كرامة الكهنوت في الكنيسة. وحين مات أعطى شعبه درساً آخرًا فين له كيف يموت أسقف من أجل المسيح. وهكذا كانت حياة قبريانس وموته ختماً لما حمله أسقفُ قرطاجة من تعليم عن الكهنوت المسيحي.

ثلاث محطات. كهنوت بحسب ملkipصادق. وظائف الأساقفة ومعاونيهم. الفضائل التي يتحلى بها الأسقف والكهنة.

١ - كهنوت بحسب ملkipصادق

شخص المسيح هو الذي يُشرف على الكهنوت المسيحي. فاليسعى الذي كان كاهناً بحسب رتبة ملkipصادق، نزع الصفة الكهنوتية عن الكهنة الذين من سلالة هارون. كانت درجتهم موقته، فأحلّ محلّها الدرجة النهائية للكهنوت الأبدي. كل الكهنة ينتهيون منه. اختفى الكهنوت القديم، وورث الكهنوت الجديد كل امتيازاته، لأنّه يجب أن لا ننسى أنّ الرب نفسه اختار رسّله أي الأساقفة ورؤساء الكنيسة (الرسائل ٣/٣)، على مثل الله الذي اختار في

الماضي قبيلة لاوي لتكون مكرسة له (رس ١/١). لهذا، فنصوص العهد القديم التي دلت على حقوق الكهنة اليهود وواجباتهم، تنطبق منذ الآن على الأساقفة والكهنة المسيحيين الذين هم خلفاؤهم الشرعيون (رس ٣:٢-٤).

فالآن الأساقفة والكهنة هم موضوع رسامة إلهية. إنهم مختارو الله. فمن وقف ضدّ أمر الله، تُعاقبه عدالَةُ الله بسبب جرأته الواقحة (وحدة الكنيسة ١٧). فكل ما تفعله إرادةُ البشر الشريرة لتدمر النظام الإلهي يكون وكأنه ضد الله (وحدة ١٨). إذن، يجب أن نضع نصب أعيننا جلالَةُ الله الذي يرسم كهنة المسيح (رس ٩/١٦). «حين نظنَّ أن الكنيسة ترسم كهنة لا يعرف بهم الله، ندلَّ على لا إيماننا بالله، على تمرِّدنا على المسيح وانجيله. حين نظنَّ أن المرسومين هم غير أهل وانجاس، نعتبر أن إقامة الأساقفة في الكنيسة ليست من الله ولا تمَّ بيد الله» (رس ٦٦:٢-٥٩).

إذن، سلطة الأساقفة سلطة إلهية. هذا ما قاله مجمع عُقد سنة ٢٥٦: «واضح تعليم ربنا يسوع المسيح الذي أرسل رسليه وسلمهم وحدتهم القدرة التي أعطيت له من قبل الآب. نحن خلفاء الرسل، نسوس كنيسة الله، ونعمَّد إيمان المؤمنين بالقدرة عينها. لهذا، يؤدي الأساقفة حساباً عن اداراتهم لله، لا ليبشر ما ارتفع قدرهم، ولا لزملاء لهم في الأسفافية». «بما أن الأساقفة سلّموا سلطانهم من الله، فلا يؤدون حساباً إلا لله» (رس ٧٢:٣). «ففي كل كنيسة أسقف وقاض، وهو يحلَّ محلَّ المسيح لزمن محدد» (رس ٥:٥٩).

لا شكَّ أن هناكأساقفة لا يعملون مشيئة الله، ولكنهم خارج الكنيسة وضد الترتيب الانجيلي والتعليم. ولكن لا نغش: ليس هؤلاءأساقفة حقيقين. «كيف تعتبر راعياً ذاك الذي لم يخلف أحداً في الأسفافية فبدأ بنفسه. إنه غريب ودنيوي. أما الذي يرأس كنيسة الله بفضل رسامة شرعية فهو راعٌ حقيقي» (رس ٦٩:٥). ويذهب قبريانس بعيداً في هذا الخط: ففي نظره، كل رسامة باطلة إذا صُنعت خارج الكنيسة، لأنها ضد الرسامة الإلهية. ولا يمكن أن يكون للهراطقة والمنشقين إلاأساقفة كاذبون. هنا نقرأ هجوم قبريانس على نوفاسيانس الذي ترك

حظيرة الرب الوحيدة: «بحسب تأسيس المسيح، ليس هناك سوى كنيسة واحدة، انتشرت في أعضاء عديدين، في العالم كله. ومصاف أسقفي واحد يمثله عدد من الأساقفة متّحدين فيما بينهم. ومع ذلك، حاول (نوفاسيانوس) رغم تعليم الله، ورغم وحدة الكنيسة في تنوع أجزائها المرتبطة والمتّصلة في كل مكان، أن يؤسس كنيسة بشرية. فأرسل إلى عدد كبير من المدن رسلاً جدداً اختارهم، ووضع أساسات منظمة جديدة. ومع أن أساقفة أجلاء ومؤمنين وأمناء في المحنة ومرذولين بسبب الأضطهاد قد رسموا منذ زمن بعيد في كل المناطق وفي كل المدن، تجراًًاً فجعل فوقهم أساقفة آخرين هم أساقفة كذبة. فهل يستطيع أن يحيط العالم بجداله وعناده، ويحيطْ تجمع جسد الكنيسة واضعاً فيه بذار الخلاف؟ هو يجهل بلا شكَّ أن المنشقين يتحمّسون في البداية، ولكنهم لا ينمون ولا يقدرون أن يوسعوا محاولاتهم اللاشرعية. حيثند يسقطون فجأة من على مطيتهم الفاسدة» (رس ٢٤: ٥٥).

يظهر الاختيار الالهي بشكل ملموس وبوسائل بشرية. هذا ما لا شكَّ فيه. والأساقفة الذين هم المسؤولون الاولون عن اختيار الأساقفة أو الكهنة، لا يقبلون إلا بآنس لا عيب فيهم. وإن أرادوا أن يطمئنوا، فيعودوا إلى الشعب الذي يعرف بعض المرات فضائل هؤلاء المرشحين أكثر منهم. «أمر الله أن يرسم عظيم الكهنة أمام الجماعة كلها (عد ٢٥-٢٦). هو يعلّمنا هذا الكلام ويبين لنا أن الرسامة الكهنوتية تم بمرأى وسمع الشعب المؤمن، لكي تُكشف في حضور الشعب جرائم الاشرار ومزايا الصالحين. فتكون الرسامة صحيحة ونظامية حين يكفلها رأي الجميع وحكمهم. وليس هذا فقط من أجل رسامة الأساقفة والكهنة، بل من أجل رسامة الشمامسة. فنحن نرى أن الرسل سلكوا هذا السلوك. فالاثنا عشر دعوا شعب التلاميذ وقالوا لهم (أع ٦: ٢). اهتموا واتخذوا الاحتياطات بأن يدعوا الشعب كله لثلاً يتغلغل متطلِّف إلى خدمة المذبح أو الكرامة الاسقفية» (رس ٥٧-٣).

حين يكون الحديث عن اختيار الأساقفة وسائل أعضاء الكهنوت، تبدو موافقة الشعب ضرورية جداً. «اختير (كورنيليوس) أسقفاً بيد عدد كبير من زملائه الذين

كانوا حينذاك في مدينة روما، والذين بعثوا إلينا (بالنسبة إلى رسالته) برسائل تشرفه وتمتدحه وتشهد له أفضل شهادة. اختيار كورنيليوس أسقفاً بحكم الله ومسيحه، وبشهادة الأكليروس وموافقة الشعب الحاضر وجماعة الأساقفة الموقرين وأهل الخير» (رس ٤/٥٥).

٢ - وظائف الأساقفة ومعاونيهم

تنوع وظائف الأساقفة ومعاونيهم، لأن عليهم ترتكز الكنيسة، ولأنهم هم الذين يسوسون الكنيسة ويكونون المسؤولين عن سلوكها (رس ١/٣٣: ١). فعليهم أولاً أن يقدموا الذبيحة المقدسة. وينعم الكهنة أيضاً بهذا السلطان (رس ٤/٦: ٢). فالاحتفال بالافخارستيا يتم حسب التقليد وأمر الرب. قد يكون هناكأساقفة بسطاء. فالرب يغفر بساطتهم. ولكن لا يستطيع أحد أن يبدّل أمر المخلص. «فدرجتنا وواجبنا الأسقفي يدعونا إلى المحافظة على التقليد الرباني» (رس ٦٣: ١٩).

وللأساقفة سلطة التعليم وواجب التعليم: فالمبتر الذي عليه يقفون هو العلامة المنظورة لهذا الحق (رس ٣/١: ١). يشرحون الكتب المقدسة، يذكرون المؤمنين بواجباتهم. والكهنة يعاونون الأساقفة أو يحلّون محلّهم في خدمة الكهنوت. والأساقفة هم الخدام العاديون للمعمودية والافخارستيا، لأن للرسل وخلفائهم أعطى المسيح سلطان الحل والربط، سلطان غفران الخطايا أو الاحتفاظ بها. ولكن في حالة الضرورة يستطيع الكهنة، بل الشمامسة، أن يتّقبلوا اعتراف التائبين (رس ١٨: ٢).

وفي الظروف العادّة، الأساقفة هم الذين يحدّدون التكفير الذي يجب على التائبين أن يؤدّوه. وهكذا شدّ قبريانوس على سلطة الأساقفة السامية، وعلى دور الكهنة كمعاونين لهم. إذا كانت مصالحة الكهنة تتمّ بوضع يد الأسقف والكهنة، فإن الكهنة يلعبون دوراً مساعداً لأنّ الاسقف هو الخادم الرئيسي للحل من الخطايا. ففي زمن الاضطهاد لا يحلّ للكهنة أن يتخذوا مبادرات خطيرة يصلحون الجاحدين. فمثل هذا القرار يعود إلى الاسقف وحده.

الاسقف هو الرئيس الوحيد في الكنيسة. فهو يؤمّن خدمة الاسرار ويعطي التعليم. وله السلطة أيضاً بأن يضع حداً لكل فوضى. تهجم أحد الشمامسة على الاسقف روغاسيانس، فاشتكت إلى قبريانس وزملائه. فأجاب قبريانس باسم الجميع وهنّا الاسقف لاعتداله. ثم أضاف: «إن السلطان الاسقفيّ وسلطة منبرك يؤهّلنك لكي تعاقب هذا الواقع في الحال وأنت متأكد أن زملاءك يكونون راضين عمّا تستطيع أن تفعله بالنظر إلى السلطة الاسقفية تجاه هذا الشمامس» (رس ٢/٣: ١).

فعلى الشمامسة أن لا ينسوا أن الرب نفسه اختار الرسل، أي الأساقفة ورؤساء الكنائس. أما الشمامسة فقد تأسّوا بيد الرسل بعد الصعود ليكونوا في خدمة الاسقف والكنيسة. فعلى الشمامس أن يقرّ بذنبه جهاراً، فيدلّ أنه يعرف الكرامة المرتبطة بالكهنة، فيرضي الاسقف رئيسه. فإن رفض الطاعة، يُعزّل ويُحرّم (رس ٣: ٣). فالأساقفة يستطيعون أن يحرموا المتمرّدين، وإن وجب عليهم في موضوع هام كهذا، أن يستشروا الكهنة بل المؤمنين، وأن يسبق الحكم تحقيق سابق. هذا ما فعله قبريانس بالنسبة إلى فيليسيسيمس وتبّاعه. «قطعنا من شركتنا... وحرمنا...» (رس ٤٢). فالحرم عقاب كبير لأنّه يساوي موتاً روحياً حقيقياً. في نظام العهد القديم، كان الله يحكم بالاعدام على الذين لا يخضعون لكرهته. ويحدّد ساعة الحكم للذين لا يطاعون. واليوم، «بالسيف الروحيّ يقتل المتكّرون والثائرون، فيُرذلون خارج الكنيسة. حين يصيرون خارجاً، لن يستطيعوا أن يؤذوا. فيبيت الله واحد، وخارجًا عن الكنيسة لا خلاص لأحد» (رس ٤/٥: ٣).

ولا توقف سلطات الاسقف عند المجال الروحي، بل تمتدّ إلى المجال الزمنيّ. فمنذ أيام قبريانس، امتلكت الكنيسة أموالاً يجب عليها أن تديرها. فهذا الغنى هو ملك الفقراء والأرامل والأيتام والسجناء. ففي قلب اضطهاد ديكوس، كتب قبريانس إلى كهنته بأن لا يتوقفوا عن توزيع المساعدات على الأرامل والمعاقين، عن الفقراء والمسافرين، وخفّ أن لا تكفي الاموال الموجودة في الصندوق، فأرسل أموالاً أخرى لكي تتمّ أعمال المحبة بسرعة وبوفرة.

في كل هذا، يبدو الأسقف مسؤولاً عن كنيسته. بل هو مسؤول أيضاً عن الكنيسة كلها. حين يختارونه، يخبر إخوته الأساقفة باختياره وينال رسائل شركة. فقبل أن يقرّ قبريانس باختيار كورنيليوس على كرسي روما، طلب رسائل. ثم أرسل هذه الرسائل إلى أساقفة أفريقيا. وكما يريد قبريانس أن يعرف ما يحصل في سائر الكنائس، فهو يخبر زملاءه الأساقفة بما يحصل في كنيسته. في هذا السبيل كتب إلى الكهنة في روما لتكون المشاركة بين كنيسة وكنيسة (رس ٣٤: ١). وكان قبريانس على علاقات متواترة مع أساقفة أفريقيا الذين يجتمعون مرة في السنة أو أكثر، هذا عدا عن الرسائل المتبدلة. كل هذا من أجل وحدة الكنيسة في تنوع الكنائس. فعلى كل أسقف، وبقدر قواه، أن يعمل من أجل هذه الوحدة ويحافظ عليها ويقويها. فمن لا يحافظ على وحدة الروح ولا على رباط السلام، ومن ينفصل عن الكنيسة وحلقة الأساقفة، ليس له السلطة الاسقفية ولا كرامتها، لأنّه ما أراد أن يحافظ على الوحدة والسلام في المصالح الاسقفيّ (رس ٤٤: ٥٥).

٣ - الفضائل المطلوبة من الأسقف والكهنة

بما أن للاسقف كل هذه المسؤوليات، نفهم أن من اختيار لهذه المهمة، وجب عليه أن يتحلى بمعزياً أكثر من عاديتَه. فما هي الفضائل التي يطلبها قبريانس من الكهنة بشكل عام ومن الأسقف بشكل خاص؟

قبل أن نجيب على هذا السؤال نقرأ ما قاله قبريانس، أسقف قرطاجة، عن كورنيليوس، أسقف روما. «ما يعطي رسائل توصية لعزيزنا كورنيليوس، في نظر الله والمسيح والكنيسة وزملائه، هو أنه لم يصل فجأة إلى الأسقفية. فقد مر عبر جميع الخدَّم الكنسية، وخدمَّ الرب مراراً في مختلف الوظائف الدينية، وصعد إلى قمة الكهنوت عابراً الدرجات المتتالية. أما الأسقفيّة نفسها فما طلبها ولا أرادها، وما اجتاحتها مثل الآخرين الذين تنفخهم الكربلاء. ولكن بهدوء وبساطة كما يكون الأشخاص الذين يختارهم الله لهذه الكراوة. كان أميناً في العيش في البولية، متحفظاً في تواضع طبعيّ فيه، وما استعمل العنف مع أحد ليكون

أسقفاً. بل تحمل العنف، فقبل الاسقفية مكرهاً بعد أن فُرضت عليه. اختاره أسقفاً عدداً كبيراً من زملائه الذين كانوا في مدينة روما، وأرسلوا إلينا في ما يخص رسالته رسائل تشرفه وتمتدحه وتشهد له» (رس ٥٥-٥٢).

التجرد هو أولى الصفات المطلوبة من المرشحين للرسامة. فكيف يستطيع أنساس يجب أن يكونوا كلهم مكرسين لخدمة الله، أن يتعلقوا بخيرات الأرض؟ ينال الكهنة تقدمات شهرية. هذا ما يجعلهم بعيدين عن كل حاجة. ويُمنع عليهم أن يأخذوا وظائف دنيوية. تلك كانت القاعدة في الشريعة القديمة، بالنسبة إلى اللاويين. وهكذا لا يبعدهم شيء عن خدمة الله. على مثالهم يكون الكهنة اليوم. «نريد من الذين رفعتهم الرسامة إلى درجة الـاكليروس، في كنيسة الله، أن لا يميل بهم شيء عن خدمة الله، وأن لا يخاطروا فيلتزموا في أمور هذا الدهر وعوائمه. فيما أنهم ينعمون بتقدمات من إخوتهم تقابل العشور، يجب عليهم أن لا يتركوا المذبح والذبيحة، بل ليتكرسوا ليلاً ونهاراً للاهتمامات الدينية والروحية» (رس ١١: ٢).

وشدد قبريانس على العفة الكهنوتية، ولاسيما من أجل الاسقف. لم تكن بعد العزوبة الكهنوتية مفروضة على الكهنة كما هي الآن في العالم اللاتيني، بل كانت القاعدة تلك التي أعلنتها بولس بأن يكون الاسقف رجل امرأة واحدة. ولكن البولية سوف تُراعي يوماً بعد يوم. تحدث أسفاق قرطاجة إلى العذاري في أبرشيته فسماهن زهرة الكنيسة والزينة الساطعة للنعمنة الروحية، وأجمل ما في قطعه المسيح. وحين يكثر عدهن، تفرح الكنيسة في أمومتها. ما كان الاسقف يقبل بأي شكوك تجاه العذاري.

وبعد التجرد والعفة، نجد الشجاعة كفضيلة هامة لدى الكهنة. الشجاعة ضرورية في كل وقت، ولاسيما حين تكون الكنيسة عرضة لاضطهادات عنيفة، وحين يتعرض رؤساء الكنيسة للخطر أكثر من غيرهم. لم يستطع جميع الاساقفة أن يثبتوا. وقد سقط منهم فورتوناتيان وظلّ يمارس وظائفه الاسقفية مع أنه وجب عليه أن يخضع لتوية قاسية. وغيره جحدوا وجدّدوا على الله. فالكبارياء، هي التي

تجعل المعترفين يسقطون. وبعد أن شهدوا للمسيح في سجنهم، ظنّوا أن كل شيء مسموح لهم. لهذا دعا قبريانس الأساقفة والكهنة إلى التواضع.

هنا نشير أنه حين بدأ الأضطهاد، اختبأ قبريانس وظلّ يدير الكنيسة من مخبأه. ولما أحسّ أنه لا يليق به بعد ذلك أن يهرب، سلم نفسه فمات شهيداً على مثل الراعي الذي يبذل نفسه عن خرافه. وهكذا أعطى في حياته وموته أجمل صورة عن الكهنوت في قلب الكنيسة.

خاتمة عامة

هذا هو الكتاب الأول في إطار «نظم الكتاب المقدس ومؤسساته» وكان عنوانه: الكهنة والكهنوت في الكتاب المقدس. وقد جاء في خمس محطات. في الأولى، حاولنا أن نتعرف إلى الشرق القديم حيث يلعب الملك دوراً كبيراً في الكهنوت. وتوجلنا في التوراة حيث كان الملك يأخذ دور الكاهن، بانتظار أن يأخذ الكاهن دور الملك. وفي أي حال، التداخل بين العالم الديني والعالم السياسي أمر معروف في الشرق القديم والحديث. حاولت أوروبا أن تفصل الدين عن الدولة. توصلت في النصوص ولكن تبقى النفوس. بل هي توصلت إلى حياد الدولة بالنسبة إلى الدين، أقله بشكل نسبي، لأن الدين يبقى عنصراً هاماً في قلب الإنسان الذي لا يستطيع أن يتصرف وكأن لا دين له. وحين يلوّن هذا الدين حياة الفرد والمجتمع، نفهم أن ما هو دين وارتباط بالله، ما هو إيمان وتعلق بعقائد، يتجاوز المجال الفردي والجماعة الصغيرة ليؤثر على المجتمع ككل.

كان الكهنوت مؤسسة من المؤسسات وما زال، لأن له نظمه وترتيباته داخل الكنيسة مثلاً. لا شك في أنه كانت خطوة مع العهد الجديد وبعض الآباء الذين شددوا على دور الكلمة على حساب الذبيحة الدموية. ولكن ما يعيشه الأسقف والكاهن والشمامس هو امتداد أقله في مظاهره الخارجية لما عاشه كل واحد حاول أن يكون « وسيطاً» بين الله والانسان. لا شك في أن المسيحية تعتبر أن لا وسيط بين الله والانسان سوى يسوع المسيح. ولكنها حين تتكلّم عن الكهنة والقسيس،

إنما تعتبر هؤلاء مشاركين في كهنوت المسيح الواحد الوحيد. لم يعد في المسيحية سوى كاهن واحد. وهو الذي قدم نفسه على الصليب ذبيحة من أجل جميع البشر ومن أجل خلاصهم. أجل كاهن واحد يشاركه في كهنوته جميع المسيحيين بشكل عام. ويشاركه بعضهم بشكل خاص على مستوى ما يُسمى كهنوت الخدمة.

ولكتنا هنا ترکنا الكتاب المقدس والآباء، ورحننا في معارج اللاهوت. فلغيرنا أن يتبع الطريق في خطّ تعليم الكنيسة على مرّ العصور وصولاً إلى ما قاله المجمع الفاتيكانى الثاني. لا شكّ في أنّ الأسئلة العديدة تُطرح في هذا المجال: على مستوى الكنيسة، على مستوى العلاقات بين الكنائس. ولكن عودة إلى الكتاب المقدس ترينا ما هو ثابت في الكهنوت وما هو عابر، وما يمكن أن يكون انحرافاً.

هذا هو الكتاب الأول حول الكهنة والكهنوت في الكتاب المقدس وستتبعه بإذن الله بكتاب ثان وثالث، محاولين الاحاطة بنظم الكتاب المقدس ومؤسساته. والله هو الذي يوجه خطانا.

المصادر والمراجع

- AUNEAU, J et BEAUDE, P.M. «Sacerdoce» DBS X (Paris 1985) col. 1170-1342.
- AUNEAU, J, Le Sacerdoce dans la Bible, C. Ev n° 70, Paris 1990.
- BOUDART, A, «Sacré, sainteté» dans Dictionnaire Encyclopédique de la Bible, Brepols, 1987 p. 1145-1148.
- CODY, A, A History of old testament Priesthood, Rome, 1963.
- COTHENET, E, «Prêtre» dans Dictionnaire Encyclopédique de la Bible, Brepols, 1987 p. 1043-1045.
- FEUILLET, A, Le sacerdoce du christ et de ses ministres, Paris, 1972.
- GARBINI, G, I Fenici. Storia et Religione. Napoli, 1980.
- GIBSON, J.C.L, Textbook of Syrian Semitic Inscriptions. III, Phoenician Inscriptions, Oxford, 1982.
 - JAUBERT, A, La notion d'alliance dans le judaïsme aux abords de l'ère chrétienne. Paris, 1963.

- **LANGEVIN**, P.E, «Le Sacerdoce du christ dans le N T» dans La prêtre, hier, aujourd’hui, demain, Paris-Ottawa (Cogitatio fidei 51) 1970, p. 63-79.
- **RIES**, J, Les religions et le sacré, Louvain- la- Neuve, 1981.
- **SABOURIN**, L, Priesthood, A comparative Study. Leiden, 1973.
- **SACERDOCE** et **CELIBAT**, Etudes historiques et théologiques publiées par J. COPPENS, Louvain, 1961.
- **SACERDOCE** et **PROPHETIE**, coll. Studia missionalia, vol 22, Rome 1973.
- **SPICQ**, C, «L’origine johannique de la conception du christ-prêtre dans l’épître aux Hébreux» Aux sources de la tradition chrétienne. Mélanges M. Goguel, Neuchâtel. 1950, p. 258-269. L’épître aux Hébreux, 2 vol. Paris, 1952.
- **VAN DER LEEUW**, G, La religion dans son essence et ses manifestations. Paris 1970
- **VANHOYE**, A, Prêtres anciens, prêtre nouveau selon le N.T, Paris, 1980.
- **VAUX**, R. de, Les Institutions de l’AT, t.2, Paris 1960, p. 195-277.
- **VAUX**, R. de, Les sacrifices de l’AT, Paris (CRB 1), 1964.

الفهرس

٥	تقديم
٧	لائحة ابجديّة بالمخصرات
٨	مخصرات أخرى
٩	القسم الاول : الكهنوت في الحضارات الشرقية القديمة
١١	الفصل الاول : الكهنوت في أرض مصر
٢٤	الفصل الثاني : الكهنوت في بلاد الرافدين ولدى الحثيين
٣٤	الفصل الثالث : الكهنوت عند الساميين الغربين
٤٣	الفصل الرابع : الكهنوت في المفردات البيبلية
٥١	القسم الثاني : الكهنوت في العهد القديم
٥٣	الفصل الخامس : الكهنوت في الحقبة السابقة للملكية
٦٦	الفصل السادس : الكهنوت في زمن الملوك
٨١	الفصل السابع : الكهنوت الاشتراعي
٩٠	الفصل الثامن : الكهنوت في سفر حزقيال
٩٨	الفصل التاسع : الكهنوت في النصوص الكهنوتية

الفصل العاشر: الكهنوت بعد منفى بابل	١١٢
الفصل الحادي عشر: أزمة الكهنوت الهاروني ودماره	١٢٦
الفصل الثاني عشر: الكهنوت في الكتب البيبلية المتأخرة	١٤٢
 القسم الثالث : الكهنوت في أدب ما بين العهدين	١٤٩
الفصل الثالث عشر: الكهنوت في وصية لاوي واليوبيلات	١٥١
الفصل الرابع عشر: الكهنوت في أدب قمران ونصوص أخرى ..	١٦١
الفصل الخامس عشر: الكهنوت في العالم اليهودي الهلنستي ..	١٧٤
الفصل السادس عشر: الكهنوت في التراثيم وأدب الراينيين ..	١٨٤
 القسم الرابع : الكهنوت في العهد الجديد	١٩٣
الفصل السابع عشر: الكهنوت في الأنجليل وأعمال الرسل	١٩٥
الفصل الثامن عشر: المسيح حبر أمين ورحيم	٢٠٦
الفصل التاسع عشر: عظمة كهنوت المسيح وذبيحته	٢١٥
الفصل العشرون: المشاركة في كهنوت المسيح	٢٢٧
 القسم الخامس : الكهنوت عند آباء الكنيسة	٢٣٥
الفصل الحادي والعشرون : الكهنوت لدى الآباء الرسوليـن ..	٢٣٧
الفصل الثاني والعشرون: الكهنوت عند إكلمنضوس الاسكندراني	٢٤٥
الفصل الثالث والعشرون: الكهنوت في مؤلفات اوريجانس ..	٢٥٠
الفصل الرابع والعشرون: الكهنوت عند قبريانس اسقف قرطاجة ..	٢٥٧
الخاتمة	٢٦٥
المصادر والمراجع	٢٦٧
الفهرس	٢٦٩

ظهر منها:

- ١- الإنجيل قدرة الله الرسالة إلى الرومانيين
٢- رسالة القدس بولس إلى أهل أفسس
٣- تعبير الخلاص عند حرقايل النبي
٤- رسالة القدس بولس إلى أهل فيليبي
٥- رسالة القدس بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي
٦- كامة الله ينبوع الحياة (مؤتمر هونغ كونغ)
٧- رسالة القدس بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي
٨- الإيمان ورسالة الخلاص
٩- رسالتنا يعقوب ويرهونا إلى الكنيسة الجامعية
١٠- خراف ضالة ، صوار مع شهود يرهونه
١١- البداءات أو مسيرة الإنسان إلى الله
١٢- الآيات والمعجزات في الكتاب المقدس
١٣- الروح القدس ، روح الله
١٤- وجه الله في الكتاب المقدس
١٥- رسالتنا القدس بولس إلى أهل كولسي وإلى أهل فسافون

الرابطة الكتابية

التوزيع: المكتبة البولستية

شارع القدس بولس. ص.ب: ١٤٥
٥٠١ جوشيه - لبنان

- جمعيات الكتاب المقدس

ص.ب: ١١-٧٤٧ - بيروت - لبنان